التاريخ السياسي لآل محمد الجربا و شمر في نجد وارض الجزيرة ١٥٠٠ - ١٩٢١ م



تأليف

الدكتور

ثائر حامد محمد صوفي خضر



التاريخ السياسي لآل محمد الجربا

وشمر في نجد وارض الجزيرة

١٥٠٠-١٩٢١م


بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ السياسي
لآل محمد الجربا و شمر
في نجد وارض الجزيرة
١٥٠٠-١٩٢١م



الدكتور

ثائر حامد محمد صوفي خضر

قسم التاريخ ،كلية التربية

جامعة الموصل

الطبعة الثانية

مزيدة ومنقحة

١٤٣٤هـ/٢٠١٣م

الموصل
٢٠١٣م
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق
ببغداد ٣٦٢لسنة ٢٠٠٢م

الدلة للطباعة والنشر
الموصل /العراق

بسم الله الرحمن الرحيم

توثيق

تمت قراءة نصوص هذا الكتاب واقر مادونه الكاتب في مؤلفه من احداث تأريخية من قبل الشيوخ :

١ ـ حميدي عجيل الياور .

٢ ـ مدلول محمد المطلك .

٣ ـ رديف الجار الله .

٤ ـ سعود الفيصل .

٥ ـ شعلان بنيان الشلال .

٦ ـ اسعد الزيد .

٧ ـ فلاح الراكان .

٨ ـ برجس الدويش

٩ ـ حمود السوعان .

١٠ ـ اصلبي صطام الفهد

المؤلف

ثائر حامد محمد صوفي خضر

١/٦/١٩٩٦

الإهداء

إلى:

الزوجة والأبناء . . . ليث علي عبد العزيز

إلى روح الشهيدين . . أخي عامر حامد

والشيخ شعلان منيف

الفيصل

جزيل الوفاء وخالص العرفان

مقدمة الطبعة الثانية

بدا نفتتح بالصلاة والسلام على خير خلق الله محمد بن عبد الله عليه افضل الصلاة والتسليم، وعلى آل بيته الأطهار وصحبه الأبرار وبعد: لقد تأخرت كثيرا في إصدار الطبعة الثانية من هذا المؤلف بعد أن كان قد تم نشره وطباعته في بيروت عام ٢٠٠٢م من قبل الدار العربية للموسوعات، برغم أن المطبوع لم يصل إلى يد المؤلف لنكوث صاحب الدار بتعهداته في إرسال النسخ كعادته، والباحث لم يوافق على نشر الكتاب في هذه الدار إلا بعد أن تبين له أن إحدى مسودات الكتاب قد وصلت إلى صاحب الدار، وهو يعمل على تنضيدها دون علم المؤلف.

كما أن تدخل احد مشايخ الجربا القاطنين في المملكة العربية السعودية (عبد الكريم مشعان الفيصل) ساهم في عدم انتشار الكتاب، كما وتم سرقة فصول منه لتطبع في كتاب أخر عام ٢٠٠٤م بعنوان آل الجربا ومشاهير قبيلة شمر في الجزيرة العربية قام بإعداده خالد العاني صاحب الدار العربية للموسوعات، وتحت نظر وإشراف الشيخ عبد الكريم مشعان الفيصل، والمؤلف ليس فيه من جهد سوى سرقة جهود الغير، ولأجل أن يكون كتابا دعائيا لهذا الشيخ ليكتب له مجدا وتاريخا على حساب جهود وتعب الآخرين.

لذا كان لزاما على الباحث أن يعيد طباعة هذا الكتاب بعد أن أضاف إليه الكثير من النصوص والمعلومات خلال المدة الفاصلة بين نشره الأول وخروج هذه الطبعة إلى القارئ الكريم، خاصة وان مادته التاريخية أصبحت مطلوبة لكثير من القراء بعد ما أصبح الشيخ غازي مشعل عجيل الياور رئيسا مؤقتا للعراق لمدة سنة فقط، والمنعطفات التاريخية التي مر ويمر بها هذا البلد في الوقت الحاضر، والرغبة الصادقة التي كانت لدى العراقيين في أن يكون للمنصب الذي صار إليه الشيخ، والعمق الكبير الذي يملكه من ارث تاريخي لشمر سندا ودليل عمل له في إدارة البلاد ولم الشمل، لكنه خيب الآمال إلى حد ما ولم يعمل إلا بمنظار ضيق لا يتعدى خدمة مصالح خاصة، ونسي آمال العراقيين إن لم أكن مخطأ.

فكان إن أعيد طبع الكتاب بعد أن استقر الهيكل السياسي للدولة العراقية الجديدة، وخروج الشيخ غازي الياور من رئاسة العراق كي أكون حياديا أمام كل هذه المتغيرات، كما أن ما كتب على صفحات الشبكة العنكبوتية (الانترنيت) عن الطبعة الأولى للكتاب ومادته التاريخية، وعن نسب الجربا إلى الهواشم: جعلني مطمئن إلى ما ذكرته في الفصل الأول من صحة هذا الانتساب، خاصة وان الأشراف أنفسهم قد أكدوا هذا النسب، كما أن الديوان الهاشمي في الأردن قد وثق هذا النسب واقره للشيخ الشهيد شعلان منيف فيصل الجربا، فليقل من يقول ما شاء فقد حسم أمر هذا الموضوع، ومن لا يريد من آل محمد الجربا هذا النسب الذي اقر فلينتسب إلى من يشاء فأنه هو الخاسر الوحيد، لأنه سيكون وحده في طريق صحراوي ليس له نهاية.

كما أن كثيرا من الروايات والأشعار التي ظهرت على صفحات المنتديات القبلية في الشبكة العنكبوتية قد شاب اغلبها السطحية، وعدم معرفة بالتفاصيل والتحريف الكبير عن الأصول التي تروى، وهذا حافز أخر دعانا إلى أن نعيد الطبع لما في هذا المؤلف من كنوز شعرية نبطية لشمر، ومستودع تاريخي ضخم لتاريخها يعد بحق أرضية صالحة تنهل منها الأجيال القادمة لمن يريد منهم أن يكون له تصورا واضحا عن تكوين هذا التجمع القبلي ومساره التاريخي حتى بدايات القرن العشرين.

وختاما أود أن أقدم جزيل الشكر والامتنان إلى من عاون في إخراج هذا المؤلف للقراء، من مد يد المساعدة في تتبع النصوص والروايات، مع قضاء الساعات الطويلة في قراءتها ومناقشتها مع الباحث لأكثر من عشر سنوات، بعد أن كان العديد من شيوخ شمر من آل الجربا قد قاموا بهذا العمل في طبعته الأولى، متمثلا في شخص الشيخ **خالد احمد صفوك الفيصل** الذي اعان بفكره وماله وتوجيهاته السديدة من اجل لم الشمل وتركيز الحديث عن شمر قبل المشيخة، وعن العراق قبل الجزيرة، وإنشاء نمط حواري بناء في ربط النصوص الكتابية، والتأكيد الحريص والجاد على الباحث بأن يجعل من الحقيقة هدفه الأسمى، وان يكون هذا المؤلف دستورا للأجيال القادمة من أبناء بيت المشيخة وعموم شمر، فضلا عن كونه يمثل حيزا واسع المساحة من

تاريخ العروبة العريق، وأنموذجا وضاء للفروسية والنخوة ونكران الذات لدى الإنسان العربي الأصيل في انتمائه لأرضه وأبناء جلدته، ومن الله المنة والعون والرضا.

المؤلف
الدكتور
ثائر حامد محمد صوفي خضر
الموصل
٢٠١٣/٥/١ م

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد وعلى آله وصحبه وبعد: فإننا بدءاً نود أن نشير إلى أن الكتابة في المواضيع التاريخية الاجتماعية المعقدة التي تختص بالتجمعات القبلية العربية ليست بالأمر الهين، بل على العكس إذ غالباً ما يتجنب الباحثون العرب والأجانب على السواء الخوض في مثل هذه الموضوعات، ونستطيع القول أن الكتابة فيها أشبه ما تكون بالمغامرة، فقد لا يخرج الباحث بنتائج واضحة ومعلومات مؤكدة عن موضوع دراسته إذ تتداخل فيه الحقيقة مع الخيال والأسطورة مع الواقعة التاريخية، وتلعب العواطف والميول لعبتها في طرح الحدث التاريخي.

وهذا الجهد العلمي الذي بين يدي القارئ الكريم هو ثمرة جهد كتابي جاد خاضه الباحث واستمر فيه أكثر من أربع عشرة سنة، كان تردد الكاتب كبيراً قبل البدء به، بالرغم من أن الباحث كانت له معرفة بمادة موضوع بحثه، وتجول في خلجات نفسه محبة واحترام لآل محمد الجربا وشمر منذ الصغر، ومعايش لأخبارهم وفي تماس مباشر بالبادية من خلال أسرته.

فكان أن هيأت له الظروف بمشيئة الله تعالى أن يلتقي الباحث ببعض من شيوخ الجربا. ودار حديث طويل عن تاريخ شمر التجمع القبلي العربي العريق مذ رحيلها عبر مساحات الأرض العربية بين نجد وأراضي الجزيرة الفراتية في العراق وسوريا، وحاجة المكتبة العربية إلى بحث في هذا الموضوع التاريخي بأسلوب علمي موثق يبرز الجوانب القومية والوطنية لشمر، وما سجلته من أحداث تاريخية على هذه الأرض العربية. فكان هذا الحوار بمثابة رنين الجرس الذي أوقد في حس الباحث تلكم المشاعر والأحاسيس الساكنة في صدره، وأضحى الطريق أمامه ممهداً كي يجمع ويبحث ويدقق فيما دون وكتب عن الموضوع فضلاً عن قيامه بالتقصي والتجوال لأجل جمع الروايات والتحقق من صحة الأخبار والأشعار التي

قيلت ودونت، فكان خروج هذا البحث ثمرة الجهد والعمل الدؤوب الذي وجد الكاتب التفاني فيه لذةً وبالبحث عن مدوناته شرفاً وعزاً، نقلت الباحث خلاله إلى عالم آخر غير عالم المدينة والمدنية إلى عالم البداوة والصحراء والعروبة الحقة والنفس العربي الأصيل لدى شمر وشيوخها الجربا عبر التاريخ الحديث والمعاصر للعراق والأمة العربية.

لقد عني الباحث بجمع كل ما استطاع جمعه من معلومات حول موضوع دراسته وتقصى ما استطاع الوصول إليه من مصادر ومراجع ومدونات، ضمن حدود الواقع السياسي وظروفه الذي يعيش فيه وطنه مع الجوار والعالم، مقتفياً اثر باحثين ساروا من قبل في هذا الدرب الصحراوي، وكانوا قمماً في عملهم أمثال موزيل (Mussel) الذي دفع حياته ثمناً لبحثه عن قبيلة الرولة من عنزة بعد أن عاش بينهم عدة سنوات، والبارون ماكس اوبنهايم (Max oppenheim) الذي وضع كتاباً عن رحلته التي قام بها في أراضي سوريا والعراق[١]، وآخر يقع في أربع مجلدات بعنوان *البدو*[٢]، وقبلهما كانت السيدة آن بلنت (Anne Blunt) قد وضعت كتاباً عن قبائل الفرات[٣]، وغيرهم من الباحثين والرحالة.

لقد حاول الباحث في دراسته هذه أن يجمع بجدية ونشاط دؤوب بلا كلل ما استطاع الوصول إليه من مدونات ومعلومات خطية وروايات شفهية، باحثاً عن صحة الرواية وحقيقتها بين تلكم الأشعار والأخبار المدونة والمحفوظة هنا وهناك في ثنايا الكتب والمخطوطات. فضلاً عن ما تحفظه صدور الرجال بالرغم من ضياع الكثير مما حفظ من أخبار الماضين وأشعارهم، خاصة في الفترة النجدية من حياة هذه الأسرة النبيلة وشمر. وبإطار أكاديمي ينشد الجدية في تدوين النص والدقة في البحث عن الحقيقة، والابتعاد جهد المستطاع عن العاطفة والميل في الكتابة، كي يسمو هذا الجهد

(1). Max Von Oppenheim, Yom Mittelmeer zum Golf, Vol. -1-2 (Berleen: 1900).
(2). Max Von Oppenheim, Die Beduinen, Vol. 1 (Leipzig: 1939).
(3). Lady Anne Blunt, Edouin Tribes of the Euphrates, Vol. 1-2 (London: 1878).

الكتابي في نصوصه ومدوناته إلى المستوى الذي يليق بمن حوى أخبارهم بين طياته كسجل تاريخي موثق لأجيالهم القادمة.

أشتمل الكتاب على مقدمة وستة فصول، درس الفصل **الأول** منه نسب آل الجربا شيوخ شمر وأصل هذه التسمية (الجربا). ومن ثم الموطن الأول لشيوخ شمر، وتكوين هذا التجمع القبلي العربي المعروف بشمر على ارض نجد، مع الإشارة إلى أهم الأحداث التي عايشتها شمر في منطقة جبل شمر حتى وفاة الشيخ حميدي الأمسح.

وثاني الفصول جاء الحديث فيه عن مشيخة الشيخ مطلك الجربا وبعض من مآثره وأوضاع شمر على أرض نجد والصدام الدامي مع آل سعود وأتباعهم الوهابية وما رافق ذلك من أحداث حتى مقتل الشيخ مطلك.

أما الفصل الثالث فالحديث فيه جاء عن مشيخة فارس الجربا ورحيل شمر عن نجد إلى جنوب العراق، ومن ثم إلى أرض الجزيرة الفراتية، وطبيعة العلاقة التي كانت بين شمر والدولة العثمانية حتى رحيل الشيخ فارس وقبله ابن أخيه الشيخ بنية. ثم تطرق هذا الفصل إلى التقسيم القبلي لشمر بشكل عام.

والفصل الرابع قد تناولنا فيه فترة مشيخة سلطان البر الشيخ صفوك المحزم وما رافق مشيخته من أحداث استمرت حوالي ثلاثة عقود من الزمن، وتعد هذه الحقبة من تاريخ شمر من أدق الحقب التاريخية على أرض الجزيرة الفراتية. إذ تصدت شمر لعدوانين إيرانيين على العراق، وساعدت علي رضا باشا في قضائِه على حكم المماليك للعراق، كما أن أولى التوجهات القومية لشيخ عربي في العراق كانت للشيخ صفوك الجربا وما قام به لأجل تكوين كيان عربي على ارض الجزيرة الفراتية والعراق وتخليصهما من السيطرة العثمانية، متعاوناً في ذلك مع القيادة المصرية في الشام، ومن ثم دور الشيخ صفوك في تكوين إمارة آل رشيد في حائل. كما وقد أشار هذا الفصل إلى أهم الوقائع التي حدثت بين شمر وعنزة في هذه الحقبة الزمنية، ومن ثم جاء الحديث فيه عن فترة نفي الشيخ صفوك إلى اسطنبول واثر ذلك على شمر، مع بيان يد السلطات البريطانية في ذلك والدور الذي لعبته في ارض الجزيرة أثناء غياب الشيخ صفوك عن شمر و المنطقة، ثم ينتقل الحديث بعد ذلك إلى أوضاع شمر في أربعينات القرن التاسع عشر حتى مقتل الشيخ صفوك عام ١٨٤٧م.

والفصل الخامس من هذا المؤلف حوى في اسطره حقبة مشيخة الباشا فرحان وما رافقها من أحداث ضمن العلاقات العثمانية الشمرية، وثورة أبي خوذه الشيخ عبد الكريم الجربا. والاستقرار الريفي الأول لشمر في أرض العراق، ليأتينا الحديث بعد ذلك على بدايات التقسيم الحقيقي للمشيخة على شمر بين أبناء الشيخ صفوك.

ثم يكون الفصل السادس، الذي هو خاتمة البحث. إذ يعرض هذا الفصل لأوضاع شمر الداخلية بعد وفاة الشيخ فرحان، ومن ثم الشيخ فارس راعي البِّل، وموقف السلطات العثمانية من شمر. ومحاولتهم القضاء على وحدة هذا التجمع القبلي من خلال زرع الفتن الداخلية والصراعات بين شمر وما جاورها من أقاليم وتجمعات سكانية. ومن ثم يتعرض الفصل لعلاقة شمر وشيوخها الجربا بالثورة العربية الكبرى التي انطلقت من الحجاز عام ١٩١٦م وحمايتهم للأرمن، ودور الشيخ فيصل الفرحان في هذا الجانب فضلا عن موقف شمر من الاحتلال البريطاني للعراق، وإسهامهم الفاعل في ثورة العشرين، وظهور كل من الشيخين عجيل الياور وإدهام الهادي على مسرح الأحداث. لينتهي هذا الفصل بقيام الحكم الملكي في العراق عام ١٩٢١م.

تضمن هذا المؤلف العديد من الخرائط والمصورات التي وضعت توكيداً وتوثيقاً لما دون وحفظاً لتراث آل محمد ولشمر، كما حوى في طياته على العديد من الأشعار والقصائد النبطيةِ التي تعود إلى الحقب الزمنية التي عاش فيها الجربان شيوخ شمر على أرض الجزيرة العربية والجزيرة الفراتية، حفاظاً عليها وعلى قيمتها الأدبية والتاريخية من الضياع، التي حاول الباحث جمعها وتدوينها رغم صعوبة مثل هذا العمل لضياع أبياتٍ كثيرة منها أو لوجود التحريف والإضافة فيها نتيجة لتباعد الزمن وتناقلها من خلال الذاكرة من جيل لآخر عبر تباعد الزمان حتى وصولها إلى أيامنا هذه.

نود ونحن ندون هذه الأسطر أن نشير إلى جهود من سبقنا في محاولة القيام بجمع تراث شمر وتدوينه من أهل هذا البيت النبيل (آلمحمد). يأتي في مقدمتهم الشيخ صفوك عجيل الياور، ثم ما وجه به الشيخ أحمد العجيل إلى السيد أحمد السوري وغيرهم، لكن جهودهم لم تثمر عن عملٍ ظهر للعيان، ولم يبق الزمن لنا من جهودهم سوى بعض الكراسات الشعرية وأشرطة التسجيل التي حوت بعض الأشعار والقصائد القديمة التي كان قد جمعها الشيخ عبد العزيز الراكان.

وختاماً فإن الباحث لا يسعه إلا أن يسدي جزيل شكره وامتنانه إلى كل من مد يد العون وساهم بما لديه لأجل إخراج هذا العمل إلى القارئ الكريم، من أهل بيت المشيخة وعموم شمر، شاكراً لهم ما قدموه من مدونات ومعلومات تاريخية وشعرية، فضلاً عن الحفاوة والتقدير الذي لمسه الباحث من لدن الجربا شيوخ شمر خاصة ومن عموم أبناء شمر أثناء قيام الباحث بجمع الوثائق والتحقق من الأخبار عند مرحلة إعداد الكتاب. كما ويسجل شكره وامتنانه إلى كل العاملين في المكتبات العراقية ويخص منهم العاملين في المكتبة الوطنية ببغداد ومكتبة المتحف العراقي ومتحف الموصل الحضاري فضلا عن المكتبة المركزية لجامعة بغداد والموصل. مع خالص امتنانه إلى كل من قرأ النص أو ترجم للباحث نصوصاً أجنبيةً أو أسدى نصحاً وإرشاداً له لأجل الوصول إلى ما صار إليه هذا العمل المتواضع حتى خرج من المطابع إلى القارئ الكريم، سائِلاً المولى القدير عز وجل آن أكون قد أديت الأمانة التي حملتها على عاتقي تجاه شمر وشيوخها آل محمد وتجاه هذا الوطن الغالي وتأريخه المجيد، لأجل حفظ هذا التراث البدوي الأصيل والله الموفق لما فيه خير الجميع.

المؤلف
الدكتور
ثائر حامد محمد صوفي خضر
٢٠٠٠/١/١م

ضوء على ما كتب

قبل الدخول في صلب موضوع الدراسة المتعلقة بشمر وشيوخها الجربا علينا أن نعرض لبعض الكتابات التي تطرقت لهذا الموضوع وعالجت بعض جوانبه بشكل أو بأخر سواءً العربية منها أو الغربية، ويأتي في مقدمة باحثينا العرب الذين تطرقوا في كتاباتهم إلى شمر وشيوخها الجربا: المحامي والمؤرخ الأستاذ عباس العزاوي فيما دونه من خلال موسوعته المعنونة عشائر العراق التي تقع في أربعة مجلدات [٤] ،لعل شمر وشيوخها الجربا اخذوا فيها حيزاً واسعاً في الجزء الأول من هذه الموسوعة التي كان العزاوي صادقاً ومنصفاً فيما دون، ثم ما كتبه السيد وصفي زكريا عن عشائر الشام[٥]، وقد ركز زكريا في كتابته على شمر وشيوخها الجربا في القطر السوري الشقيق.

واتت كتابات الدكتور عبد العزيز سليمان نوار في كتابيه داود باشا[٦]، وتاريخ العراق الحديث[٧]، والبحث القيم الذي صدر له عن آل محمد الذي نشر عام ١٩٦٩م[٨]، فقد كان الدكتور نوار دقيقاً عند تدوينه للحدث التاريخي، واضحاً في إعطاء الصورة عن دور شمر وشيوخها الجربا السياسي على أرض الجزيرة الفراتية، لكن ما دونه كان ضمن عمل أشمل تمثل في تاريخ العراق الحديث سوى بحثه عن آل محمد الذي حاول فيه أن يعطي الحدث التاريخي حقه بما توفر لديه من وثائق وكتابات، وثمة باحث آخر أشار ضمن بحثه عن أنساب الأشراف والسادة الحسنيين والحسينيين هو

(٤) عباس العزاوي، عشائر العراق (بغداد: ١٩٣٧) ج١_ج٤.

(٥) وصفي زكريا، عشائر الشام (دمشق: ١٩٤٦).

(٦) د. عبد العزيز سليمان نوار، داؤد باشا والي بغداد (القاهرة: ١٩٦٧).

(٧) د. عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داؤد باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا (القاهرة: ١٩٦٩).

(٨). د. عبد العزيز سليمان نوار، آل محمد بيت الرئاسة على قبائل شمر، المجلة التاريخية المصرية (القاهرة: ١٩٦٩م) المجلد ١٥.

الشيخ محمد بن صالح البرادعي في كتابه الدرر السنية[٩]، وقد ثبت فيه نسب آل محمد الجربا وحققه ضمن الأشراف الحسنيين.

ويتقدم الزمان إلى أيامنا هذه ونرى أن ما خرج من المطابع عن شمر وشيوخها آل محمد الجربا ودورهم في مواجهة الحكم العثماني من كتابات لا ترقى إلى ما تم التنويه عنه، بل على العكس من ذلك فلقد ضعف القلم الكتابي إلى مستوى متدني في بعض الأحيان، فكتاب الظاهري عن آل الجرباء في التأريخ والأدب[١٠] كتب ضمن توجه فكري خاص بمؤلفه جعل الكاتب مجبراً على إخفاء بعض الحقائق التاريخية الثابتة أو تحريفها إرضاءً لذلك التوجه الفكري لمؤلفه بالرغم من أن الكتاب قد خرج من المملكة العربية السعودية، ومع محاولات الكاتب الجادة في جمع الروايات وما وصلت إليه يداه من أشعار وكتابات حول مؤلفه، لكنه وقع في كثير من المطبات التاريخية، ومنها عند بحثه عن نسب آل محمد الجربا، إذ يذهب بعيداً عن الصواب حينما يجعل نسب الجربا من الضياغم، فضلا عن أخطائه الأخرى التي وقع فيها خاصةً عند نقله لبعض الأشعار كان غير موفق. فقد ينسبها إلى غير أهلها أو ينقلها ناقصة أو محرفة، كل هذا جعلنا نقف أمام هذا المؤلف موقف الناقد الحذر رغم ما فيه من جهد كتابي وفائدة معرفية.

أما مؤلف الدكتور المعاضيدي عن بعض أنساب العرب[١٠] الذي خرج منه إلى الآن ثلاثة أجزاء، فإن وقوفنا عنده لن يكون طويلاً، لأن القصص الشعبي الذي لا يستند إلى أسس علمية واضحة كان الإطار العام لهذا المؤلف، وكان تحقق الباحث من الحدث التاريخي هامشياً فيما يخص التجمعات القبلية وبيوتاتها، بل أن الكاتب وضع هدفاً أسمى له تمثل في تمجيد المعاضيد من شمر في جزئه الأول، وتعداد رجال البيوتات من القبائل العراقية وأفخاذها في الثاني والثالث فضلا عن تصحيح ما وقع فيه من أخطاء في الجزء الأول في الثاني والثالث بأخطاء اكبر[١١]، وعليه فإن مؤلف المعاضيدي لا يعد من كتب

(٩) محمد بن صالح البرادعي، الدرر السنية في الأنساب الحسنية والحسينية (مكة المكرمة: ١٩٥٦).

(١٠) د. خاشع المعاضيدي، بعض من انساب العرب (بغداد: ١٩٨٦) ج١_ج٣.

(١١) نفسه، ج١_ج٣، أنظر صفحات عدة.

النسب قياساً بالأسلوبية التي عرفت عند مؤرخي الأنساب في تاريخنا العربي الإسلامي ومن سار على نهجهم، كما آن هذا المؤلف قد غابت عنه العديد من المصادر والمراجع والبحوث التي تخص موضوع بحثه، ومنها ما يخص شمر وقبائلها وشيوخها الجربا، فضلا عن القبائل الرئيسة الأخرى في العراق، مما جعلت بحثه تحف به الضبابية وعدم الوضوح والاعتماد عليه فيما يتعلق بنسب الجربا وتاريخ شمر في العراق يعد مجازفة تكتنفها الكثير من الأخطاء وأسطورية الرواية وبعدها عن الحقيقة.

ثم خرج إلى القارئ الكريم مؤلف السيد جاسم ذويب المعنون قبيلة شمر[١٢] وهو عمل يؤسفنا القول: أن هذا العمل الكتابي لا ينتمي إلى أساليب البحث العلمي الرصين، فهو جمع للمعلومات وكتابة غير موفقة على الإطلاق، إذ الخلط والخطأ العلميان صفة الكتاب المميزة وعنوانه البارز، ومصدر الباحث المقتبس عنه الكثير مؤلف الدكتور المعاضيدي. وما دونه ذويب عن آل محمد شيوخ شمر فيه خلط وتصحيف في الأسماء والتواريخ، ومداخلات بين الآباء والأبناء لا يمكن لأي باحث السكوت عنها دونما تصحيح وتثبيت لصوابها[١٣].

سار السيد جاسم على مسار الدكتور المعاضيدي في تقسيماته لبطون وقبائل شمر في المسميات[١٤] خطأً إلى شمر عبده، وشمر الصايح الخ، فهذا اجتهاد غير صحيح ويشوه هذا التجمع القبلي، لأن عبده وزوبع واسلم من شمر، وتكون مسمياتها هذه فقط، فضلا عن ما وقع فيه السيد جاسم ذويب بقصد أو دون قصد: عندما وضع بعض الصور ودون على واحدة من هذه

(١٢) جاسم محمود ذويب، قبيلة شمر (بغداد: ١٩٩٢).

(١٣) نفسه، حيث يضع ابناً للشيخ فرحان باشا اسمه حاجم، والكل يعلم أن الشيخ حاجم هو ابن الشيخ العاصي ابن الشيخ فرحان، ص ٣٣، ويجعل وفاة الشيخ عجيل الياور عام ١٩٧٢م، ص ٢٧، والحقيقة أن الشيخ عجيل الياور قد توفي في ١٩٤٠/١١/١٣م، ويذكر أن الشيخ أحمد العجيل كان على مشيخة شمر منذ عام ١٩١٧م، والواقع أن أحمد العجيل من مواليد ١٩٢٥م، ص ٥٤، كما ويذكر أن الشيخ فارس راعي البل ابن الشيخ صفوك ابناً للشيخ عبد الكريم الجربا وهو أخوه وليس أبنه، ص ٥٢.

(١٤) نفسه، ص ٤٤، ٥٨، المعاضيدي، مرجع سابق، ج١، ص ٣٣.

الصور التي هي لرئيس الصبحي إحدى قبائل شمر وتخص كنعان الصديد مدونا عبارة (شيخ شمر)[١٥]، وهو أمر لا يقره أي بدوي على أرض الجزيرة ونجد يجهل القراءة والكتابة، مع كل الاحترام لآل صديد. ولكن يجب آن يعطى كل ذي حقٍ حقه ومكانته، فلماذا هذا الخلط في الأنساب وإدخال بيوتات الحمائل بعضها ببعض.[١٦]

آما كتابات الشيخ يونس السامرائي[١٧]والعامري عن العشائر العراقية[١٨].فلا تستحق الوقوف عندها لأنها نقل غير أمين عن العزاوي وغيره، وتصحيف للأسماء والأنساب لا يمكن للبحوث التي تنشد جدية العمل الاعتماد عليها. خاصةً مؤلف السيد العامري الذي لا يستند إلى أي مصدر مدون، واعتماده الكلي في الكتابة على الروايات الشفهية وغير الدقيقة التي تفتقر إلى الصدق والمسؤولية في طرح الأخبار والأنساب، والهدف الأساسي من وراء جمعه لهذا الكتاب هو الكسب المادي وليس التوثيق العلمي الرصين، وهو في الحقيقة ثمرة الحصار الذي كان مفروضا على العراق.

ثم ظهر إلى القراء كتاب السيد أنور عبد الحميد السباهي <u>شمر وأمراؤها</u>[١٩]، اختص بشمر وشيوخها الجربا المتواجدين في القطر السوري الشقيق حالياً، وهو في الحقيقة عمل تجميعي وليس تأليفاً، إذ اجتزأ مقالات من كتبٍ وبحوثٍ ثم اعتبرها فصولاً في كتابه، ليتحول الكتاب بعدها إلى مجموعة من الصور وأسماء أصحابها.

ثم كان صدور كتاب ألأستاذ هشال عبد العزيز الخريصي المعنون <u>قبيلة شمر متابعة وتحليل</u>[٢٠]: وهو في الواقع مجموعة من الخواطر والمشاعر النبيلة تجاه شمر كتبت بأسلوبٍ أدبي رائع. لم يكن التوثيق التاريخي ذا تواجد واضح فيه، ولكن هذا العمل النبيل لم يسلم من السرقة إذ

---

(١٥) ذويب، مرجع سابق، ص ٥٨.

(١٦) زكريا، مرجع سابق، ج١، ص ٢٨٠، وأيد هذا الرأي المرحوم خالد عجيل من قضاة شمر من الصايح.

(١٧) الشيخ يونس السامرائي، القبائل العراقية (بغداد: ١٩٨٩) ج١_ج٢.

(١٨) ثامر عبد الحسن العامري، موسوعة العشائر العراقية (بغداد: ١٩٩٥) ج١_ج٩.

(١٩) أنور السباهي، شمر وأمراؤها (بيروت: ١٩٩٥).

(٢٠) هشال عبد العزيز الخريصي، قبيلة شمر متابعة وتحليل (لندن: ١٩٩٨).

قام المدعو عليان السكب بسرقة نص كتاب الأستاذ الخريصي ووضع له عنوان قبيلة شمر الطائية[21] دون أدنى خجل من مثل هذا العمل.

وان أخر عملٍ كتابي اطلع عليه الباحث مكتوباً بلغة الضاد هو المؤلف الهش في البناء الفكري والنصي الذي ألفه السيد عبد الطيف الجبوري عن الشيخ عجيل الياور[22]، والجبوري في كتابه هذا ليس بعيداً عن عليان السكب في سرقته للنصوص الكتابية من مصادرها دون الإشارة إلى جهود من ألف هذه الكتب، ثم انه يذكر في كتابه مصادر ووثائق هو ابعد ما يكون بإمكانه الوصول إليها، خاصة إذا علمنا انه لا يجيد ابسط قواعد البحث العلمي ومنها على سبيل المثال لا الحصر كيفية الإشارة إلى المصادر والمراجع التي كانت جلية للعيان في كتابه، وقد شوه الكاتب رغم الدعم الذي حضي به من لدن أحفاد الشيخ عجيل الياور صورة هذا الرجل وتاريخه على مشيخة شمر وكأن الكتاب لم يقرأ من قبل أسرة الشيخ عجيل الياور وهو في مرحلة المسودة قبل الطبع.

أما الدراسات التي ظهرت بعد العام ٢٠٠٨م التي اختصت بالتجمعات القبلية سواء في العراق أو ببلاد الشام، والتي اطلعنا عليها فيما يخص شمر أو غيرها من الحمائل العربية، فهي لا تعدو في كتاباتها أسلوب كتابات السامرائي والعامري وعبد اللطيف الجبوري. لا تستحق منا ذكرها أو الوقوف عندها، لأن الكسب المادي هو اسما غايات كتابها.

أتت أدق الدراسات الغربية الرصينة التي عالجت تاريخ شمر بحسب علمنا ما قام به الباحث الأميركي ويليمسن (Williamson) من إنجاز أطروحة دكتوراه عن التاريخ السياسي لشمر الجربا على ارض الجزيرة الفراتية ما بين عامي ١٨٠٠-١٩٥٨م[23]، ضمن الدراسات المتعلقة بالتجمعات القبلية، وهذه الدراسة تعد بحق من الدراسات القيمة التي كتبت عن

(٢١) عليان السكب، قبيلة شمر الطائية، ليس على الكتاب أية معلومات أخرى تخص النشر، لدى الباحث نسخة منه.

(٢٢) عبد الطيف عيسى الجبوري، عجيل الياور أمير بادية الجزيرة (بغداد: ٢٠٠٠).

(23) John Willamson A Political History of The Shammar Jarba Tribe of Al-Jazirah, 1800-1958. (USA: 1974)

شمر لولا بعض النقص الذي فيها، لأن الباحث لم يزر أرض شمر ويعايش أفرادها، بل جعل اعتماده الكلي على المؤلفات والوثائق، مما جعل بحثه فيه بعض النقص في توضيح الأحداث التاريخية، ونظرته الكتابية أضحت وثائقية المنهج في طرحه لآرائه فيما دون، وفيها الكثير من القسوة والتجني في اللغة التي كتب بها الباحث عن شمر وشيوخها الجربا.

ترجمت الأطروحة إلى العربية من قبل مير شاؤول بصري ترجمة غير موفقة للغاية، بعد أن حذف منها بعض النصوص [٢٤] ،لذا لم نعتمدها في بحثنا هذا، وبقي اعتمادنا على النص الإنكليزي الذي كتبت به الأطروحة أصلاً، ومن ثم نشرنا لاحقا الترجمة الكاملة لها التي قام بها الدكتور جوزيف نادر بولص، وقدم لها وعلق على نصوصها كاتب هذه السطور [٢٥] وكان قد أعيد طبع ترجمة مير بصري من قبل مدير الدار العربية للموسوعات خالد عبد المنعم العاني بعد أن سطت عليها دار النشر هذه دون موافقة دار النشر الأولى للكتاب، مع إضافة نصوص كتابية إليها وجعلها جزا من النص الأصلي وهو في الحقيقة تزوير للنص لم يقم وليمسن بكتابته، مع إبقاء الدار على الأخطاء الطباعية التي كانت في طبعة بصري الأولى دون مراجعة لها أو فحص النص المطبوع، لأن الكسب المادي لصاحب الدار لص المطبوعات خالد العاني كان الهدف الأساس من وراء إعادة طبع النص في بيروت.

(٢٤) جون وليمسن، قبيلة شمر العربية مكانتها وتاريخها السياسي١٨٠٠-١٩٥٨م، ترجمة مير بصري (لندن: ١٩٩٩)، أعادت الدار العربية للموسوعات طبع الكتاب بنفس العنوان والترجمة ببيروت عام ٢٠٠٠م.

(٢٥). وليمسن، التاريخ السياسي لشمر الجربا قبيلة من الجزيرة ١٨٠٠-١٩٥٨م، ترجمة د. جوزيف نادر بولص، تقديم وتعليق د. ثائر حامد محمد (عمان: ٢٠١٠م).

الفصل الأول

الجذور

مدخل

قال عّزمن قائل في قرأنه المجيد: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله اتقاكم)[1]، وفي الحديث عن رسول الله (ﷺ) انه قال: (تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم. فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في الأثر مرضاة للرب).[2]

وعلم الأنساب من العلوم العربية الخالصة التي لم تعرفها أمة من الأمم قبلهم، بحيث أن العرب قسموا مجتمعهم إلى شعوب وقبائل وعمائر وأفخاذ الخ، ووضعوا السلاسل النسبية لها معتمدين في ذلك على الروايات الشفهية والمكتوبة موزعين العرب بين قحطان وعدنان.. يقول النويري في هذا العلم: (ومعرفة انساب الأمم افتخرت به العرب على العجم لأنها احترزت على معرفة نسبها. وتمسكت بمتين حسبها. وعرفت جماهير قوتها وشعبها، وأفصح عن قبائلها لسان شاعرها وخطيبها، وتحدث برهطها وفصائلها وعشائرها وحالت إلى أفخاذها وبطونها وعمائرها)[3].



(١). القرآن الكريم، سورة الحجرات: أية ١٢.
(٢). ابن حزم الأندلسي، جمهرة انساب العرب (القاهرة: ١٩٨٢) ص٣، احمد بن حنبل مسند الإمام احمد (بيروت: ٢٠٠٤) ج٥، حديث رقم ٨٨٦٨.
(٣). سمير قطب، انساب قبائل العرب (بيروت: ١٩٨٤) ص١٣.

جذور نسب الجربا

إذا ما أردنا الخوض في بحر هذا العلم اللجب بأسماء قبائله وأفخاذها أملين من ذلك الوصول إلى نسب آل محمد الجربا قادة شمر وبيت الرئاسة عليها بدأ في بحثنا لتأريخ شمر: تمر أمامنا عدة روايات إخبارية آتت عبر الرواية المدونة في ثنايا الكتب، أو بالمشافهة، صبت آراؤها في عدة مناهل سنحاول عرضها وإخضاعها إلى النقد العلمي دونما أدنى تحزب لرأي على حساب الأخر.

أولها: ارجع نسب هذا البيت إلى القبيلة العربية القحطانية (طي) [٤] إما بشكل مباشر أو بربط نسبهم بقحطان عبر قبيلة عبدة القحطانية من خلال الضياغم أحد فروعها[٥]، وعند مناقشة هذا الرأي فإننا نراه يرجع نسب هذا البيت إلى قحطان عبر خطين يلتقيان في اليمانية عند جدهم الأعلى قحطان، والربط بطي مباشرة رأي عام لا تؤيده الوثائق التي توفرت لدينا وسوف نأتي عليها فيما بعد، ولكن لسخاء أيادي أهل هذا البيت وعلو منزلة الكرم لديهم شبهوا بكرم الطائي حاتم، خاصة وأن لآل محمد الجربا صلة نسب قوية بطي لأن جدهم سالم الذي تبلور على يديه كيان شمر الحالي أخواله الفضول من بني لام من طي.

أما الخط الثاني فيتسم بدقة أكثر حينما يتخذ من إحدى القبائل الشمرية القحطانية عبدة منطلقاً من الضياغم الأصل الذي يلتحق به آل محمد الجربا، وهذا الرأي ارتجالي لا يستند إلى مصدر مدون موثوق فضلاً على أن قائله لا يملك شجرة نسبية يثبت من خلالها صدق ما ذهب إليه في فرضيته هذه،

(٤). عثمان ابن سند الوائلي، مطالع السعود في طيب أخبار الوزير داؤد (بغداد: ١٩٩١) ص ٢٨٦، المعاضيدي، مرجع سابق، ج١، ص٣١، الظاهري، مرجع سابق، ص ١٧، ٢٠.

(٥). الظاهري، مرجع سابق، ص٢٠، ٥٥.

وإنما جاء عمله لخدمة أغراض خاصة به[٦] لا يهمنا الخوض فيها، ومما يضعف هذا الرأي بشقيه مع اعترافنا بكبر مكانة طي وعبدة العربيتين الأصيلتين، أن التراث الشعري البدوي يقف بعيدا عنه ولا يؤيده ببيت شعري واحد صحيح موثوق، ونضيف إلى ما تقدم أن قبيلة عبدة هي القبيلة الشمرية الأولى في نجد حالياً وخرج من بيوتاتها (آل علي) وآل رشيد حكام حائل الرؤساء على شمر نجد خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ولكن الجربا هم شيوخ شمر أينما وجدوا سواءً في العراق وبلاد الشام أو في نجد، أو أينما كان لشمر منزل، فهم الشيوخ على عبدة فكيف يكونون قد خرجوا من أحد فروعها ورضي آل علي برآ ستهم، فزعامتهم هي لكافة قبائل شمر، وكلامهم مسموع من قبل كل أبداد شمر سواءً في ارض الجزيرة الفراتية أو في نجد.

وثمة راي لم نرد ذكره لولا انه متداول على نطاق محدود على ارض الجزيرة الفراتية، وخاصة من قبل الأقوام غير العربية الساكنة مع شمر، إذ ترجع نسب آل محمد الجربا الى البرامكة الفرس دون ذكر للسند او الطريق الذي يربط نسب هذا البيت الكريم بهذه الاسرة القديمة. ولكننا وبعد البحث والتقصي تبين لنا ان هذا القول موجود في ارض الجزيرة الفراتية منذ قرون على لسان سكانها، ولكن و بحسب ما يروي المؤرخون كالصفدي[٧] وابن خلدون في كتابه العبر[٨] والقلقشندي في كتابه قلائد الجمان[٩]، فإن اسرة آل ربيعة الطائيون بيت المشيخة على (طي) كانوا يروون هذا النسب

(٦). نفسه، ص٥٥.

(٧). خليل بن ايبك الصفدي، الوافي بالوفيات (بيروت: ٢٠٠٠م) ج٦، ص١٨٨-١٨٩.

(٨). عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى العبر (بيروت: ٢٠٠٠م) ج٥، ص٤٩٩-٥٠٠.

(٩). ابو العباس احمد بن علي القلقشندي، قلائد الجمان في التعريف بعرب الزمان (بيروت: ١٩٨٢م) ص٧٣-٧٤.

لمن يسألهم عن جذور نسب اسرتهم، فيقولون انهم من ولد العباسة اخت هارون الرشيد من جعفر البرمكي، وقد اعاب المؤرخون هذا القول عليهم وبينوا انهم اصل العرب ولبهم من القحطانية ورأس ارومة طي، ولا يمكن ان يرجعوا بنسبهم هذا الى الفرس، كما ان رواية زواج العباسة من جعفر البرمكي هي رواية من نسج خيال الفرس للطعن في الأنساب العربية النبيلة وليست حقيقة تاريخية.

اذن فلقد اتضح لنا كيف كان جذر هذه الرواية تاريخيا، وعندما جاءت شمر وشيوخها الجربا الى ارض الجزيرة الفراتية، وتزوج الشيخ صفوك من الشيخة عمشة الحسين بنت شيخ طي، اخذ بعض المغرضين ممن يدفعون الخوة لشمر خاصة من بعض القوميات غير العربية والقبائل العربية الضعيفة يلمزون اسرة آل محمد بهذا النسب، في حين ان كرم اهل هذا البيت النبيل الذي شبه يكرم البرامكة المذكور في كتب التراث الادبي الإسلامي، وبهذا يكون قد حل هذا اللغز وتبين انه لا صلة لآل محمد الجربا به، والنمز به لهم على ارض الجزيرة الفراتية وهو مقرون بمشيخة طي على هذه الأرض من خلال قول اسلافهم، ولا اصل لهذا الخبر مع شمر وشيوخها الجربا على ارض نجد.

والرأي التالي يرجع نسب آل محمد الجربا إلى أشراف مكة من آل قتادة الذين هم من نسل الإمام علي (رضي الله عنه) من ابنه الحسن (رضي الله عنه)، وقد ذكره وتحقق من صحته المؤرخ الشريف محمد بن صالح البرادعي في كتابه الموسوم: <u>الدرر السنية في الأنساب الحسنية والحسينية</u> إذ يقول: ومن ذرية محمد بن بركات آل محمد وعدادهم في شمر، ويعرفون بالجربا. [10] وكذلك أكده عميد الأشراف في مكة المكرمة

(١٠). البرادعي، مرجع سابق، ص٢٩، لحمد عبد الرضا كريم، الأنساب المنقطعة (القاهرة: ١٩٩٩م) ص٣٣٠ إذ يؤكد ما ذهب إليه البرادعي من صحة نسب الجربا إلى الهواشم الحسنيون.

الشريف علي بن احمد بن منصور الكبريتي في وثيقته المؤرخة في المحرم من عام ١٣٨٤هـ، ايار من عام ١٩٦٤م. و جاء فيها:

(بسم الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين

آما بعد: انه بمقتضى ما عرضه علينا الأشراف من بركات الذي جلى من مكة المكرمة إلى نجد الشمالي وسكن جبلي أجا وسلمى وصح أن بركات المنوه عنه كان أميراً في مكة في ذلك العصر وجلى إلى نجد الشمالية واستوطن جبل أجا، ونجد نسبهم حتى سالم بن محمد بن بركات هذا صحيح لا ريب فيه، لأن بركات انف الذكر ثابت اسمه لدينا في شجرة الأشراف أهل مكة والحجاز، ولما تحقق عندنا ذلك النسب لذا نكون قد أدينا واجبنا تجاه أبناء عمومتنا لاعتماد ذلك النسب وتخليده. وأختامنا في ذلك عمدة وبالله الاعتماد) [١١].

الشريف محمد شرف، الشريف علي بن احمد بن منصور، الشريف محمد سند الجودي.

وأضاف الكبريتي عميد أشراف مكة المكرمة بقوله: **(أنا علي بن احمد بن منصور قد آتانا الجربان من ذرية الشريف سالم بن محمد بن بركات بن الحسن بن عجلان، وان المذكورين ينتسبوا إلى بركات وهذا نسبه صحيح عندنا مدون في نسبه)** [١٢].

كما أكد هذا النسب كذلك كلاً من المحامي عباس العزاوي في مخطوطته عن نجد، وأشار إليه كذلك في كتابه عشائر العراق[١٣] والدكتور عماد عبد السلام رؤوف في كتابه عن إدارة العراق الذي اعتمد في تأليفه

(١١). عبد اللطيف الشيخ علي المحاميد، من شجر الأنساب (سوريا: ١٩٩٨م) ج١، ص١١٢-١١٣، وقد قام الباحث بتدقيق الأسماء الواردة في النص وضبطها.

(١٢). نفسه، ص١١٣.

(١٣). عباس العزاوي، المجموعة الكبرى مخطوط في المركز الوطني للمخطوطات، بغداد تحت رقم ١٠٦٥٧، ورقه٣، عشائر العراق، ج١، ص١٣٢، ١٣٥.

على مخطوط السهروردي بشكل كبير[١٤]، كما ذكر هذا النسب البارون ماكس اوبنهايم ولكنه ارجع نسبهم إلى العباس بن عبد المطلب[١٥]، وفي خبر اخر ارجعهم إلى الأنصار من اهل المدينة[١٦]، فضلا عن توثيق الديوان الهاشمي في الأردن نسب الجربا إلى الهواشم للشيخ الشهيد شعلان منيف الفيصل[١٧].

ومما يزيد في توكيد الموطن الحجازي للجربا: وصف كاتب لقيادة شمر بالصفات الحضارية المدنية التي عكستها على بداوة الصحراء، وعلى أفراد شمر. وجسدها هذا البيت ببذورهم المكية ونسبهم الهاشمي في أسلوب القيادة إذ يقول: كانت قيادة شمر والعقلانية عند مشايخهم ذات شكل هادئ يسوده الحوار، وطريقة مثالية قد لا تنتهي بالحسم العاجل، وهي من خلال كل المؤشرات تتعدى الإطار والأسلوب القبلي حيث يتوافر في الموقف عندهم أبعاد ونتائج مرحلية وذات بعدٍ مستقبلي[١٨].

فضلاً عما يتناقله أهل هذا البيت جيلاً بعد آخر من أنهم ينتسبون إلى الأشراف الحسنيين[١٩]، ليأتي الشعر البدوي ويؤكد هذا الرأي عبر مدح الشعراء لأهل هذا البيت وذكرهم لبطولاتهم وأمجادهم فيذكر نسبهم الشريف ومنها قول الشاعر عامر السمن في الشيخ مطلك الجربا المتوفى في عام ١٧٩٨م:

سيدٍ من سيدٍ متسلسلي　　　ما بين طه والبتول والولي[٢٠]

---

(١٤). د. عماد عبد السلام رؤوف، إدارة العراق في العهد العثماني (بغداد: ١٩٩٢م) ص١٤٣.

(١٥). البارون ماكس اوبنهايم، البدو، ترجمة مشيل كيلو واخرون (لندن: ٢٠٠٤م) ص٢٥٣.

(١٦). البارون ماكس اوبنهايم، رحلتي من البحر المتوسط الى الخليج، ترجمة محمود كبيبو (لندن: ٢٠٠٤م) ج٢، ص٨٢.

(١٧). مقابلة شخصية مع المرحوم الشهيد الشيخ شعلان منيف الفيصل ٢٠٠٣م.

(١٨). الخريصي، مرجع سابق، ص٥٣.

(١٩). البرادعي، مرجع سابق، ص ٢٩، المعاضيدي، مرجع سابق، ح١، ص ٣٢-٣٣.

(٢٠). من التراث الشعري الشمري.

وقول الشاعر محمد بن ربيعة في الشيخ صفوك الجربا الذي قتل غدراً عام ١٨٤٧م:

الله يـــــا ركـــــب تكلـــــل هميمـــــه

عوجـــوا اركـــاب الهجـــن ياركـــب لمجـــيم

لـــــبن الكـــــرام الهاشـــــمية الكريمـــــة

ياركـــــب روحـــــوا بالتحيـــــة وتســـــليم[٢١]

وكان قبلهما الشريف محمد الحراث قد أشار في قصيدته التي قالها بعد أن حارب عبدة ومن ثم باقي أبداد شمر في حدود عام ١٦٨٠م وانتصروا عليه، ووقع في اسر شمر فعزز وكرم كما بينت لنا أبيات القصيدة التي سوف نوردها كاملة فيما بعد، فيذكر فيها: صلة النسب بينه وبين الجربا وبعض من أبداد شمر فقال:

ضيمي بني عمي مكارم لابتي

ارجـوا علـى كبـدي حاميـات المخـاطر

وحلف الشريف محمد الحراث أن لا يغزو ارض شمر بعد هذه المعركة مرة أخرى وهم أهله وأبناء عمومته.

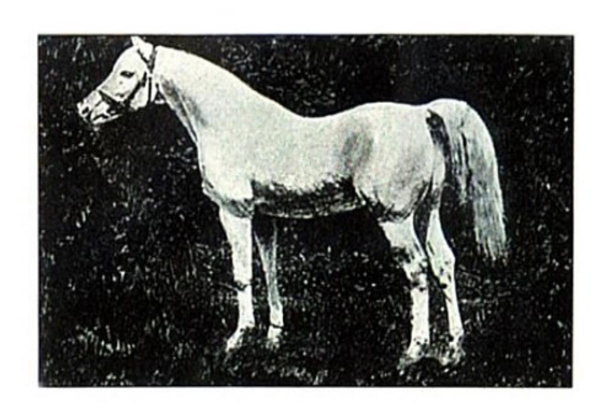
وهذا الرأي هو الأصل في نسب أهل هذا البيت العربي لما فيه من صواب الأدلة التي يتقدمها قول الأشراف في إثبات صلة العمومة بهم وفي مقدمتهم الديوان الهاشمي في الأردن، مضافا اليه ما يتمتع به آل الجربا من احترام ومكانة لدى القبائل العربية. وعلى الأخص قبائل شمر ما يماثل احترامهم لبني هاشم من السادة والأشراف أو يزيد[٢٢]، ويؤكده مؤرخ العشائر الشامية وصفي زكريا بقوله فيهم: "إن آل الجربا من الأصول الراسخة

(٢١). نفسه.

(٢٢). لاحظ الباحث هذا عند تجواله بين مناطق شمر التي تقع في إقليم الجزيرة الفراتية.

والأمجاد الباذخة وذيوع الصيت وأتساع الملك والثروة والنفوذ وصدق المواقف الوطنية "[٢٣].

ولآل الجربا أعراف وعادات لا نجدها في الغالب ألا عند الهواشم من قريش، خاصة عند آل علي بن آبى طالب «ﷺ» عنهم. ومنها على سبيل المثال لا الحصر: أن ليس للمحمدي دية إذ ما قتل، لأن مكانته النسبية الشريفة لا يعوضها مال مهما كان حجمه[٢٤]، وفي العرف السائد بين أفراد شمر انه إذا ما قام طفل صغير من آل محمد بضرب شمري فإن الأخير لا يجرؤ على أن يرفع يده ويرد على الضربة [٢٥]، كما أن في العادة أن آل محمد الجربا لا يزوجون بناتهم خارج أهل هذا البيت وهو عرف قديم عند بني هاشم.



(٢٣). زكريا، مرجع سابق، ج١، ص١٨٩.
(٢٤). نفسه، ج٢، ص٦٢٩-٦٣٠.
(٢٥). اوبنهايم، البدو، ج١، ص٢٣٤.

في أرض الحجاز

في الجنوب الغربي لقارة آسيا استقرت الأرض التي عرفها العالم بشبه الجزيرة العربية جغرافيا وببلاد العرب تاريخياً، لقد خرجت عن هذه الأرض عبر حقب التأريخ موجات تلو الموجات من القبائل العربية المهاجرة إلى العراق وبلاد الشام ومصر وشمال أفريقيا. قسم الجغرافيون العرب القدامى أرض شبه الجزيرة العربية إلى ستة أقاليم (الحجاز، اليمن، حضرموت، عمان، الإحساء ونجد)[٢٦].

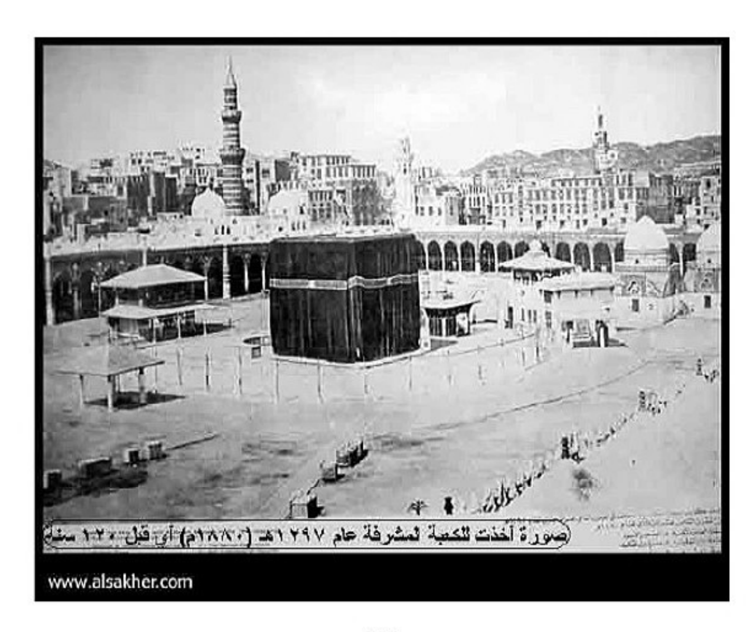
سكن أجداد آل الجربا بيت الرئاسة على شمر إقليم الحجاز الذي يحتل الجزء الغربي من أرض شبه الجزيرة العربية[٢٧]، ويعرف الجغرافيون العرب الحجاز بأنها: الجبال الحاجزة بين الأرض العالية في الشرق (نجد) والسهل الواطئ في الغرب (تهامة)، وبناءً على ما تقدم فأن الحجاز تمتد من خليج العقبة شمالاً إلى عسير جنوباً، والسائد أن تهامة من ضمن أرضها[٢٨].

يبلغ طول هذا الإقليم من الشمال إلى الجنوب ٧٠٠ ميل، ومن الشرق إلى الغرب ٢٥٠ ميل[٢٩]، وهو كثير الجبال والوديان والشعاب، واهم مدنه مكة المكرمة، المدينة المنورة، الطائف وينبع. وتعد مكة المكرمة أقدس بقعة على وجه الأرض لما خصها الله عز وجل عندما آمر نبيهِ إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام ببناء الكعبة المشرفة على أرضها التي أصبحت (مثابةً للناس وأمناً) [٣٠].

---

(٢٦). إسماعيل حقي جارشلي، أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني، ترجمة د خليل علي مراد (البصرة: ١٩٨٥) ص ٩.
(٢١). نفسه.
(٢٨). نفسه.
(٢٩). الحسن بن احمد الهمداني، صفة جزيرة العرب (بغداد: ١٩٨٩) ص ١٠.
(٣٠). القرآن الكريم، البقرة، أية ١٢٥.

سكنت قبيلة قريش العدنانية هذه الأرض المباركة، واستطاع كبيرها قصي بن كلاب أن يجعل من قريش سيدة على القبائل العربية بلا منازع من خلال إشرافهم الكامل على رعاية الحجيج وخدمة البيت العتيق قبل الإسلام، لتسمو مكانتها بمبعث فخر الكائنات محمد بن عبد الله من بني هاشم أنبل بطون قريش، وبعد انتشار الإسلام وتوسع الدولة العربية الإسلامية خلال العصرين الراشدي والأموي، ونزوح الكثير من القبائل العربية إلى الأمصار، بقي من أحفاد علي بن أبى طالب ﴿رضي الله عنه﴾ من نسل ولديه الحسن والحسين ﴿رضي الله عنهما﴾ عنهما في مكة المكرمة ولم يغادروها، ومنهم سلف آل محمد الجربا من نسل الحسن السبط ﴿رضي الله عنه﴾ الذين سنروي عنهم ما وفره لنا التأريخ المدون والخبري ما كان بالمستطاع جمعه وتدوينه من بين ثنايا المصادر والمراجع. الذي سيكون لنا المدخل للوصول إلى التكوين الأولي لتجمع شمر الحالي ورئاسة أهل هذا البيت الكريم عليها، متوخين في بحثنا هذا استقراء ما دونته لنا المصادر التاريخية، متخذين من الموضوعية العلمية منهجاً في استخدام تلك النصوص المدونة هنا وهناك في هذه الكتب والمرويات.



تراث الأجداد

بعد ما قدمنا الآراء التي ذكرت عن نسب آل محمد الجربا سندخل في صلب نسبهم المدون، معتمدين في ذلك على ما لدى الأشراف في مكة المكرمة من سلسلة نسبية، وعلى ما قدمته لنا كتب التأريخ من أخبار، فضلاً عن ما أكدته الرواية الشفهية بعد إخضاعها للنقد الخبري الدقيق، ومبتدأ سلسلة آل محمد حسبما نراه أن يدون هو من:

الإمام علي بن أبي طالب ﴿رضي الله عنه﴾، توفي عام: ٤١هـ/٦٦١م.

الحسن السبط ﴿رضي الله عنه﴾، توفي عام: ٤٩ هـ/٦٧٠م.

الحسن المثنى، توفي عام: ٨٢ هـ/ ٧٠١ م.

عبد الله المحض، توفي عام: ١٤٥هـ/٧٦٢م.

موسى الجون، توفي عام: ١٨٠هـ/٧٩٦م.

يكنى أبا الحسن، وقيل أبا عبد الله، وهو أخو محمد ذو النفس الزكية وإبراهيم وأمهم هي هند بنت عبيدة بن عبد الله بن ربيعة بن الأسود بن عبد المطلب [٣١]، كان أسمر اللون فلقبته أمه بالجون، وكانت ترقصه وهو طفل وتقول:

إنك أن تكون جوناً أفزعا   يوشك أن تسودهم وتبرعا[٣٢]

عبد الله الشيخ الصالح، توفي عام: ٢٤٨هـ/٨٦٢م.

كان يلقب بالرضي صالحا تقيا ورعاً

موسى الثاني، توفي عام: ٢٥٦هـ/٨٧٠م.

يكنى أبي عمرو، وكان زاهداً متعبداً ورعاً راوياً للحديث، مات مسموما

محمد الثائر، توفي عام: ٢٥٦هـ/٨٧٠م.

(٣١). ابن عنبه، عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب (النجف: ١٩٧٠م) ص١٠٣.
(٣٢). البرادعي، مرجع سابق، ص ١٩.

وهو محمد الأكبر، لقب بالثائر لأنه خرج ثائرا على الخليفة المهتدي بعد موت أبيه عام ٢٥٦ هـ، ٨٧١م. وقد قتل في نفس السنة من قبل أحد القادة الأتراك وهو في طريق حمله إلى الخليفة المهتدي[٣٣] بعد أن خرج عليه عام ٢٥٦ هـ/ ٨٧٠م، ويكنى بأبي جعفر.

عبد الله الأكبر:

محمد المعروف بثعلب ويكنى بأبى جعفر:

عبد الله:

على:

يكنى بابن السلمية لأن أمه بنت رجال السلمي.

سليمان.

الحسين.

عيسى.

عبد الكريم.

مطاعن.

إدريس. [٣٤]

أبو عزيز الشريف قتادة الأكبر، توفي عام: ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م.

ولد أبو عزيز بينبع ثم أصبح حاكما عليها بعد أن كان هو وأهله ينزلون عند نهر العلقمة من وادي ينبع، وكانوا ظعائن بادية، فقام الشريف قتادة (النابغة) كما يسمى، جمع أهله وقومه من ذوي مطاعن واركبهم الخيول وكانوا أهل حرب، واستطاع أن يدخل مكة ويأخذها من بني فليتة أولاد عمومته عام ٥٩٧هـ/١٢٠١م، ليسيطر بعد ذلك على كامل الجزء الغربي لشبه الجزيرة العربية واليمن، فضلاً عن نجد، بجيشه المكون من العرب والترك وكان ممن يعتنقون المذهب الزيدي. [٣٥]

---

(٣٣). أبو الفرج الأصفهاني، مقائل الطالبيين (بيروت: ١٩٦٥م) ص٢٢٣.

(٣٤). البرادعي، مرجع سابق، ص٢٧.

(٣٥). نفسه، ص٢٧.

ووصفه المؤرخ القلقشندي فقال: "ملك مكة من يد الهواشم بعد أن ملك ينبع والصفراء... ، لم يقدم على أحد من الخلفاء والملوك، وكان يتعاظم على الناصر لدين الله الخليفة العباسي ويقول: أنا أحق بالخلافة منه، وكتب إليه الناصر يستدعيه إليه في بعض السنين فكتب في جوابه هذه الأبيات:

بلادي وإن هانت عليك عزيزة	ولو أنني أعرى بها وأجوع
ولي كف ضرغام أذل ببطشها	وأشري بها بين الورى وأبيع
تظل ملوك الأرض تلثم ظهورها	وفي بطنها للمجدبين ربيع
أأجعلها تحت الرحى ثم ابتغي	خلاصاً لها إني إذن لوضيع
وما أنا إلا المسك في كل بلدة	يفوح وأما عندكم فأضيع[٣٦]

توفي الشريف قتادة عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م. [٣٧]وبقيت الإمارة على مكة في عقبه إلى عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م عندما تنازل عنها الأمير علي بن الشريف الحسين إلى الملك عبد العزيز آل سعود.

<u>علي الأكبر،</u>

<u>الحسن</u> توفي عام ٦٥١هـ/ ١٢٥٣م.

بقي أميراً على مكة من عام ٦٣٩هـ/١٢٤١م ثم إلى عام ٦٥١هـ/١٢٥٣م[٣٨]، لقد حدث صراع مرير بين الأشراف والحكام الأيوبيين في اليمن، ومن ثم مع مماليك مصر حول إمارة الحجاز منذ عهد الحسن ومن أتى بعده، سفكت خلالها دماء غريرة، استطاع أشراف مكة الحسنيون من أحفاد قتادة أن يحافظوا على منصب إمارة مكة والحجاز في أيديهم. [٣٩]

---

(٣٦). القلقشندي، قلائد الجمان، ص١٦٢.

(٣٧). زمباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة د زكي محمد حسن (بيروت: ١٩٨٠م) ص ٣١.

(٣٨). نفسه، ص٣١.

(٣٩). جارشلي، مرجع سابق، ص ١٠٠.

والشريف الحسن يكنى بأبي سعد. [٤٠] وكان فاتكاً جريئاً شجاعاً، توفي مقتولاً من قبل أحد أبناء عمومته.

<u>محمد أبو نمي الأكبر</u>، توفي عام: ٧٠١هـ/١٣٠٢م.

يكنى نجم الدين تولى إمارة مكة لفترات امتدت من عام٦٥٢ إلى ٧٠١هـ/١٢٥٤ -١٣٠٢م. وتوفي بعد أن ترك ٣٠ ولداً بين ذكرٍ وأنثى. [٤١]

<u>رميثه</u>، توفي عام: ٧٤٦هـ/١٣٤٥م.

أبو المغيث، منجد ويلقب أسد الدين. تولى إمارة مكة لفترات امتدت من عام: ٧١٠ إلى ٧٤٦هـ/ ١٣٠٢-١٣٤٥م. [٤٢]

<u>عجلان</u>، توفي عام: ٧٧٧هـ/١٣٧٥م.

عز الدين أبو سريع، تولى إمارة مكة بين عامي ٧٤٦ إلى ٧٧٧هـ/١٣٤٥ إلى ١٣٧٥م. كان مطاعاً مهاباً عند أهل مكة، قتل أخاه الشريف احمد في العراق فمنع الشريف عجلان الحاج العراقي من المجيء إلى مكة مع محملهم، فبقي الحجيج العراقي ٧ أعوام يأتون مع المحمل الشامي إلى مكة للحج، ثم أرسل الشريف عجلان إلى العراق بعد مراسلات جرت بينه وبين والي العراق أبو الحسن الجلائري ابنه الشريف الخرص وتم الصلح بين الشريف عجلان وأهل العراق، وعاد الشريف الخرص من العراق ومعه أموال عمه احمد التي له في العراق فعاد الحاج العراقي يأتي بمحمله إلى الحج[٤٣].

لعل الشريف الخرص هذا هو جد الخرصة من شمر الذين خرجوا مع الشريف محمد الجربا من مكة، وهم اقرب البيوتات من شمر إلى آل محمد الجربا حتى أيامنا هذه. [٤٤]

---

(٤٠). البرادعي، مرجع سابق، ص ٢٨، السيد أحمد أبن زيني دحلان، أمراء البلد الحرام (بيروت: دون تاريخ) ص ٣٩-٤٢.
(٤١). زمباور، مرجع سابق، ص ٣١، دحلان، مرجع سابق، ص ٤٤.
(٤٢). زمباور، مرجع سابق، ص ٣١.
(٤٣). ابن عنبه، مرجع سابق، ص١٤٦-١٤٨، احمد بن علي الداؤدي الحسيني، عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب (بيروت: دون تاريخ) ص١٢٢.
(٤٤). هذا الرأي من استنتاج الباحث ولعله هو الصواب في نسب الخرصة من شمر.

الحسن، توفي عام: ٨٢٩هـ/١٤٢٦م.

تولى إمارة مكة من عام ٧٩٨ إلى ٨٢٩هـ/١٣٩٦ إلى ١٤٢٦م، وكانت ولاية مكة بعد موت عجلان قد تناقلت بين أبناء عجلان أحمد وعلي وأبناء عمومتهم، إلى أن جاء الشريف الحسن ودخل مكة عام ٧٩٨هـ/١٣٩٦م بعد مقتل أخيه علي. (٤٥)

بركات، توفي عام: ٨٥٩هـ/١٤٥٥م.

كان على إمارة مكة بين عامي: ٨٠٩ إلى ٨٥٩هـ/١٤٠٦ إلى ١٤٥٥م، منفرداً ومشاركاً، وكان الشريف بركات أديباً فاضلاً مائلاً بالطبع إلى العلماء والأخذ عنهم. (٤٦)

محمد، توفي عام: ٩٠٣هـ/١٤٩٨م.

تولى الإمارة على مكة بين عامي: ٨٥٩ إلى ٩٠٣هـ /١٤٥٥ إلى ١٤٩٨م، كان جم الفضائل شريف الشمائل، مظهراً العدل في الرعية، دانت له العباد واتسع ملكه وتصرفه في البلاد.، ومن ذرية محمد بن بركات آل محمد وعدادهم في شمر ويعرفون بالجربا. (٤٧).

وقد أكد السيد جمال الراوي الباحث المتخصص في الأنساب جليس السجادة الرفاعية ما بيناه من سلسلة نسب آل محمد الجربا، وأشار في بحثه المستفيض عن بعض انساب البيوتات العراقية ومنها بحثه عن نسب آل محمد الجربا إلى أن للشريف محمد الجربا أخ ثاني اسمه حسن وهما من ذرية الشريف محمد بن بركات. (٤٨)

بركات الثاني، توفي عام: ٩٣١هـ/١٥٢٥م.

---

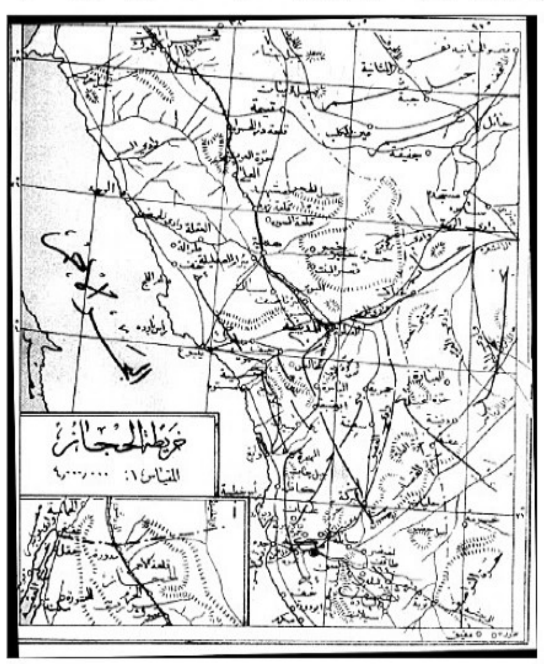
(٤٥). الداؤدي، مرجع سابق، ص١٢٢، دحلان، مرجع سابق، ص ٥٠ – ٥٤.

(٤٦). زمباور، مرجع سابق، ص ٣٢، دحلان، مرجع سابق، ص ٦١.

(٤٧). البرادعي، مرجع سابق، ص٢٩.

(٤٨). السيد جمال الراوي، بحث عن نسب بعض البيوتات العراقية، مخطوط قدم إلى وزارة الثقافة والأعلام العراقية بتاريخ ١٩٩٧/٨/١٧م، لدينا صورة مصورة منه ورقة ٦–٧، كريم، مرجع سابق، ص٣٣٠.

تولى الشريف بركات الثاني إمارة مكة مع أبيه، وبعد وفاة أبيه اشترك معه أخوته في حكم الإمارة، تخلله صراع وقتال مرير بينهم انتهى بوفاة آخر شريك له من بينهم قيتباي سنة ٩١٨هـ/١٥١٢م [٤٩]، وكان خروج الشريف محمد الجربا عن مكة المكرمة وبداية مشيخة الجربا وتكوين شمر الحالية الذي تبلور كيانها على أيديهم خلال حكم الشريف بركات.



(٤٩). زمباور، مرجع سابق، ص٣٣، جارشلي، مرجع سابق، ص١٠١، البرادعي، مرجع سابق، ص٢٩.

الشريف محمد الجربا وتكوين شمر الحالي

الشريف محمد: الجد الأعلى للجربا بيت الرئاسة على شمر، الذي ينحدر نسبه من الشريف بركات [٥٠]، عاش إلى ما بعد منتصف القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي بحسب التسلسل الزمني لسلالة نسبه الشريفة، وعند البحث عن حياة هذا الشريف الحسني العلوي الهاشمي القرشي لم تسعفنا المدونات المكتوبة بشيء عنه، فما استطعنا جمعه من أخبار كان منقولا من خلال الروايات الشفهية المتناثرة التي أخضعناها للنقد والتحليل قبل أن تدون.

خاصة أن اغلب الذين كانوا مع الشريف محمد ممن كانوا في سنٍ يمكننا فيه أن نقبل بأخبارهم قد قتلوا مع الشريف الجربا في المعركة التي قتل فيها، لذا تناثرت الأخبار عنه في فترة ضعف التدوين فيها بشكل كبير في بوادي شبه الجزيرة العربية[٥١].

عاش الشريف محمد الجربا كباقي أفراد آسرته على ارض مكة المكرمة وفي تماس مباشر لما كان يجري قيها من أحداث، وكان الشريف من محبي حياة البداوة والعيش في الفلاة خارج مدينة مكة مبتعدا بذلك عن صخب عيشها وأخذت هذه الحياة من وقته الكثير، وكان إقليم نجد خلال تلك الفترة تابعاً للحجاز، وسكانه يدفعون الزكاة لشريف مكة وأميرها[٥٢]، لأن نجد ومنذ العصور العباسية المتأخرة أصبحت خارج سيادة الدول العربية الإسلامية المتعاقبة.

إن القبائل العربية على ارض نجد مستقلة بشكل تام ولا تعرف سلطاناً لحكم عربي سوى أشراف الحجاز أمراء مكة، الذين كانوا يعتبرون ارض نجد جزءاً من أملاكهم ويشنون بين فترة وأخرى الغزوات على قبائلها

(٥٠). البرادعي، مرجع سابق، ص ٢٩.

(٥١). د محمد بن صالح العثيمين، نجد منذ القرن العاشر حتى ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مجلة الدارة، الرياض، العدد ٤، السنة١، كانون الأول١٩٧٥م، ص٦٨، د منير الحجيلاني، البلاد العربية السعودية (بيروت: دون تاريخ) ص٦٠.

(٥٢). جارشلي، مرجع سابق، ص ١٠١-١٠٣، الظاهري، مرجع سابق، ص٨٧.

لتحصيل الإتاوات، ولمعاقبة القبائل المتمردة على سلطان حكمهم وكذلك لتحصيل الزكاة من شيوخ نجد كجزء من واجبات الطاعة لأمراء مكة [٥٣].

كما أن نجد كانت ملاذاً للكثير من أشراف مكة وأتباعهم الذين كانوا يدخلون في خصومات سياسية مع أولاد عمومتهم من الأشراف والسادات تصل في كثير من الأحيان إلى القتال المسلح بينهم، وعليه فإن قسما من القبائل النجدية التي كان موطنها من نجد في شمال وادي الرمة على طريق الحج بين البصرة والمدينة وأبعد من ذلك جنوباً باتجاه اليمن[٥٤] التي منها شمر احد بطون العرب كما سماها القلقشندي منذ الربع الأول من القرن التاسع الهجري العاشر الميلادي ولم ينسبها إلى أي من القبائل العربية[٥٥]، وكذلك ما ذكره صاحب كتاب جهان نامة من أن الجبل ملك لشمر التي اغلب بطونها من طي[٥٦]، وكان سكناها عند جبل اجا [٥٧] تأتي ارض الحجاز للرعي بالقرب من مكة أو للعمل فيها أثناء موسم الحج، فكان الشريف محمد الشاب الطموح إلى الوجاهة والرياسة، المحب للبدو والبداوة. يأتي إلى هذه القبائل ويمكث عند شيوخها طالما بقيت على ارض الحجاز بالقرب من مكة. ثم يعود بعد رحيلها إلى قصر الإمارة بعد أن يكون قد قضى عدة أشهر من السنة بينها في البادية

لقد حدث في إحدى السنين خلاف بين الشريف محمد الجربا وأخوته وأبناء عمومته في الغالب على منصب الإمارة لمكة المكرمة[٥٨] كما تناقلته الأخبار المروية مما دعاه هذا الحال في النهاية إلى ترك ارض مكة واتجه مع أخ وأخت له وخاصته ومن كان بجوار مكة ممن تبقى من بطن شمر ولم

(٥٣). محمد بن عمر الفاخري، تاريخ الفاخري، تحقيق د عبد الله بن يوسف الشبل (الرياض: ١٩٨٩م) ص١١-١٣.

(٥٤). مس بل، فصول من تأريخ العراق القريب، ترجمة جعفر خياط، (بغداد: ١٩٧١م)، هامش ص ١٣٢.

(٥٥). القلقشندي، مرجع سابق، ص٣٠٨.

(٥٦). اوبنهايم، البدو، ج١، ص٢١٣..

(٥٧). نفسه، ج١، ص٢١٢..

(٥٨). أنظر جدول الإمارة عند زمباور، مرجع سابق، ص ٣١-٣٣، جارشلي، مرجع سابق، ص ١٠٠-١٠١.

يرحل إلى شمال الحجاز ونزل ارض (الجرباء) التي تلفظ عند أهل نجد بالجربا أو جريبه[٥٩]، والجرباء قرية صغيرة تقع ضمن ارض معان على الطريق الروماني القديم بين بصرى من ارض غسان والبحر الأحمر قرب جبال السراة الحجازية[٦٠] ضمن ارض الجوف من شبه الجزيرة العربية[٦١]، وعن هذه القرية جاء لقب الشريف محمد وال بيته فيما بعد بالجربا.

أما ما ذهبت أليه بعض الروايات من أن زوج الشريف محمد وآم ولده سالم لقبت بالجربا، [٦٢] وفي رواية أخرى أن آم الشيخ فارس الذي دخل العراق من أحفاده كانت قد أصيبت بالجدري وبقيت آثار هذا المرض بادية على وجهها بعد شفائها بما يشبه الجرب فلقبت بالجرباء وتلقب آل بيتها بهذا اللقب عنها [٦٣]، فالرواية الأولى التي قالت بأن زوج الشريف محمد وهي بنت شيخ قبائل الفضول المسمى وديد البيبي من آل جاسر[٦٤] كانت آية في حسنها وجمالها لا تجاريها فتاة في حسنها إذا ما وقفت إلى جوارها فتحاشتها النساء ولقبنها بالجربا تقبيحا لحسنها، وهذا الأسلوب موجود في تراث العرب اللغوي[٦٥] وقاس من يؤمن بهذه الرواية على الجرباء بنت قسأمة الطائية جدة محمد ذو النفس الزكية لأمه بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ﷺ) عنهم واخو موسى الجون جد آل الجربا. [٦٦]

هذه الروايات بعيدة عن الموضوعية إذ أن الذي لقب بالجربا هو محمد وليس فارساً ولدينا أسماء من شيوخ آل محمد قبل الشيخ فارس بأكثر

---

(٥٩). هكذا تلفظ عند شمر في العراق أيضا.

(٦٠). مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة احمد الشنتاوي وآخرون (القاهرة: ١٩٣٣م) ج٦، ص ٣٢٩-٣٣٠.

(٦١). وهي الآن ضمن أراضي المملكة الأردنية الهاشمية..

(٦٢). عراك الفريسي الجربا،. الموثق في الأنساب (دمشق: ٢٠٠٤م) ج١، ص ٥٠.

(٦٣). الظاهري، مرجع سابق، ص ٨٧-٨٨، عبد الجبار الراوي، البادية (بغداد: ١٩٤٧م)، ص ٩٩.

(٦٤). الجربا، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٠.

(٦٥). ابن منظور، لسان العرب (بيروت: ١٩٧٨م) ح١، ص ٢٦٠، ذويب، مرجع سابق، ص ٤١.

(٦٦). الأصفهاني، مرجع سابق، ص ٣٢٢.

من ١٠٠ عام أشارت إليهم مصادر تاريخية قديمة [٦٧] وهم عمار والموح الجربا فضلا عن مسلط الجربا الذي لا نعلم عنه سوى انه قتل عام ١١٠٤هـ/١٦٩٢م في يوم مشهود على ارض نجد اقترن به مقتله هو يوم البنوان[٦٨] وكلهم يتلقبون بالجربا قبل الشيخ فارس مما ينفي رواية أم الشيخ فارس أو زوجته كلياً.

كما أن العرف السائد بين القبائل العربية أنهم لا يتلقبون بأسماء أمهاتهم في مسميات قبائلهم، ولكن ينتخون بأسماء النساء تعبيرا عن الرجولة والحمية، فكيف يقر لشريف هاشمي أن يتكنى بلقب زوجته خاصة وان هذا اللقب لا يدل على معنىً جميل، فهذه الروايات قد جاءت حسب اعتقادنا كنتيجة حتمية لِتباعد الزمن بين الشريف محمد الجربا وأحفاده وتناقل الروايات دونما تمحيص، فضلاً عما تتصف به حياة البداوة من البساطة وتناقل الأخبار على علاتها.

عاش الشريف محمد في أرض الجرباء مع أتباعه ومن خرج معه من أرض مكة ممن عرفتهم قبائل شمر فيما بعد بالخرصة أحفاد الشريف الخرص بن عجلان كما نعتقد، مع زوجه وآم ولده سالم بنت الشيخ البيبي شيخ الفضول إحدى القبائل العربية العريقة في نجد، وذات السلطان الواسع على أرضها في ذلك الزمن[٦٩]، والتي ترجع في نسبها إلى بني لام من طي وهي من حمائل جبلي طي أجا وسلمى البارزة، وامتد سلطانها باتجاه المدينة المنورة ومشيختهم في آل جاسر من آل غزي، وأشهر بطونهم آل صلال فضلا عن آل غزي، الذين كانوا مستقرين في الجبل منذ القرن الرابع عشر الميلادي[٧٠]، وقد تركوا ارض نجد والجبل واتجهوا إلى الشرق باتجاه بوادي

---

(٦٧). لحمد بن منقور، تاريخ الشيخ احمد بن منقور (الرياض: ١٩٨٠م) ص٦٩، عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد (الرياض: ١٩٨٠م) ج١، ص٩٩.

(٦٨). ابن منقور، مرجع سابق، ص٦٩، الفاخري، مرجع سابق، ص٨٥، عثمان بن بشر، مرجع سابق، ج١، ص٩٩.

(٦٩). جيمس بلي فريزر، رحلة افريزر إلى العراق، ترجمة جعفر خياط (بغداد: ١٩٦٤م) ص١٣٦.

(٧٠). اوبنهايم، البدو، ج١، ص٢٣٦.

العراق في حدود عام ١٦٧٤م بعد تعدد النكبات والمجاعات التي لحقت بهم في نجد[٧١].

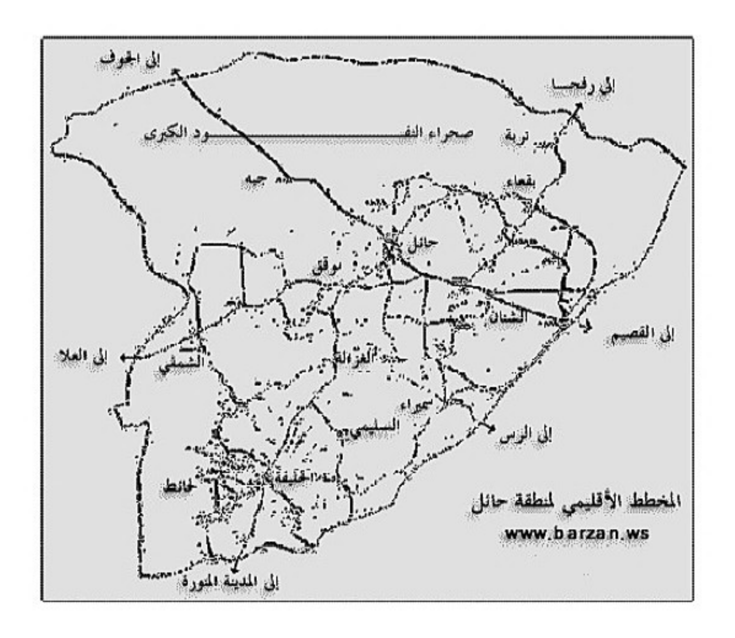
كان زواج الشريف محمد الجربا من آم سالم الفضلية بعد أن استقر في الجرباء لأجل توطيد علاقاته بالبادية النجدية وحمائلها، وليكون أكثر التصاقاً بالقبائل العربية المحيطة به كي يبعد عن مكة ومن فيها، وتلقب بالجربا الموضع الذي نزل فيه وجعله مستقرا له ولمن معه، واخذ في تكوين أحلاف وتجمعات قبلية جديدة على ارض الجزيرة العربية لأجل تقوية مركزه وسلطانه في وجه أبناء عمومته حكام الحجاز وغيرهم من شيوخ القبائل العربية الأخرى، التي ما انفكت عن الاقتتال والتناحر فيما بينها لأجل الحصول على الأرض والكلاء والغنيمة.

لم يسلم الشريف محمد من الحروب والمنازعات القبلية التي كانت تسود ارض الجزيرة العربية على الرغم من تطرف المنطقة التي كان يسكن فيها، فقد أجبرته تحرشات القبائل العربية المجاورة له على الدخول في حروب معها دفاعاً عن أرضه وأتباعه، محافظاً على مكانته وشرف نسبه أمام الذين يحاولون النيل منه أو من أتباعه من شيوخ القبائل واستطاع أن يمد سلطانه بعد تحالفه مع الفضول إلى أجزاء واسعة من نجد مما جعل القبائل العربية الأخرى التي هي في عداء مع الفضول أن تتحد مع بني خالد وتتجه نحو لشريف محمد الجربا ومن معه املاً في كسر القوة التي معه ويكون بذلك كسرا للفضول حلفائه من بني لام.

حدثت المواجهة بين الشريف محمد وبين هذا التحالف القوي الذي حاول فرض سلطانه على الجربا وآل غزي وأن تدفع لهم الزكاة، فرفض الشريف محمد الجربا ذلك بالطبع وهو الهاشمي القريشي، فحدثت معركة شرسة بين الطرفين كان من نتيجتها أن دفع الشريف محمد الجربا حياته ثمناً

(٧١). محمد بن حمد البسام، الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر (بغداد: ١٩٨٩م) ص٥٦، ابن منقور، مرجع سابق، ص٥٧، عبد الرحمن بن زيد المغيري، المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب (قطر: دون تاريخ) ص١٦١، عبد الله فيلبي، تاريخ نجد، ترجمة عمر الديراوي (بيروت: دون تاريخ) ص٢٣، خلف بن حديد، انساب قبائل العرب (الكويت: دون تاريخ) ص١٦٠، ١٧٨.

لكرامته وعزة نفسه تاركاً خلفه من تبقى من الخرصة وبعض الأفراد القلائل ممن شكلوا فيما بعد شمر الحالية الذين جاؤا من نجد وبقوا معه، فضلا عن امرأته وغلامه سالم وأخته التي كانت قد خرجت معه من الحجاز[٧٢] بعد أن قتل العديد من خيرة رجاله في هذه المعركة التي لم يدونها مؤرخوا نجد رغم ندرتهم في هذه الحقبة الزمنية من تاريخ شبه الجزيرة العربية كما اغفلوا أحداثا كثيرة غيرها.



(٧٢). الرواية مشهورة عند آل محمد وقد وثقها للباحث العديد من كبار السن منهم.

ارض نجد وجبل شمر

لعلنا قبل الحديث عن شمر ومشيختها وتكوين هذا العنصر البشري المتجانس اجتماعياً علينا أن نتحدث عن الأرض التي نشأ عليها هذا الكيان والظروف البيئية التي خدمت تكوينه.

يعد إقليم نجد أكبر قسم من بلاد العرب إذ يشتمل على الهضبة الوسطى لشبه جزيرة العرب، أما حدود هذا الإقليم فلا يمكن أن نحدد بشكل واضح عبر التاريخ الطويل لهذه الأرض، ولكن يمكن أن تكون الحدود الحالية مجالاً للتحديد إذ أن إقليم نجد اليوم يشتمل على الأراضي الممتدة من قريات الملح شمالا إلى وادي الدواسر جنوبا ومن الإحساء شرقاً إلى الحجاز غرباً(٧٣). وفي هذا الإقليم كثير من الأودية أهمها وادي حنيفة الذي يعد أكبر أودية شبه الجزيرة العربية ووادي الرمة الذي يبدأ قريبا من المدينة المنورة ماراً بالقصيم ومتجهاً نحو الشمال(٧٤).

تمتد هضبة نجد التي تعني لغةً الأرض الصلبة أو المشرِفة منها بين خطي ٢٣. ٥ شمالاً و٥١. ٤٧ درجة شرقاً وهذا يعني أنها تقع في النطاق الصحراوي الجاف وضمن منطقة الضغط المرتفع المداري شتاءً، ولهذا يتميز مناخها بالجفاف على مدار السنة وبارتفاع درجة الحرارة خاصة في فصل الصيف وأمطارها محلية قليلة ولا تشتمل على كل مناطقها إذا ما سقطت. (٧٥)

وأشهر مناطق نجد من الجنوب إلى الشمال وادي الدواسر، الأحلاف، الحريق، الخرج، العارض القصيم، الوشم، جبل شمر، الجوف، قريات الملح،

---

(٧٣). حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين (القاهرة: دون تاريخ) ص ٤١.

(٧٤). د. عبد الرحمن عبد الرحيم، الدولة السعودية الأولى (القاهرة: ١٩٦٩م) ص ٦٩.

(٧٥). صالح بن علي الحبيبي، موقف الدولة العثمانية من الدولة السعودية الأولى، ١٧٩٨–١٨١٨م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، (الموصل: ١٩٩٦م) ص ١٥.

وامتداد هذا الإقليم من الشمال إلى الجنوب نحو ٨٠٠ ميل وعرضه من الغرب إلى الشرق أي من الوشج إلى سدير نحو ٢٢٠ ميلاً.[٧٦]

يعد جبل شمر الذي يحتل المنطقة الشمالية والشمالية الشرقية من نجد والذي يعرف فيما سبق الحرب العالمية الأولى بأمارة آل رشيد التي كانت عاصمتها حائِل. الموطن الذي نزلته وسكنته قبائل شمر بعد أن كان هذا الإقليم لقبيلة طي العربية التي اشتهرت في التاريخ قبل الإسلام وبعده بجبليها أجا وسلمى، أما جبل شمر فهو السهل الواسع الممتد بين جبلي أجا وسلمى ويبلغ طول هذا الإقليم ٥ مراحل وعرضه مساوٍ لطوله وهذا يساوي ١٢ فرسخاً[٧٧] وفي شعاب هذين الجبلين والوادي الفسيح بينهما منابع وفيرة للمياه تحت طبقات الرمال والصخور فضلا عن الخصوبة العالية التي تتمتع بها تربة هذا الإقليم من أرض نجد[٧٨]، لذا فإن أهل نجد يطلقون على هذا الإقليم (شام نجد)[٧٩].

تحدثت المصادر التاريخية كثيراً عن طي القبيلة العربية القحطانية ونزوحها من اليمن والسكن في هذا الإقليم، وأضحى جبلا أجا وسلمى يطلق عليهما قبل تمكن شمر من هذا الإقليم بجبلي طَي، إلى أن حلت شمر بقبائلها في هذا الإقليم وغلبت عليه، أتت أول إشارة عن تواجد شمر على ارض نجد في قرية توارن من قرى جبل أجا التي هي لبني شمر بن زهير من طي عند ياقوت الحموي في القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي[٨٠] ولعل هذا هو الأصل الذي يربط شمر بطي الذي اخذ به العديد من الكتاب في أن شمر من طي، وهو في الواقع تعميم واسع لأنه لا يشمل إلا جزءاً من بطن شمر الذي يعود في جذوره إلى طي. وشمر أوسع من ذلك في التكوين.

---

(٧٦). وهبة، جزيرة العرب، ص ٤١.
(٧٧). مؤلف مجهول، لمع الشهاب (القاهرة: ١٩٦٧م)، ص١٤٢.
(٧٨). وهبة، جزيرة العرب، ص ٤١.
(٧٩). مؤلف مجهول، لمع الشهاب، ص١٤٢..
(٨٠). ياقوت الحموي، معجم البلدان (بيروت: ١٩٦٥م) ج١، ص ٩٥-٩٩..

ثم اخذ هذا الاسم يتسع في معناه حتى أضحى في القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي يطلق على بطنٍ من بطون العرب في الجبلين ليس له ارتباط بغيره من القبائل العربية كما قال ذلك القلقشندي: ولم ينسبهم إلى أي من القبائل الأخرى، بل عد شمر كياناً قائماً بذاته في الجبلين[٨١]، أي أصبحت شمر كتلة عشائرية قائمة بذاتها في منطقة الجبل انضوت تحت القيادة التي سوف تجعل منها تجمعا قبليا سجل تاريخا حافلا بالأحداث على ارض الجبل ونجد، ثم على ارض الجزيرة الفراتية لأكثر من أربعة قرون.

إذن فإن شمر، هذا الكيان القبلي قد مر بعدة مراحل في تكوين كيانه في منطقة شبه متحضرة ألا وهي جبل شمر، لأنها تقع على طريق الحج العراقي. وكانت قريتا فيد وسميراء من قرى الجبل فضلا عن حائل بمثابة منازل للحجاج العراقيين عبر تأريخها العربي الإسلامي[٨٢]، ويصف لنا أحد الحجاج المارين في هذا الطريق في بدايات القرن السابع عشر بقوله: وآتينا على جبل شمر والكل منا لنيل الانشراح شمر، وهناك قرية تسمى حائل ذات نخيل وأشجار، وعيون وآبار، وطيور وأزهار، وبساتين واسعة وثمار. كأنها روضة من رياض الجنان، فيها من كل فاكهة زوجان، وأهلها أعراب كرام شمل كرمهم الخاص والعام. لم نلق فيهم غير شجاع عظيم وجواد كريم. [٨٣]

لقد أنشأ الشمامرة حصوناً لهم في الجبلين هي شمر الذي يشير أحد الباحثين إلى أن شمر الحالية جاءت تسميتها بشمر نتيجة بناء هذا الحصن حيث انه بعد أن اكتمل بناءه وظهر صرحه تنادى الأفراد الذين بنوه بينهم شمر الحصن شمر بمعنى ظهر وبان، فسموا أهل شمر وغلبت التسمية عليهم[٨٤] أي على الجبلين أجا وسلمى فسميا جبل شمر تيمنا بهذا الحصن،

---

(٨١). القلقشندي، نهاية الأرب، ص٣٠٨.

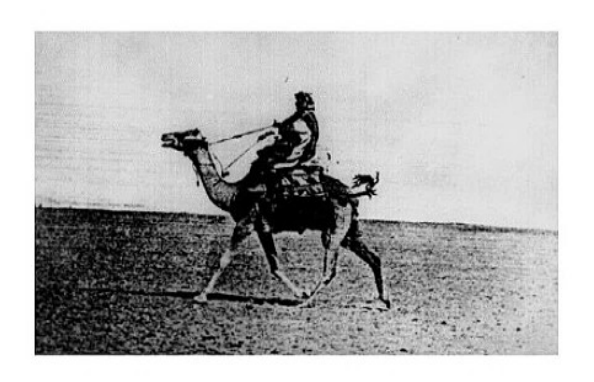
(٨٢). محمد بن احمد بن جبير، رحلة ابن جبير (بيروت: ١٩٨٥م) ص١٥٠، محمد بن عبد الله بن بطوطة، رحلة ابن بطوطة (بيروت: ١٩٦٨م) ص١٦٩-١٧٠.

(٨٣). عباس بن علي المكي الحسيني، نزهة الجليس (القسطنطينية: ١٨٧٦م) ص٦١.

(٨٤). سليمان الدخيل، القول السديد في إمارة الرشيد، مخطوط في المركز الوطني للمخطوطات، بغداد، تحت رقم١٣٤٤، ورقة٦

وكذلك حصنا حوشان وشممان وعقدة [٨٥] فضلا عن استخدامهم حصن مناع الذي كان موجوداً أصلا في جبل أجا. [٨٦]

ونتيجة لكثرة هذه الحصون ومنعتها فقد لقب أهل الجبل ومن ثم الجربا بالعصاة لمنعة هذه الحصون وشدة بلاء رجالها، لتأتي أول إشارة إلى أن الشمامرة قد أنشأوا قرى صغيرة خارج جبل شمر، فقد أنشأ عبد الله الشمري من آل جبار من عبدة قرية المجمعة عام ٨٢٥هـ/١٤٢٢م وتسمى أبناءه فيها بآل سيف [٨٧]، وهي أول القرى التي أنشأها الشمامرة خارج جبل شمر بعد استقرار عبدة في الجبل الذي كانت تسكنه قبل هذا التاريخ بزمن، لتتحول هذه القرية فيما بعد إلى مدينة المجمعة الحالية الموجودة في المملكة العربية السعودية.



(٨٥). ابن بشر، مرجع سابق، ج١، ص٨٠، فهد العلي العريفي، لمحات عن منطقة حائل (الرياض: ١٩٨٠م) ص٢٣، ٦٣.

(٨٦). العريفي، مرجع سابق، ص٢٣.

(٨٧). عبد الله البسام، علماء نجد خلال خمسة قرون (الرياض: ١٩٨٢م) ج١، ص١٣٤، ج٢، ص٥٠٥، محمد بن عثمان القاضي، روضة الناظرين (الرياض: ١٩٨٠م)، ص٧، الشيخ محمد بن إدريس، المجمعة بين الغابر والحاضر، مجلة الدارة، العدد ١، تموز ١٩٨٢م، ص١٨٧.

أشراف مكة وجبل شمر

إن الأشراف عقب الشريف محمد كانوا على اتصال مع البدايات الأولى للتكوين الحالي لشمر ورجالاتها، وكثيراً منهم من حاول أن يغزو الجبل أو التجاء أو اجبر على الذهاب إلى الجبل مع خاصته ومن معه من أتباع إذا ما دخل في خصومة مع أقربائه في مكة، ولعل الشريف إدريس هو أحدهم إذ ترك مكة مع حاشيته ورجاله بعد خصومة طويلة على منصب الأمارة مع أبناء عمومته وسكن جبل ياطب قرب حائل حتى وفاته عام ١٦٠٢م[٨٨] وكانت قبل ذلك معركة الفريش في ذي القعدة من عام ٩٦٣ هـ المصادف لشهر تشرين الثاني من عام ١٥٥٦م، التي أرخها الشريف العصامي المكي في كتابه سمط النجوم العوالي.

حدثت هذه المعركة نتيجة لخلاف وقع بين الأشراف أنفسهم عندما منع السيد مانع الحسيني أمير المدينة المنورة الهدايا والأموال السنوية التي كان يعطيها أسلافه من سادات المدينة المنورة إلى بعض عوائل الأشراف وهم: آل حسين وال نعير وال جماز الساكنين منطقة جبل شمر، وإلى الأعراب من الضفير وعنزة وغيرهم، مما اضطر هؤلاء الأشراف والعربان أن يكونوا حلفا بينهم وقاموا باعتراض الحجيج المدني القادم إلى مكة في ارض الفريش بين مكة والمدينة، و قاد تحالف العربان ولأشراف هذا أبو ذراع احد شيوخ الضفير، وكان في موكب الحجيج قاضي المدينة المنورة عبد الرحمن أفندي، وقامت هذه الجموع بالاعتداء على القافلة ونهب أموالها عام ٩٦٣ هـ/١٥٥٦م. ثم أن القاضي تدخل وتعهد للأشراف ومن معهم من العربان أن سترد إليهم أعطياتهم فكفوا عن التعرض لركب الحجيج، وواصل الركب إلى مكة ثم انقضت مناسك الحج فقام الشريف حسن بن آبي نمي شريف مكة وأميرها بتجهيز العساكر للحاق بعرب الضفير وعنزة التي يقودها أبو ذراع

(٨٨). ابن مقبل، العقود الدرية، مخطوط في المركز الوطني للمخطوطات، بغداد، تحت رقم٣٣٢٤١، ج١، ورقة٦، ابن بشر، مرجع سابق، ج١، ص٤٣، فيلبي، مرجع سابق، ص٧-٨.

ومن معهم من الأشراف من آل حسين وآل نعير وآل جماز فشمروا نحو جبل شمر وتحصنوا في حصن شمر وباقي الحصون في أعالي جبل أجا واستطاع الشريف حسن أن يشتت شملهم ويهدم هذه الحصون ومنها حصن شمر الذي كان من امنع حصونهم، ثم ساق أعدادا منهم أسرى في حين التجأ العديد من الأشراف المتمردين ممن ذكرناهم واختفوا بين قرى جبل شمر وبقوا هنالك[٨٩]. حتى أن الشريف البرادعي عندما يأتي على ذكر بعض الأشراف في مؤلفه يقول عنهم أنهم تاهوا في البادية وانقطع خبرهم[٩٠]، وثمة إشارة تقول أن الأشراف ذوو حسين هم إلى الآن مع الضفير وهم أفخاذ عديدون ورئيسهم ابن مرشد[٩١]، كما أن قسما من حمائل شمر في سنجارة وزوبع ترجع جذور أنسابها إلى الأشراف في مكة والمدينة المنورة.

ومنذ عهد الشريف سالم بن محمد الجربا أطلق أسم شمر ليس فقط على هذا التجمع القبلي بل على الأرض التي تسكنها فسميت بأرض شمر[٩٢] أو جبل شمر، وقد شغل أهلها كلاً من عرنان ومسمع وهكران ورمان بالإضافة إلى أجا وسلمى وحائل ومناطق أُخرى من أرض هذا الإقليم الذي كان يشتمل على ١٩ قرية، وزكاته التي جباها جيش محمد علي باشا عندما احتل هذه الأرض كانت ١٢٥ أردباً من القمح في السنة [٩٣].

(٨٩). العصامي، سمط النجوم العوالي (القاهرة: ١٩٦١م) ج٤ص٣٦٥-٣٦٧.

(٩٠). البرادعي، مرجع سابق، ١٩، ٢٣، ٥٧-٥٨.

(٩١). قطب، مرجع سابق، ص٥٥.

(٩٢). مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية، ح١٣، ص٣٧٠.

(٩٣). نفسه، حمد الجاسر، معجم قبائل المملكة العربية السعودية (الرياض: ١٩٨٤م) القسم ولحد، ص٤٠٦، عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد علي، (قطر: ١٩٨٢م)، ج١، ص ٦٣٠-٦٣١.

الشيخ سالم وبناء وحدة شمر

لم يكن أمام زوج الجربا بعد مقتله إلا أن عادت مع ولدها الوحيد الشيخ سالم إلى أهلها الفضول الذين كانوا يسكنون في منطقة جبل أجا مع بعض من تبعها من رجال الجربا، في حين بقي ما تبقى منهم مع أخته في الجربا، لينشاء الشيخ سالم عند أخواله الفضول بين عشائرهم على أرض نجد عند جبل أجا فارساً من فرسان العرب، مثبتا انه ابن الجربا في الفروسية والسخاء. حتى أن شباب قبيلة أخواله اخذوا في الغيرة منه، واشتعلت نار الحسد فيهم لما آل أليه حال سالم من الوجاهة وطيب الحال، وهو لا يعرف أباً له غير جده وديد البيبي شيخ الفضول، لأن أمه لم تعرفه بنسبه ولا بأهله، وهو على هذا الحال كان يطالب بحصة العقيد في الغزو. [٩٤] فأستغل شباب الفضول من حساد سالم هذا الموقف منه فعرفوه انه ليس بأبن شيخ القبيلة، بل هو جده أبو أمه فليس له الحق في طلب العقادة لأنه ليس من صلب هذه القبيلة، وعندها عاد الشريف سالم إلى أمه مهموم الحال مما سمعه وحلف أمه أن تخبره بحقيقة الأمر، فعرفته نسبه وما آل أليه حال أبيه وأخبرته عن مكان أرض الجرباء التي تركتها وفيها بعض أتباع أبيه.

ترك سالم الجربا ارض نجد شاداً الرحال إلى الجرباء باحثاً عن عرب والده ومن تبقى من أهل بيته، وعند وصوله إليها لم يجد في منازل والده إلا عدداً قليلاً من البيوت الهزيلة يسكنها أناس قليلون فقراء الحال، فسأل عن بيت والده فدلوه على بيت متعب كان مسكوناً من قبل امرأة في الكهولة من عمرها، فجاء وعرفها من يكون، فقامت واحتضنته ثم أرخى رحاله في بيت والده ليعلم من عمته عن كامل القصة التي عاش أحداثها والده، وما آل أليه حال عربه بعد مقتله من ضنك العيش وفقر حال.

عندها صمم الشريف سالم على إعادة مجد أبيه وعربه، ويأخذ بثأرهم ممن غزاهم وذبح أباه، فجمع الشيخ سالم من اليافعين ممن هم قريبي

---

(٩٤). قائد الفرسان وشجاعهم، والرواية معروفة لدى شمر والفضول.

سن البلوغ من عرب أبيه، ومن التحق به من شباب القبائل العربية التي كانت تنزل أرض الجرباء واتجه بهم إلى أرض نجد. تلك الأرض التي نشأ عليها وعرف أهلها، وفيها صحب أبيه من شمر وأخواله الفضول، فنزل (جنيجله) من أرض نجد في واد تحيط به التلال من ثلاث جهات، ويسمى مثل هذا الموضع عند أهل نجد (بالريع) فسمي هذا الريع اثر نزول سالم فيه بريع سالم، واخذ الفارس الشاب يحث الشباب الذين أتى بهم على تعلم الفروسية واستعمال السلاح مستعيناً بأحطاب شجر الصحراء بمثابة رماح وسيوف لتدريبهم، ومع تزايد في أعداد أتباعه لالتحاق أعداد من شباب شمر والقبائل الأخرى المجاورة للريع في السكنى به حتى استطاع بعد مدة من الزمن تكوين قوة لا يستهان بها من الشباب المدرب القادر على حمل السلاح المتقن لفنون الفروسية العربية.

ظهر سالم بقوته على أرض نجد والجبل. واخذ في بسط سلطانه وإظهار قوته، وعاقب من أساء إليه بأن احرق عددا من بيوت الفضول، لكنه لم يسئ إلى أخواله إذ انه منع أتباعه من الاقتراب من بيوتهم واخذ يردد (بيت الصلال لا تأكله النار)، وألتفت أعداد أكبر من القبائل العربية الساكنة في الجبل حوله، فتبلور كيان شمر واستطاع بهم ومن التحق بهم من الفضول وأفراد من القبائل الأخرى التي كانت نازلةً ارض الجبل وما حوله من بقايا طي أن يحقق الزعامة له على أرض نجد، وينهي نفوذ أخواله الفضول. وأضحى الشريف سالم الجربا شيخاً لما عرف اليوم بشمر في نجد، وخاض العديد من الغزوات كان الهدف منها تقوية سلطته والقضاء على من حاول النيل من زعامته أو من شمر التي تزعمها بكيانها الذي تبلور وتماسك على يديه.

بعد وفاة الشيخ سالم تعاقب على مشيخة شمر بقبائلها أولاده وأحفاده من آل الجربا الذين لم يصلنا الكثير عنهم، ولذلك تعد هذه الحقبة الزمنية من اشد فترات تأريخ آل محمد الجربا غموضا حتى نصل إلى الحميدي الأمسح. بحيث أنه بعد هذا الشيخ تكون الصورة واضحة للعيان، وتتوافد المعلومات التاريخية بغزارة، وفي اعتقادنا أن سبب قلة المعلومات هو فقدان التّأريخ المدون في نجد خلال هذه الفترة، فضلا عن حياة البداوة التي عاشتها شمر

وآل محمد، وهدوء الأحوال السياسية على أرض نجد حدا بالتأريخ الخبري المنقول شفاها أو المدون نسيان أخبارهم، خاصة وأن نجد عاشت لقرون طويلة بعد سقوط الدولة العباسية بعيدة عن مراكز الحضارة، وبقيت أحداث التاريخ على أرضها محصورة بين أفرادها، ولم يجد من كان يجيد التدوين الحاجة إلى كتابتها خاصة وان الذهن البشري على هذه الأرض كان صافيا يحفظ الأحداث فلم يكن هنالك حاجة للتدوين، وما سوف يذكر عن الجربا هو في الواقع ما تم الحصول عليه من معلومات ضمن ما يعرف بالتاريخ الشفوي الذي انتشر بشكل واسع على ارض شبه الجزيرة العربية، وربما يضاف إليها في المستقبل ما يكشف عن غموض قسم منه(٩٥)، خلف الشيخ سالماً على مشيخة شمر إبنه:

الشيخ سيف:

وصلتنا معلومات جد قليلة عن هذا الشيخ، ويعرف اسمه الكثير من شمر، إذ أن فترة قيادته لشمر كانت ضمن فترة الضعف في التدوين التاريخي التي كانت سائدة على ارض نجد والجبل، وقد ذكر القصيد البدوي الشيخ سيف، ومن ذلك قول ابن رمان متوجعا على رحيل شمر مع الشيخ مطلك الجربا عن الجبل فيشير إلى الشيخ سيف فيقول:

يتلـــون فتخـــان الأيـــادي الكرامـــا اللـــي انقلـــوا علـــى كـــل القبايـــل بالأمـــداح
عيـــال شـــيوخ تتلـــيهم افهامـــا أولاد ســـيف مرويـــة علـــط الرمـــاح(٩٦)

---

(٩٥). الفاخري، مرجع سابق، ص١٩-٢٤.

(٩٦). من التراث الشعري الشمري.

خلف الشيخ سيفا على رئاسة شمر ابنه:

الشيخ سيح:

تحدث عنه بنزر التأريخ البدوي بشقيه الخبري والمدون، وذكر تلقب آل محمد في نجد به فسموا بالسيحة [٩٧] تيمناً بعلو منزلة هذا الشيخ وقوة وشكيمته في قيادة لشمر، ترك المشيخة من بعده لابنه:

الشيخ مشعل:

هو ابن الشيخ سيح وآل الجربا ينتخون به. إذ أنهم إذا ما أرادوا الإنتخاء أو التفاخر في عمل مشرف قالوا(**حرشه وآنا ابن مشعل، دونك راعي البويضة ولد الشيخ**)[٩٨]، وهذا أن دل على شيء فإنما يدل على أن للشيخ مشعل عمل مشهود قام به على أرض نجد ترك أثراً باقياً لدى أهله وأبناء عمومته، جعله محل تقديرهم وإكرامهم بحيث أصبحوا ينتخون باسمه خاصة في الغزوات عند الطعن بالرمح أو السيف. وبالرغم من أن التأريخ البدوي لم يحفظ لنا ما قام به الشيخ مشعل من جليل الأعمال لأهله الجربا خاصة ولعموم شمر عامة، سوى أن الشيخ مشعل يعتبر نتيجة لهذه المكانة والاحترام المؤسس الثاني بعد الشيخ سالم في تكوين قبائل شمر.

مما يروى عن الشيخ مشعل انه أول من وضع المحجان العلامة المميزة التي اتخذها آل الجربا لوسم إبلهم، ولم يكن موجوداً لديهم قبل الشيخ مشعل، وأصبحت شمر نجد تسم به على الفخذ الأيسر للأبل، والثاني على الذراع الأيسر[٩٩]، وان النوق الحرش أي التي تقطع المسافات البعيدة لقوة أجسادها كان الشيخ مشعل قد غنمها في إحدى غزواته، وكان معه فيها حمود الرويسي من الزرعة من سنجارة في ارض معان شمال النفود، وهذا يدل

(٩٧). المغيري، مرجع سابق، ص١٣٩، قطب، مرجع سابق، ص١٤٩.

(٩٨). هذه هي نخوة آل محمد الجربا.

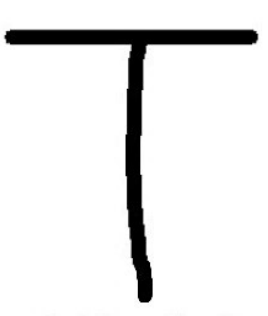
(٩٩). محمد رفعت باشا، مرآة الحرمين (القاهرة: ١٩٢٥م) ص١٠٤، والرواية مشهورة بين قبائل شمر.

على أن شمر تحت قيادة الشيخ مشعل استطاعت أن تتحرك في مناطق واسعة شمال شبه الجزيرة، وأصبحت قوة مؤثرة في هذا الإقليم.

الشيخ مانع:

كان للشيخ مانع ما كان لأبيه من المكانة والسؤدد لدى شمر قاطبة وعند آل بيته الجربا خاصة، بحيث أنهم كانوا من ضمن ما يطلق عليهم من ألقاب المانع تيمناً بهذا الشيخ الكريم الجواد. الذي لم يغفل عنه القصيد البدوي، فقد أشار الشاعر عايد الزميلي في أبيات له إلى الشيخ مانع عند مدحه لأحد أحفاده بقوله: (١٠٠)

قال الزميلي والزميلي عايد	سهرت آنا وكل العباد ارقود
على السيافا من حرب الشريف سندوا	حالوا شمال وهفوا النفود
يتلون أبن صلال ولد محمد	المانعي بعسر السنين اجود
ياما ذبح من جملة النيب فاطر	ومن حايلن مشيه مع أول الذود
خريصات مقوى صبركم اليا ابتليتوا	خريصات ومعهم سربة العامود
ينحون خيل الضد عن إقطاع ربعهم	ولد الفواري والحشاش حمود
الحمد لله ما نقول بغيرهم	خذوا الملوك وأجن الأصايل فود



المحجان وسم ابل الجربا(١٠١)

(١٠٠). من التراث الشعري الشمري.
(١٠١). اوبنهايم، البدو، ج١، ص٢٥٩.

وقول الحسيني دايس الهكاز في ضعاينه في وصفه للمحمد بالمانع:

أنا قلتها بالعصاة المانــــع   اللي ركضاتهم على العدو دمار[١٠٢]

وابن صلال الذي ذكره الزميلي حدثت في أيامه معركة أو كما يطلق عليها البدو (مناخة) بين الشريف الهاشمي محمد الحارث بن أبي نمي أحد أمراء الحجاز، الذي غزى بوادي نجد وجبل شمر واستطاع أن يكسر العديد من القبائل العربية ومنها الضفير التي هزمت في مناخ الضلفعة من قبله وأنزلهم عن جبل سلمى الذي كانوا يسكنون فيه [١٠٣]، وبين عبدة من قبائل شمر استمرت ثلاثة أشهر، كاد النصر فيها أن يكون لأمير الحجاز لولا نصرت الزوبعية من قبائل شمر التي آتت من مكان بعيد، ربما يكونون آتوا من بادية العراق الجنوبية من القبائل الشمرية التي هاجرت إلى العراق قبل الشيخ مطلك الجربا، إذ أن ثمة إشارات تفيد أن قسماً من قبائل شمر كان موجوداً في جنوب العراق منذ عام ١٦٤٠م، ودخلت المعركة مباشرةً، ومن هنا جاءت تسمية شمر بالطنايا، لأن الذين آتوا لنصرت عبدة ضد الشريف رفضوا أن يرتاحوا من عناء السفر ويأكلوا الطعام، بل أصروا على دخول القتال، فطنوا عن الزاد ونصروا عبدة وحسموا المعركة لصالح شمر.

لقد حدثت هذه المعركة في حدود العام ١٦٨٠م[١٠٤] غربي حائل قرب موقق من قرى شمر، وفيها غنمت شمر الخيول الأصائل الموسومة بوسم الشريف محمد وهي: الحمدانية سمري، الهدبا، اعبية، أدهما، عامر الجلالة، الكحيلة (الشيخة) والظبي، وهي في الحقيقة من نسل الخيول العربية الخمسة التي منها تناسلت كل الخيول العربية الأصيلة لدى شمر وباقي القبائل العربية إلى أيامنا هذه [١٠٥].

وصف لنا الأمير الهاشمي محمد الحارث المعركة وصفاً دقيقاً وما آل إليه حاله بعد أن هزم من قبل شمر ووقع هو ومن معه في الأسر، ثم أكرم

(١٠٢). نفسه

(١٠٣). ابن منقور، مرجع سابق، ص٥٥-٥٦، ابن بشر، مرجع سابق، ج١، ص٧٧.

(١٠٤). د عبد الله الصالح العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد (الرياض: ١٩٩١) ص٣٢-٣٤.

(١٠٥). لوبنهايم، رحلتي، ج٢، ص١٣٦، مجلة الصناديد، بيروت، ١٩٩٨م، السنة١، العدد ١، ص ٣٤..

لمكانته الشريفية من قبل شمر وأولاد عمومته الجربا، وأطلق سراحه وحلف لهم انه لن يعاود غزوهم ثانية في قصيدته التي قال فيها:

يمل عينٍ للشريف محمد ... دمعه تهلهل من شفا الرأس حادر
خذينا الخيل من العلا آليا اشتهن ... من البدووالحضرواللبس زينين المصادر
وجرينا السبايا من الطايف والحرم ... حلنا وحلينا بديار الدواسر
هزنا ابن حميد وعنا تنحى ... كره ملاقاتا وسند النير ناير
وخذينا بوادي النير والصكورعزبه ... صملان أهلها عقب البلال غاير
وجينا على بعض القبايل وأدبحوا ... وكفوا وعرفوا بها حمران النواظر
وغرنا على طرشٍ للسويطات بالحفر ... وخلينا الحوض المليان خاير
وهزعنا بالمسيرعلى ديار شمر ... ما دبر المولى على العبد صاير
ادلينا بالديرة اللي اسمها بأسم أهلها ... اكرام اللحا ايام حر المساعر
مناختنا لعبدة تسعين ليلة ... بالتلعة الليا حصاها جفاشر
سنا عيس من الهوش كملوا ... كما دغلوبن نش عنه المغادر
اليامـا لفونا زوبعنٍ فوق ضمر ... كبن يلاوي صرعهن كل نادر
من فوق كل صهالٍ وكل اشمَرَة ... يطيرن ريغان العجاج الجادر
وجتنا الجحافل من تالع والحفر ... تسمع زغاريت البنات الجواهر
اليا وردوهن كالغروب الوَرَد ... وإن صدروهن كالقاح الصوادر
ونشوف ضرب سيوفهم بظهورنا ... مثل حقوق المزن من فوق ماطر
حلوا بتالينا وانقاد جمعنا ... وايدين بيص تقطعن بحد شاطر
صكوا علينا بسربتينن تذودنا ... هذا يوردها وهذاك صادر
صاحوا علينا صيحتنٍ تنثًر الدما ... وخذوا نوادي الخيل والعج ثاير
خذوا نوادي خيلنا وأكرشوا بنا ... وحنا على الطوعات والكون عامر
الخيل بالفرسان قامت تذودنا ... من دور العيلات هذاك عاثر
صاحوا علينا صيحةٍ ترمل النسا ... يشيب به المالود وياجي التذاكر
علنا عليهم عيلتن من خطانا ... وأنا على ما قدر الله صابر
وتجاولنا بالجموع بطراف موقق ... وصارت علينا من كبار الكساير
وانشوف جدع الخيل منا ومنهم ... هشيم طلح جابه السيل حادر
وجانا اصبي لا طال عمره ... خلى عجاج الخيل عدا الجواسر
وقمنا ننخى كل كرمٍ امجرب ... يا الله يا قادر على كل قادر
ونخينا بيص وين أبنٍ عشَية ... اليامـا هفا حدر السيوف الشواطر
قلت يا بيص يا بيص انحى الخيل عنا ... يا بيص يا فرز الوغى يا آبو شاكر
ورد عليهم بيص واحمر السما ... وغدت سروج الخيل مثل البواخر

وتلقاه أخو شلوى[106]وأعطبه ... بشلفا تلظا بين الضلوع شاطر

وتركنا بيص بريع المغني ... تمره القطعان اليا ألفت صوادر

اليا صدرت من جوّ العويجر تمره ... ممشاة ليلة قدرها بالأكادر

ووردنا الخليفة تاركين اشيوخنا ... عياض وحوشان ومحتمي الخيل ناصر

وخلينا جبار والزناتي وعبدالله ... غربي بزاخة لا سقتها الأقاطر

ظيمي بني عمي مكارم لابتي ... أشراف فروع القبايل مصادر

تلفي لربعي بني عمي أهل الجودوالسخا ... أركوا على كبدي حاميات المخاطر

آن انشدوك عن حالنا عطهم الخبر ... ترى حالات العلم ياتي مبادر

بأسباب سرنا ثم غرنا وصارت كسيره ... الراس من كثر الهواجيس سادر

عز الله آني ما نويت حربهم ... مار الله اللي قدر الأمر قادر

وحلفت ما اجي ديارهم عقب مامضى ... كود نتواجه عند رب المقادر

هذا كلامٍ للشريف محمد ... يذكر فعولن ماضين له بوادر

هذا وصلينا على سيد البشر ... اعداد ما كبر بروس المناير[107]

وابن صلال في القصيدتين هو محمد بن صلال بن محمد بن مانع الجرباء الذي من نسله بيت الصلال الموجودين حاليا من المحمد، و كانوا فيما مضى ايام ما كان آل الجربا في نجد الأوصياء على الشيخ من آل محمد إذا ما توفي أباه والت المشيخة إليه وهو صغير إلى أن يكبر ويبلغ أشده.

الشيخ جعيري:

خلف لنا الشيخ مانع عدى محمد جعيري الذي أصبح على مشيخة شمر، ولم يزودنا التأريخ البدوي عن هذا الشيخ بأية معلومات سوى التسمية ولمن ترك المشيخة من بعده.

الشيخ عبد المحسن:

هو ابن الشيخ جعيري، وكان على مشيخة قبائل شمر في نجد بعد وفاة أبيه، ولم يصلنا شيئاً عن هذا الشيخ وأغفل أحداث عهده التأريخ البدوي

(١٠٦). ويقصد به العجرش من فرسان شمر.

(١٠٧). قام الباحث بجمع أبيات هذه القصيدة من خلال سمعه للموروث الشعري لدى شمر.

مثلما أغفل أحداث عهود غيره من آل محمد الجربا، سوى انه قتل على يد أحد أفخاذ شمر (الصايح) في خلافٍ داخلي بينهم، وقد أخذت الخرصة بثأره على عهد الشيخ الحميدي الأمسح في دار ابن حميان (بما عرف بلعبة السيافا بشامان)، على الرغم من كون المحمدي لا ثأر له لمكانته لدى شمر.

الشيخ مجرن:

هو ابن الشيخ عبد المحسن، أصبح على مشيخة شمر بعد موت أبيه، وهو كذلك ممن لم يصلنا عنه إلاّ الشيء القليل، إذ أن الشيخ مجرن كما تحدث عنه التاريخ الشفهي هو من اشجع فرسان رجالات شمر في عصره، إذ كان يخرج بأبل شمر التي معه لوحده في يوم كامل دون أن يأخذ معه من يحامي الإبل، واليوم التالي كان لفرسان شمر، وله طلحة (شجرة) من طلح منطقة جبل شمر كان يجلس تحتها لا زالت أثار مكانها باقية إلى اليوم قرب حائل، وقد ترك من الأبناء كلاً من زيدان الذي من أحفاده فرع الزيدان الذين ينتخون (حرشة وأنا ابن مجرن) توكيداً لمكانة هذا الشيخ ونسبتهم له، وحميدي. وربما كان على عهد الشيخ مجرن مقتل كلا من عمار وموح الجربا عام ١١٠٠هـ، ١٦٨٨م، ومقتل الشيخ مسلط الجربا في يوم البنوان. وهو يوم مشهود من أيام نجد التي أرخوا بها فقالوا: يوم البنوان، بالرغم من أننا لا نعلم ماهية الحدث الذي كان في هذا اليوم من عام ١١٠٤هـ، ١٦٨٢م، فعمار والموح ومسلط الجربا لا نعلم عنهم سوى ما ذكرناه [١٠٨].

الشيخ حميدي الأمسح:

يعد الشيخ حميدي الأمسح من أبرز أحفاد محمد الجربا في نجد، ومن ذريته تكاثر آل محمد. ولأحفاده اليوم المشيخة على قبائل شمر، وقد لقب الشيخ حميدي الجربا بالأمسح لأنه ولد وإحدى عينيه ممسوحة، أي ليس فيها إنسان العين [١٠٩]، ومما تمتع به الشيخ حميدي من رعاية الله عز وجل له انه كان ذا حظ وافر العطاء في حياته بحيث أن أفراد قبائل شمر اتخذوه مثلا لهم

(١٠٨). ابن منقور، مرجع سابق، ص٦٩، ابن بشر، مرجع سابق، ج١، ص ٩٩.

(١٠٩). العزاوي، عشائر العراق، ج١، ص ١٣٦-١٣٧.

فيقولون في مضرب أمثالهم (يا حظ الحميدي الأمسح)، كما أشار القصيد البدوي أليه وإلى أبنائه بطول باع الكرم والسخاء لديهم فيقول الشيخ العاصي بن فرحان باشا:

عيال الحميدي يذبحون الفتاة[110] **وبدك الكهاوي عقبوا كل حماس[111]**

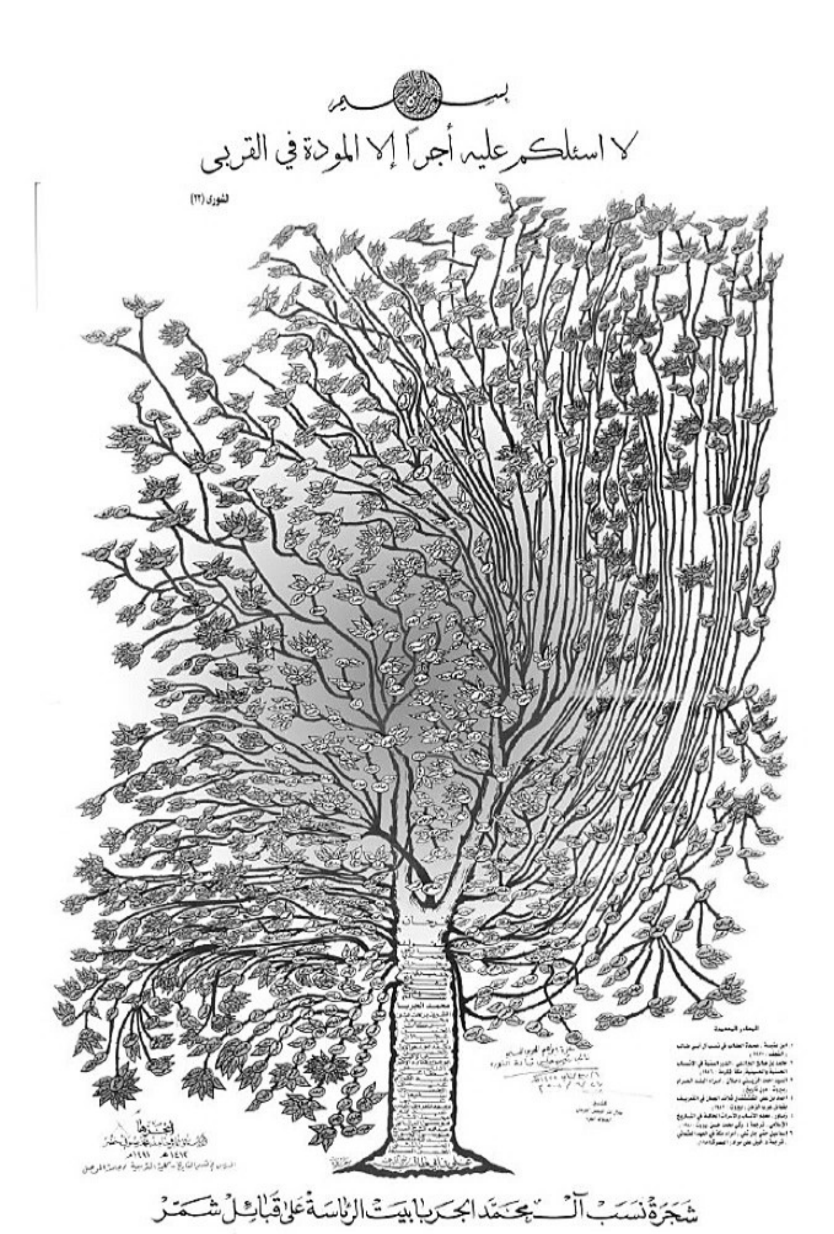
وقول الشاعر عامر السمن في الشيخ مطلك الجربا ويصفا من خلال شعره الشيخ حميدي ألأمسح:

سيدٍ من سيدٍ متسلسلي **ما بين طه والبتول والولي**
يا ولد من لجحت مطية ضيفه **استن تابعها وهو لا يسألي**
انا تدينت برجاك بحيلة **لولاك ما دينت حبة خردلي**
زيزوم زينين المحازم شمر **بيمانهم مثل البروق امسللي**
تعللوا بسطام كل قبيلة **ولا تعللوا بتدليل الطلي**
حريبهم صبوا عليهم مصيبة **صبح الثلاثه وعبها ما ينجلي**
لولا صوارمكم ورؤس ارماحكم **ما صاح بالأذان صوت امكبري[112]**



أدوات القهوة العربية في القرن التاسع عشر

(١١٠). الناقة.
(١١١). من التراث الشعري الشمري.
(١١٢). نفسه.


بسم الله الرحمن الرحيم
لا اسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى
الشورى (٢٣)
شجرة نسب آل محمد الجربا بيت الرئاسة على قبائل شمر

الفصل الثاني

الشيخ مطلك الجربا

دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد والاصطدام مع شمر

يرجع أصل الحركة الدينية الإصلاحية في نجد إلى بدايات النصف الثاني من القرن الثامن عشر، عندما بدأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدعوة إلى معتقدات إصلاحية إسلامية، منطلقاً في دعوته من خلال المذهب الحنبلي، ومتخذاً من دعوات واجتهادات الشيخ أبن تيميه توفي عام ٧٢٨هـ/١٣٢٨م المنهج الذي أنطلق منه.

دخل الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي توفي عام ١٧٩٢م في صراع ديني مع التيارات الدينية السائدة في عصره، مما أضطره إلى الهرب واللجوء إلى الدرعية عند آل سعود وزعيمهم محمد، فتبنى آل سعود هذا التوجه الديني ووضعوا الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مكانة مميزة، مما ساعدهم على تحقيق أهدافهم السياسية في السيطرة على مناطق الجزيرة العربية وتكوين إمارة قوية لهم على هذه الأرض، فهاجم آل سعود مع أتباعهم العديد من مناطق شبه الجزيرة العربية، حيث أنهم هزموا بني خالد أمراء الإحساء، وضموا هذا الإقليم ولو لفترات قصيرة في بادئ الأمر إلى إمارتهم، مع بعض مناطق شبه الجزيرة العربية، مما حدا بالقوى المحلية على هذه الأرض من بني خالد وشمر وأشراف مكة فضلاً عن آل السعدون أمراء المنتفك: بالاتحاد والتعاون ضد هذا الخطر الجديد، في الوقت الذي كان فيه السعوديون يتطلعون نحو شمال نجد وجنوب وادي الرافدين، لما لهذا الإقليم من وفرة في الموارد المائية وخصوبة التربة وأمناً لإمارتهم من هجمات القبائل الأخرى.

أدرك آل سعود، مبكرا بعد أن نجحت جيوشهم في القضاء على ثورات الخرج والقصيم أهمية جبل شمر الاقتصادية، فأرضها خصبة التربة وتتوفر بها عيون الماء التي تكفل قيام حياة زراعية مزدهرة، مع أهميتها التجارية وطبيعة العلاقة الجغرافية مع جنوب العراق، مما زاد في أهميته

الاقتصادية التي ستؤول لآل سعود، وكان هذا الإقليم تحت سيطرة شمر (آل الجربا) [١] في هذا الوقت.



شامان سيف الشيخ مطلك

(١). د. عبد الرحيم، الدولة السعودية الأولى، ص ٧٤.

الشيخ مطلك الجربا

لم نجد في المدونات التاريخية الشيء الكثير عن النشأة الحياتية الأولى لهذا الفارس الجّواد الشمري الهاشمي، فنحن لا نستطيع تحديد ميلاده ولكننا نعرف أنه اكبر أولاد الشيخ حميدي الأمسح، وأصبح بعد وفاة والده شيخاً لقبائل شمر في نجد خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

كان الشيخ مطلك فارساً جوادا سخيا، ذا حكمة وعلم تناقلت أخباره أعداءه قبل أهله وأصدقائه، عاصر العديد من شيوخ العشائر النجدية الذين كانت لهم سطوة واسعة على ارض نجد. أمثال الأمير عبد العزيز آل سعود وابنه سعود، وجديع بن هذال شيخ العمارات من عنزة، وحسين بن وطبان الدويش شيخ مطير، وحسين أبو شويربات من فرسان نجد المشهورين الذين كانت للشيخ مطلك الجربا أحداث ووقائع له معهم، أخذت حيزاً واسعاً من التاريخ النجدي الشفوي سنمر على قسم منه فيما بعد.

وخير من وصف هذا الشيخ الهاشمي الشمري المؤرخ ابن سند الوائلي بقوله: "هذا مطلق من كرام العرب عريق النجار شريف النسب، من الشجعان والفرسان الذين لا يمتري بشجاعتهم إنسان، له مواقف يشهد لها في السنان والقاضب، ووقائع أعترف له بالبسالة فيها العدو والصاحب، وأما كرمه فهو البحر حدث عنه ولا حرج، وأما أخلاقه فألطف من الشمول وأذكى من الخزامي في الأرج، وأما بيته فكعبة المحتاجين وركن الملتمسين، جمع البسالة والكرم في ردائه بحيث نادت السنة نظرائه أنه العلم الفرد والشمري الذي لا يوقف لكرمه على حد، ولقد والله أعجز من بعده من سراة البادية بمكارم لا توصف إلا بأنها ظاهرة بادية".[٢] وقال فيه:

---

(٢). ابن سند، مرجع سابق، ص ٢٢٣-٢٢٤.

يـــا بحـــر لا تفخـــر بمـــدك واقصـــر	عـــن أن تضـــارع حاتميـــأ شـــمري
مـــا حـــل فـــي كفيـــه مقســـوم علـــى	كـــلِ الانـــام غنـــيِهم والمقتـــر
مـــا ثـــم مـــأثرة ســـمت إلا روى	مرفوعهـــا عنـــه لســـان الأعســـر
ففنـــاؤه مـــأوى طريـــدٍ خـــائفٍ	وحبـــاؤه مغنـــى مســـيفٍ معـــِر[٣]

ولو دققنا النظر في هذا النص الذي دونـه ابـن سند لتبين لنـا المكانـة التي كـان عليهـا الشيخ مطلك الجربـا مـن سـعة فـي سـخاء اليد حتـى أن ابـن سند شبه كرمه بالطائي حاتم، مع سمو في الخلق وطيب شمائل الأخلاق في زمان كان فيه هذا السلوك يعد مأثرة من مآثر الرجال العظمـاء فـي ارض قد بعدت عن مراكز الحضارة والتمدن.

عرف الشيخ مطلك الجربـا بالعديد مـن الألقـاب التـي اقترنـت بشخصـه، وأضحت بديلاً عن اسمه إذا ما ذكرت كالزكّام، اخو جوزه، العيط، وكلها تعبر عن الرجولة والحمية وأخلاق الفارس النبيل، وتحدث العديد من الشعراء عنه و عن كرمـه وشـجاعته ومـنهم الشـاعر أميـر كفـار دنـدل الفهيم بقصـيدته التـي ذاع صيتها في الأفاق، وتغنى بها البدو في الأرجاء إذ يقول فيها:



وسم الجمل في البادية

(٣). نفسه، ص ٢٢٤.

مبتدأ ما أقول في ذكر الإله   جل رفاع السما باسط وطاه

قال دندل الفهيم أبيات جيل   حلو ملفوض النبا عدل البناه

قال أديب بارع بالجيل زين   الغرايب ما كلمن داره لقاه

هاض جيلي جما هيضات التهام (٤)   الجراد آليا ارتحل يتلا رحاه

ذا ما خصيت من عدل الجواب   الغرايب والردى ممن بغاه

ثم ذا وخلاف ذا ياعارفين   ان قلبي جل والممشى هواه

هي يالي ضارين درب الرشاد   فوك كور عثافرن حلون سراه

عيرتن مأمونتن عوصا هميم   ماحلى مشيه آليا دانت خطاه

أن مشت تشبه لزفزاف الضليم (٥)   شايفن زولن على المفلى عداه

ريضه يا راجبه لقيت خير   جان حطيت الرديف في قراه

لين تبغى نيتك درب الرشاد   زان لك طيب الوفوق من الإله

إن ركبت من قفارٍ لا تنيخ   لين تلفي العيط ترى هو منتهاه

يم أخو حوزة زكم سكم الحريب   يانديبي يا على من هو نصاه

ثم أصيح بمعتلى صوتي وأقول   يا أبن مانع يا حجى من هو لفاه

يا قديم أضعاننا مروي السيوف   يا عاموده يا سراجه يا ضياه

ياعريب الجد يا وافي الذمام   يافتى حاشى المراجل وأنتضاه

يا نجي العرض عن طرك الدنوس   ياالذي عرضه نجيٍ عن رداه

ياعزيز النفس عن شئ يعيب   معطي نوق السلاطم ما حلاه

يا خراب الزاد يا ريف الضعوف   يوم ولد العفن ما يدرك عشاه

باللوازم مثل هداج يزوم   كلما كثرت وروده زاد ماه

---

(٤). الجراد.

(٥). النعام.

يا الذي يدنى سراجه بالطراد
من سلايل نجد بموالــه شراه

سايجن بــه ست وعشر وناقتين
والعبية مهفية واللي تلاه

ساقهن بِشمرّتن كبا قحوم
مثل حيد الزمل مزبورن قفاه

شاريه يبي اليا ثار الجتام
طج تالي الزمل والصايح عداه

قطمرت باللبس والجمت العنان
ثم اخو جوزة تحيزم واعتلاه

صار زلزالن على المجفي شديد
مثل يوم الحشر شاب من إعتضاه

حين ضرب بالسيف في روس الصياد
ضرب بيطارٍ يخلص من وراه

والجنايز بالوطى صرعن قتال
والصبايا دلهن ذهلهن غطاه

ينخن الشيخ بالصوت الرفيع
ياحامي تالي ضعنا يا ذراه

يوم صاحن كلهن لمن جميع
وين ستر اضعوننا واللي حماه

جاك أخو حوزة مثل فهد الزراج
دارعن بالصيد غرن يوم جاه

عاش من تفرس ساقته السباع
والذيابا مع نسوره مع حداه

عاش من للخيل ضده كالجراد
لازمن تجفل آليا سمعت وحاه

ما حلى شقرا تحت نيب العيال
يفرح المجفي آليا شافه وراه

جني اسمع يا اسلام الله واشوف
جلد خيل الضد يوم العيط جاه

مثل جلد المزن غضبان الرعود
جاه من الغربي عاصوفٍ حداه

احسبه رعدن وهو سميط خيل
والعجاج العنبري ربرب من وراه

صار مثل الليل يضرب بالسياط
وارتكب مثل الهضاب وهل ماه

هل وبله من قطي الخيل دم
من يمين العيط لاشلت يداه

إنشوف جدع الروس من فوق المتون
يشبه البيطار يجدع ما وراه

ذي تخر وذي تمر وذي تنير
من يمين العيط لاشلة يداه

من إحوي لزوي الباب تيما
للقصيم كله بالسيف أخو حوزة ولاه

هو عذاب الخيل الياجاه أوصاح
والسيافا مردفين من وراه

حابجين انبه كما افروخ الحرار
لازمن يرمون للعرجا عشاه

بالمعاره عقبهم لازم تشوف
به نسورٍ كالبهوم الراتعاه

هو حماها من العظيمي للعليم
لين سلمى والجبل والي وراه

والســـــيافا لابــــتن يتلــــون شـــيخ   عمـــى عـــين المعـــادي وهـــم ادواه
إن تشـــلفحن الســـنين هـــو يصـــير   مشـــرعٍ للضـــيف والعـــاني مـــلاه
جـــن بيتـــه آليـــا اضـــمحلن الســـنين   والقـــرى ماعـــاد يلقـــى مشـــتراه
مثـــل ورد البـــدو فـــي طلعـــت ســـهيل   ون تعـــاطو منهـــلٍ حلـــوٍ جبـــاه
ســـتر للمضـــيوم نعـــم المحتـــرين   لحـين يـوم ارتحـل خـذى خيـل وأعطـاه
ذا كلامـــي والمـــلا لـــي يشـــهدون   كـــل أنـــا مـــا قلـــت فـــي حقـــه عـــلاه
ذا وصـــلى الله علـــى ســـيد قـــريش   مـــا أعتلـــى القمـــري فـــي عـــالي ســـماه[٦]

كما وان لأبن سند الوائلي قصيدة عصماء تغنى فيها بشجاعة وبسالة الزكام نقشت حروف أبياتها:

قـــوم إذا حربـــوا فأســـاد الثـــرى   وإذا هـــم أعطـــوا فـــابحر جـــودِ
يـــاعين إن مـــاتوا فقـــد مـــات النـــدى   فعلـــيهم حزنـــاً بـــدمعكِ جـــود
خاضـــوا الـــوغى بصـــوارم وشـــياظِمٍ   قـــب البطـــون تـــؤم جـــيش ســـعود
فتفرقـــت منـــه الكمـــاة كـــأنهم   نقـــد نـــوافر مـــن زئيـــر أســـود
لاقـــاهم الأَســـد الضـــيارم مطلـــق   فتعلقـــوا بشـــليل كـــل قعـــود[٧]

(٦). من التراث الشعري الشمري.
(٧). ابن سند، مرجع سابق، ص ٢٢٤-٢٢٥.

وهذا كنعان الطيار[٨] ينشد أبياتا في الشيخ مطلك وفرسانه من الخرصة واصفاً فروسيتهم وسمو أخلاقهم:

راكبين كوار حيلن شوملن	كاالسفن ولا النعام الهوارب
راكبين الهجن عوجو ركابهن	خوذو سلامٍ من ضميري غرايب
خوذو سلامن وللسيافا تحيه	يتلون اخو حوزة عفيف الشوارب
ياشبه هداج اليا زاد ورده	مودع بزاد البيت مثل النهايب
خريصات هم هل الكود والجدا	عيين اللوى مغلجين الطلايب
يطبن بريغان العجاج وينثنن	ويجن مع عجلاتهن الجنايب
ذهانٍ ذكانٍ مايلحك الضد غيلهم	غمجين الأهوى بي مجل الترايب
ويما نكثو من غزل مخفي عداوه	ويما ذبحوا من شايشٍ بالحرايب
قهارة المظهور في وجه ضدهم	وإن هلهلن بالكون حمر العصايب
جعيعين الرجل عن بيت جارهم	ما يدهلون البيت إن كان غايب
الوطيفي لبسن جوخةٍ ما لبستها	جعل العمى الهاك الحجاجين صايب
يعل جواده بالملاكا عثيره	بوجه السبايا والسبايا حطايب
وعزالله أنه أبرى من حمامٍ بيم	بيا وأبرى من إلي خضبن بالترايب[٩]

كما أن الشيخ مطلك نفسه كان يقول الشعر ويجيده، وهو حال العديد من آل الجربا شيوخ شمر، بالرغم من أن أكثرهم كان يقول الشعر هو لكنه كان ينسبه لغيره من الشعراء المعروفين، أو يعطي الشعر لغيره ليقوله تواضعا ونكرانا للذات، ولعل قصيدة الشيخ مطلك التي وصلت إلينا على لسان فرسه ضمن حوار تصويري جميل بينه وبين العزيزة على قلبه، ونحن نعلم كم أن الفرس غالية لدى فارسها، خاصة بالنسبة للبدوي الشجاع والفارس الشهم، وهي التي خاض على ظهرها غمار المعارك الشرسة دفاعاً عن أرضه وشرف شمر ومكانتها، لقد آل الدهر بهذه الفرس أن يذهب بصرها

(٨). من شيوخ عنزة وكان قد التجأ عند الشيخ مطلك نتيجة خلاف وقع له مع عشيرته فأكرم الشيخ مطلك وفادته.

(٩). من التراث الشعري الشمري.

فحزن الشيخ عليها حزناً شديداً فوضع هذه القصيدة التي اشتملت على خصال فرسه وصدق الأحاسيس التي كان الشيخ يكنها لها:

قـم يـازكم للريـف دور دوانـا — هـات الطبيـب اللّـي يـداوي عمانـا
أنـا طلبـت الله يـوم إبتلانـا — لـن الوضـاح بعـين خطـو الردوحـي
لـو الـدوا ينفـع لعيـنج شـريناه — لـو هـو بغـالي ثمنـا خسـرناه
مـار عيـنج لـه نظيـرٍ دفـك مـاه — ولا ينفـع العطشـان كثـر السـبوحي
تنسـاني يـوم أكسـر عريشـي عـن الـذيل — مثـل الشـغايا يـا تلاقـا بـه السـيل
أمـا حـديث الـرمح بـالجري والحيـل — للجـرف هـو ويـا الخيـارى جمـوحي
مـن غيـر بـري لـج حليـب وقلصـان — والبـر الآخـر مـرتعج فـوق حوشـان[١٠]
أريـد اليـا مـن صـار للخيـل ميـدان — أطلـع علـيهم مثـل بـرقٍ يلـوحي
يـالعيط حوشـان تعلـوه شـمر — خـصٍ اليـا جونـا علـى كـوار ضـمر
كـم نوبـةٍ سـرجك علينـا تجمـر — والشـيخ يطلـب عفتـك وأنـت تـوحي
وجـدي علـى الشـقره اليـا صـاح صـياح — تعلـوهن طـوآل السـبايا والرمـاح
كـم واحـدن مـن علـى صـابره طـاح — عليـة عـذرا كـل ليلـة تنـوحي
يـالعيط جينـاهم مـن الشـرق للشـام — وتعللـت بنـا مجـالس بنـي لام
وكـم نوبـةٍ طيـر المنايـا علـي حـام — والـي العـلا يفـك روحـك ورحـي
وجـدي علـى الشـقرا لـوجن مـع الريـع — ثلـثٍ مجـاويخ وثلـثٍ مـداريع
مسـرجاتن سـدن الفـج والريـع — وأطلـع علـيهم مثـل ظفـرن سـبوحي
وجـدي علـى الشـقره لـوكظ بنـا — لحجـوا علينـا بالطلـب كـل فنـا
يامـا بتـاليهم كحـومٍ تثنـا — لوهـاب عشـيج البنـات الطمـوحي[١١]

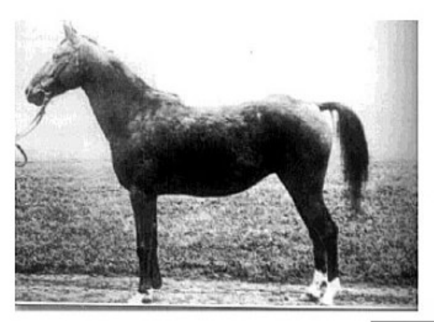
لقد نسب إلى هذا الفارس صحن زاده المعروف (بحوشان) تشبيها له بحصن حوشان الذي كان يجمع شمر في الأزمات، وكذلك هذا الصحن الذي كان يجمع من يحضر مضيف الشيخ مطلك من الضيوف، كما كان له سيفه المشهور المعروف بشامان تيمناً بحصن شمر المشهور في أعالي جبل أجا،

(١٠). صحن مطلك.
(١١). من التراث الشعري الشمري..

الذي كان يمثل الحصن المنيع لشمر وقت الحرب، أو عندما كان يتكاثر عليها أعداءها، فكذلك كان هذا السيف بيد الشيخ مطلك الحامي لشمر والمنقذ لها بيد فارسها، والسيف هذا في الأصل كان لأبيه الشيخ حميدي الأمسح، ثم أطلق عليه فيما بعد على عهد الشيخ صفوك (ارحيان).[١٢]

وتروى للشيخ مطلك العديد من الوقائع والمجالس التي كان فيها هذا الشيخ الشمري يظهر من خلالها شجاعة وبسالة رغم صعوبة الموقف وجسامة الخطب، ومنها ما يروى آن مجلساً كان قد جمعه مع بعض شيوخ العشائر عند الأمير عبد العزيز آل سعود قبل آن يحتدم الخلاف بينهم، وسأل الأمير عبد العزيز الحاضرين في مجلسه عن أشجع الفرسان العرب في زمانه، فذكر الحاضرون شخص الأمير، ثم وجه السؤال إلى الشيخ مطلك فذكر أخو حوزة العديد من الفرسان المشهورين الذين عرفتهم أرض الجزيرة العربية وذاعت شهرتهم، وخص منهم بعد الأمير مانع ابن ضويحي وجديع خيال الحصان، ولكن ابن سعود كرر السؤال عن أفرس الفرسان، هنا نهض الشيخ مطلك الجربا وشهر سيفه وصاح: أنا وأنا أخو جوزة. [١٣]

وبعد: فإن شخصية الشيخ مطلك الجربا كما يصفها كاتب معاصر بقوله: " هي الشخصية الكاملة في أقطارها، ففيها القدوة الصالحة والمثل البطولي الأسمى للإنسان الفذ، والمحارب الشهم النجيب، والصراط السوي للمسلم القرآني الذي لم يخضع لسيوف جبابرة في عهود مضت وانقضت". [١٤]



(١٢). أنور عبد الحميد السباهي، حياة المرحوم الشيخ دهام الهادي (بيروت: ١٩٧٦م) ص ١٤٦.

(١٣). نفسه، ص١٤٩ والرواية مشهورة لدى شمر.

(١٤). السباهي، حياة، ص ١٥٧.

الشيخ مطلك والصراع مع آل سعود

لقد لعب القدر لعبته في أحداث شبه الجزيرة العربية خلال العشرين سنة الأخيرة من القرن الثامن عشر، بعد أن قويت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بتبني آل سعود لها، وقيام الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود بمحاولة السيطرة على كامل أرض نجد، وإخضاع القبائل العربية لسلطته تحت ستار هذه الحركة الدينية الإسلامية، فمنع الغزو إلا ما كان يقوم به هو وأتباعه من الغزوات التي كان يعتبرها جهاد في سبيل الله بمباركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لها، وكان يأمر بدفع إتاوات سنوية له باسم الزكاة.

وعندما تطلع نحو جبل شمر بعد أن شن الحروب على كثير من مناطق وقرى شبه الجزيرة العربية، وذبح أناسها. وقطع أشجارها. واحرق بيوتها، كانت الأحداث تتلاحق، فبعد الغزوات التي وجهها نحو جبل شمر عام ١٧٨٢و١٧٨٧م[١٥] التي كانت لها شمر بالمرصاد بقيادة الشيخ مطلك الجربا، إذ لم يستطع الأمير عبد العزيز بضم إلا قسم قليل من قبائل شمر(ابن طوالة والتومان) تحت راية الحركة الوهابية مع أهل حائل وما حولها.

لقد شن شريف مكة وأميرها غالب بن مساعد (١٧٧٨-١٨١٣م) غارات على نجد ليخضع بعض القبائل العربية فيها من التي تعاونت مع آل سعود[١٦]، ورفضت أن تدفع له الزكاة السنوية، مع رغبته في القضاء على إمارة الدرعية. فجهز عام ١٧٩٠م حملة عسكرية كبيرة بقيادة أخيه عبد العزيز تقدر بعشرة آلاف مقاتل، ومعهم أكثر من ٢٠ مدفعا كانت ووجههم نحو الدرعية معقل آل سعود، لأجل القضاء على الأمارة الفتية وإنهاء الحركة الوهابية، وبأمر من السلطات العثمانية التي وقفت موقفا عدائيا منها، وسار مع الشريف الكثير من بوادي شمر تحت قيادة الشيخ مطلك الجربا الذي رفض أن يكون تحت راية ابن سعود وحركته الوهابية، وشهر سيفه في

---

(١٥). فيلبي، مرجع سابق، ص٧٨-٧٩.

(١٦). ابن مقبل، مرجع سابق، ورقة ٣٧.

وجهها، فضلا عن قبائل مطير وبوادي الحجاز، ثم لحق بهذه الحملة الشريف غالب مع جموع أخرى من البوادي والقوات، توغلت هذه الجموع إلى داخل نجد وحاصرت هذه القوات مجتمعة قرية الشعرا مدة من الزمن بعد أن سيطرت على العديد من المناطق النجدية، لكنها لم تستطع فتحها. عاد بعدها الشريف غالب ومن معه من القوات إلى مكة لقرب موسم الحج، ولم يستطع القضاء على إمارة آل سعود، وتفرقت القبائل التي كانت معه [١٧].

كانت شمر بحكم القربة بين شيوخها الجربا والشريف تساند الشريف غالب، ولكن حدث خلاف بين شمر والشريف عندما أراد الشريف غالب أن يأخذ الزكاة من شمر كي يصبح حالها حال القبائل الصغيرة الأخرى التي كان الأشراف يأخذون منها الزكاة، رفض الشيخ مطلك الجربا ذلك خاصة أن شمر كانت تأخذ ضريبة الأخوة (الخوة) ممن يعبر ديارها من مواكب الحج والقوافل نظير الحماية التي تقدمها لها شمر حتى تعبر أراضيها وحماها بسلام، وتكون مسؤولة عن سلامة المواكب والقوافل ومن فيها وما فيها، وقد نقلت شمر معها هذه الضريبة إلى ارض الجزيرة الفراتية تحت اسم (الخوة).

أراد الشيخ مطلك الجربا الانسحاب عن الشريف غالب بقواته الشمرية، وكذلك انحازت معه مطير وأن يتناسى مطلب الشريف غالب هذا، لكن الشريف لشدة حاجته للأموال، خاصة وانه قد انفق على الحملة الكثير دون طائل، ولقرب موسم الحج، فقد أرسل رجاله لجمع الأموال من شمر ومن معها بعد أن عاد الشريف غالب إلى مكة [١٨]، فقام احد فرسان شمر من الخرصة وقتل جباة الشريف غالب، كان احدهم من الأشراف من أولاد عمومة الشريف، مما اغضب هذا العمل الشريف غالب وأمر بأن تجهز القوات الحجازية لشن حملة على شمر والشيخ مطلك، واخذ ينادي بطلب رأس الشيخ مطلك مما اثار حفيضة شمر، فقام ابن دايس قاتل جباة الشريف بالقدوم على الشريف غالب في مكة المكرمة وسلم نفسه إلى البه، واعلمه أن العمل الذي قام به هو اجتهاد شخصي من قبله دون علم الشيخ مطلك، وان

(١٧). ابن بشر، مرجع سابق، ج١، ص٨٦-٨٧.

(١٨). نفسه، ج١، ص٨٦.

الجربا لم يرض عن هذا العمل، عندها عفا الشريف غالب عن ابن دايس وانتهى الخلاف بينه وبين شمر وقائدها الشيخ مطلك الجربا.

لقد اثبت لنا القصيد البدوي آن الشيخ مطلك الجربا لم يكن خاضعا لإمرة الشريف غالب وقواته مع شمر التي معه في يوم من الأيام، إذ يقول الشاعر الكحاز من شعراء الحجاز مخاطبا الشريف غالب بن مساعد:

يـــا راكـــب ملحـــا تســـوك البطـــاني   ســـوق الرشـــا بمـــدورجات المحاحيـــل
ايضـــا واليـــا دشـــت غـــدير الســـياني   ذرعـــان صـــباغتن تـــدلك مـــن النيـــل
تلفـــي البيـــت الكـــرم والجـــود والصـــياني   امامنـــا بالـــدار مـــن يخـــص الحيـــل
انـــت الأســـد والشـــيوخ عنـــدك حصـــاني   يمشـــون بحـــد منـــك يـــا صـــاحب الميـــل
الا مطلـــك الجربـــا زبـــون الحصـــاني   خيـــال الونـــدات زبـــن المخاليـــل[19]

تلاحقت الأحداث والأمير سعود بن عبد العزيز على مقربة من جبل شمر مع قواته يحاول السيطرة على هذه الأرض وقبائلها وإخضاعها لسلطانه، خاصة وانه في العام ١٧٨٦م كان قد أرسل حجيلان بن حمد أمير القصيم غازياً على جبل شمر، واستطاع هذا القائد ان يفرض الطاعة لآل سعود على قسم من قبائل شمر، وبخاصة أهل حائل وقسم كبير من قبائل اسلم[20]، مما جعل هذا الوضع شمر التي بقيت تحت قيادة الشيخ مطلك أن تلعب دوراً كبيراً في تأريخ شبه الجزيرة العربية، ومن ثم في تأريخ العراق وبلاد الشام فيما بعد [21].

أوجب هذا الحال أن أوقع صراعاً دموياً بين شمر بقيادة آل الجربا وآل سعود بقيادة الأمير سعود بن عبد العزيز فيما بعد، وأصبح عندها أمام الشيخ مطلك الجربا ثلاثة خيارات لا رابع لها لمواجهة هذا الظرف الذي وضعه فيه مسار الفعل التاريخي لهذه الأرض خلال تلك الحقبة الزمنية من تأريخ العرب الحديث، وتمثلت تلكم الخيارات في:

---

(١٩). من التراث الشعري الشمري.
(٢٠). ابن بشر، مرجع سابق، ص٨٦.
(٢١). نوار، آل محمد، ص١١١-١١٢.

أولا- أن يقاتل حتى ينتصر على آل سعود، لكن هذا النصر بعيد لطبيعة التنظيم الديني للوهابيين وحماسهم في ذلك الوقت تجاه العقيدة التي يحملونها، وكثرة من كان مع ابن سعود من القبائل، في حين أن قسماً من قبائل شمر لم تكن مع الشيخ مطلك ومنها أهل حائل الذين كانوا قد أعلنوا الطاعة لأبن سعود.

ثانيا- أن يقبل الشيخ مطلك وشمر التي معه الخضوع لسلطة أبن سعود وما يراه، ولكن هذه القبائل الشديدة البداوة كانت ترفض الخضوع بإباء وشمم.

ثالثا-أن تغادر شمر نجداً بعيداً عن متناول سيوف آل سعود، وهذا قرار ليس من اليسير على شيخ العشيرة الفارس الجرئ أن يتخذه إلا تحت ظروف قاسية. (٢٢)

حاول الشيخ مطلك بما عرف عنه من حلم وحكمة أن يتفادى الصدام مع أبن سعود، ويكون في مأمن من الصراعات السياسية التي كانت على أرض الجزيرة العربية بين الدولة العثمانية وأتباعها أشراف مكة، ومن كان تحت الراية السعودية من الوهابية، فانحاز عن الشريف غالب بن مساعد بعد أن انتهى الخلاف مع الشريف حول الجباة، لكي لا يعطي الحجة لابن سعود في معاداته والاصطدام معه، ويترك مسألة السيطرة على مناطق نجد التي ليس لشمر تواجد فيها محصورة بين آل سعود والشريف غالب، وكي يحاول في ذات الوقت إعادة من خرج من تحت سلطانه من قبائل شمر وانضووا تحت راية ابن سعود، ولكن الأمير سعود لم يرض بهذا الموقف من الشيخ مطلك وشمر التي تحت أمرته، خاصة بعد أن كتب إليه قسم من أهل جبل شمر أن الشيخ مطلك الجربا قد نكث العهد السابق مع آل سعود، وانه انظم إلى الشريف غالب في حملته وانضمت معه قبائل المطير (٢٣)، فاتجه الأمير سعود شمالاً نحو جبل شمر ونزل العدوة، وهو ماء لشمر ومرعى لإبل آل الجربا، إذ يخرج عنه وادي يسمى العدوة يتجه موازيا لجبال سلمى، ثم

(٢٢). نفسه، ص ١٣-١٤.

(٢٣). مؤلف مجهول، لمع الشهاب، ص٩٩.

ينحرف بعد انتهاء السلسلة إلى الجنوب في ارض نجد[٢٤]، وهذا الماء على بعد ٧٠ميلاً إلى الجنوب الشرقي من حائل[٢٥].

وأراد الأمير سعود أن يفرض الزكاة على عموم شمر وعلى شيوخها الجربا ويضعها تحت طاعته، فأغار على جموع مطير التي كانت على الماء واستطاع أن يلحق الهزيمة بها ومعها أعداد قليلة من شمر، ويقتل في هذه المعركة سعود شيخ الجبلات من مطير المعروف بحصان إبليس، وسمره العبيوي شيخ العبيات من مطير التي كانت في حلف مع الشيخ مطلك، وغنم الأمير سعود غنائم كثيرة من مطير في الوقت الذي لم يكن فيه الشيخ مطلك ومن معه من جموع شمر في العدوة.

حاول الشيخ مطلك أن يراوغ في الموقف إلى أن يجد مخرجاً لهذا الوضع غير المتكافئ عسكرياً بينه وبين الأمير سعود، فقام بخلط إبله وإخفائها بين المراعي لعدة أيام كي لا تظهر أمام جباة أبن سعود الذين أرسلهم بعد معركة العدوة ليأخذوا منها إتاوته، فتكون بذلك بمثابة موافقة من الشيخ مطلك في أن ينضوي بقواته تحت الراية السعودية بشكل دائم، ولكن إصرار الجباة على أخذ الشعث والنعام من أبل شمر والجربا جعلت أحد أشجع فرسان شمر ومن خيرة شبابها، الشيخ مسلط بن الشيخ مطلك لا يتحمل هذا الوضع، فثار في وجه أبيه على هذه المناورات التي أعتبرها تنازلاً وضعفاً من قبل أبيه، فخاطب أباه بأبيات شعرية أصبحت أحد أبرز المآثر التراثية لشمر في النخوة والعزيمة بقوله:

رقيت روس مشمرخات العراقيب رجم الطويل النايف المجلحزي
ونيت ونة ما تهجع بها الذيب اوجس قلبي من ضلوعي يلزي
اليا صار ما ناتي سواة الجلابيب وقلايع بيماننا بها نبزي
وانخا اخو جوزة ستر المعاريب الحراليا شاف المعلة ينزي[٢٦]

(٢٤). الخريصي، مرجع سابق، ص٦٨-٦٩.

(25) willamson ‹op. cit ‹p. 20.

(٢٦). من التراث الشعري الشمري.

ولكن الشيخ الفارس المجرب أراد أن يثني عزم ولده وأظهر له انه لم يحن بعد أوان الصدام مع آل سعود، فرد على ابنه الشيخ مسلط بهذه الأبيات:

أصبر تصبر وأجمع الصبر بالطيب هذي حياة كل ابوها تلزي
اخاف من قومن رؤسهم كاليعابيب وسيفن على غير المفاصل يحزي
والحر اليا صكت عليه المغاليب لزوم عن دار المذلة ينزي (٢٧)

لكن الشاب الهزبر في الذود عن كرامته وكرامة شمر أبى إلا آن يحد سيفه برؤوس أعدائه، فقاد كوكبة من فرسان شمر وأتجه بها من ياطب الجبل الذي كان ينزل عنده الشيخ مطلك ومن معه من شمر(٢٨) إلى ماء العدوه الذي كان الأمير سعود بن عبد العزيز ينزله من مياه شمر، وهو يصيح بأهزوجته المشهورة: **(يا ابن سعود المال دونك، والعمر مهدينه عليك، نبي أنهدي من اجنونك يوم ربك غضب عليك)**، وفي طريقه عرج على جباة الأمير الذين كانوا يجمعون الشعث والنعام من ابل شمر فحز رؤوسهم، وحلف آن يطأ خيمة الأمير سعود بفرسه، لآن أمراء الوهابية كانوا لا يقودون الجموع في المعارك بل يبقون في الخيام ويوجهون المقاتلين، فحدثت معركة ضارية بين الطرفين أبلى فيها الشمامرة ومن معهم من مطير الذين انضموا إلى الشيخ مسلط الجربا، طالبين بثأرهم من ابن سعود ومن معه بلاءً حسنا بعد أن لحقوا به وبمن معه من شمر، فأنزلوا بقوات الأمير سعود خسائر كبيرة بقيادة الشيخ مطلك الذي لحق بولده.

حاول الشيخ مسلط أن يصل إلى خيمة الأمير ليبر قسمه، ولكن كثر عليه أعداؤه حين أرخى عنان فرسه عند خيمة الأمير سعود فاختطفه رجال

---

(٢٧). نفسه.
(٢٨). مؤلف مجهول، لمع الشهاب، ص٩٩، ابن مقبل، مرجع سابق، ورقة٣٢، ابن بشر، مرجع سابق، ج١، ص٨٦-٨٧.

ابن سعود عن فرسه [٢٩] فخر صريعاً دفاعاً عن كرامة أهله وعشيرته وعزتهم، وكان مقتله في آب من عام ١٧٩١م. [٣٠]

لقد انتهت هذه المعركة بأن دخل الأمير سعود عنيزة ورحل الشيخ مطلك ومعه سودان الروس (شمر)، وسميت بذلك لأنهم لم يقصروا شعر رؤوسهم عندما طلب منهم أتباع آل سعود من الوهابية ذلك، و البدوي في ذلك الوقت كان يعتقد أن تقصير الشعر إنقاص من رجولته، كما أن قص الشعر أو تقصيره يعد من أتباع آل سعود، فأطلق عليها الوهابيون هذا الاسم بعد أن خسرت ثلة من فرسانها وشبابها الذين حاولوا بعملية انتحارية أن يردوا على سطوة الأمير سعود وجيشه الذي كان يربو على ١٠ ألاف مقاتل، بما قاموا به رغم قلة عددهم، لأن قسم من شمر كانت مع ابن سعود.

خسر الشيخ مطلك ابنه الشيخ مسلط الذي تحدث عنه المعاصرون له بما يستحقه من ثناء وتقدير، حيث قال عنه أبن سند الوائلي: "كان شجاعاً هزبراً، طاعن ذلك اليوم حتى كف كل رعيل وقرى كل ذابل وصقيل، كيف ومطلق أبوه ذلك الباسل، ومحمد جده الذي تحاماه القبائل"[٣١].

كان الشيخ مسلط يلقب (بالمحشوش) أي المغضوب، باهي الطلعة جوّاداً، ومما يروى عن جوده انه أجرى السمن سواقي أمام الضيوف واخذوا يأكلونه مع التمر، وشهد بكرمه الأعداء قبل الأقارب[٣٢].

رحل الشيخ مطلك بعد هذه المعركة تجاه الشمال مع سودان الروس، المشهورين عند أهل نجد بالمظهر الأنيق واللباس الباذخ [٣٣] واستقر في بادية السماوة من أرض العراق وبلاد الشام، لأن هذا المصطلح كان يشمل كل صحراء النفود الممتدة على طول شمال شبه الجزيرة العربية، بعد أن ترك تأريخاً مشرفاً كتب بالدم لا زال أهل نجد إلى اليوم يتحدثون عنه في مجالسهم وكتب أشعارهم، كما وترك لنا شواخص اثارية غرست جذورها في رمال

(٢٩). مؤلف مجهول، لمع الشهاب، ص١٠٠.
(٣٠). الظاهري، مرجع سابق، ص ٩٠-٩١.
(٣١). ابن سند، مرجع سابق، ص ٢٢٤.
(٣٢). العزاوي، عشائر العراق، ج١، ص ١٤١.
(٣٣). الظاهري، مرجع سابق، ص ٧٤.

جبل شمر تمثلت في حافر فرسه المحفورة في الصخر قرب حائل، وهوادي قدور الجربا شيوخ شمر: وهي عبارة عن صخور كبيرة كانت توضع عليها قدور الطعام، تقع اثارها اليوم غربي حائل. فضلا عن أن الشيخ مطلك كان قد ترك خيام احد مضايفه عند آل رمان من شمر حكام تيماء.

كان الشيخ مطلك على اتصال مع آل السعدون شيوخ المنتفك ومطير وبعض القبائل العربية القريبة منه، خاصة وان مطير هي إحدى القبائل التي تحالفت مع الشيخ مطلك على ارض نجد، فضلا عن عنزة بما عرف بحلف الخبرة، والخبرة بركة ماء تتكون من ماء الأمطار، وتم عقد هذا الحلف في منتصف القرن الثامن عشر لأجل منع الغزو بين هذه القبائل ورفع الظلم عن الضعفاء، كي يقوي من مركزه وتحالفاته على هذه الأرض الجديدة على شمر التي معه، خاصة وهو السياسي المحنك الذي سوف يعيد سمو ماضيه على هذه الأرض التي رحل إليها، وقد كانت مطير والعمارات من عنزة قد سبقته إليها.

أخذ الشيخ مطلك في هذه الأرض يعيد تنظيم شمر محاولا أن يعيد إليها قوتها ومكانتها بعد أن خرجت عن أرضها وديارها تحاشياً من صدامات مسلحة أخرى مع آل سعود ليست بصالحها، وكان الشيخ مطلك الجربا خلال هذه الفترة التي قضاها ما بين١٧٩١و١٧٩٨ م في بادية السماوة على اتصال دائم مع السلطات العثمانية المتمثلة بسلطة المماليك في بغداد، في شخص الوالي سليمان باشا الكبير (توفي عام١٨٠٢م)، وكذلك مع السعدون شيوخ المنتفك، وبعض الولاة في بلاد الشام، لأن الشيخ مطلك كان دائم الترحال بين السخنة والشنبل وجبل البشرى فضلا عن بادية الأردن.

أشار لنا ابن سند أن الشيخ مطلك الجربا حج مع أحمد باشا الجزار والي عكا[٣٤]، ومن خلال تتبعنا لمواكب الحج الشامي التي كان احمد باشا الجزار أميراً لها، وقارناها بالفترة التي قضاها الشيخ مطلك في بادية السماوة تبين لنا أن هذه الحجة كانت على الأرجح عام ١٧٩٦م، إذ انه اقرب التواريخ

(٣٤). ابن سند، مرجع سابق، ص ٢٢٥.

تطابقا مع تواجد الشيخ مطلك على هذه الأرض[٣٥]، ويدلنا هذا الحدث على ما كان يتمتع به هذا الشمري من سعة أفق وعلاقات سياسية واسعة في منطقة الهلال الخصيب، موجهاً جل نظره نحو آل سعود والحد من سلطانهم وتوسعهم، ومتعاوناً مع عشائر جنوب العراق ومع الدولة العثمانية للقضاء على هذا التوسع والحد منه.



حوافر فرس الشيخ مطلك الجربا قرب حائل

(٣٥). حيدر الشهابي، تاريخ احمد باشا الجزار (بيروت: ١٩٥٥م) ص١٢١.

في بادية السماوة ورحيل الشيخ مطلك

وصف لنا المؤرخ ابن سند حال الشيخ مطلك الجربا وأهله بعد معركة العدوة بقوله: "فلما ضاقت على سعود الأوهاد والجنود، وخان أبن هذال، فلم يكن لمطلق مجال فنكص على العقب بطاعن ذلك الجيش اللجب، فما زالوا معه في كر وفر ومضاربة بكل صارم ذكر، حتى سئموا من المضاربة، فرجعوا بصفقة خائبة، ونجا هو وبنوا عمه، وباء الخائن بخزيه وإثمه، فأناخ رحاله في بادية العراق إلى أن اخضر عيشه وراق، فسار من العراق إلى الشام متوجهاً مع أحمد الجزار إلى البيت الحرام، ثم لما قضى نسكه رجع إلى العراق من مكة محارباً بالبنان والسنان أولئك المبتدعة لا باللسان، فبقي في بادية العراق مطاعاً أمره مشاعاً في الأغوار والأنجاد ذكره، لا يضرب مثل إلاّ بشجاعته وكرمه، ولا يلوذ طريد إلاّ بساحة حرمه، ولا تستماح إلاّ راحتاه ولا تقبل إلا يمناه، إلى أن أصابه سهم الحمام ودرج شهيداً إلى دار السلام". [٣٦]

لقد أشار هذا النص إلى جملة حقائق بينت لنا أن ما حدث في العدوة من مقتل الشيخ مسلط الجربا، وتوجه الشيخ مطلك إلى بادية العراق لم يكن هرباً منه بأهله وبشمر من سطوة آل سعود بقدر ما كان بمثابة إعداد لهم للرد على هذه القوة التي سيطرت على ارض شمر، وهو لذلك وطد علاقاته مع عشائر العراق التي تحادد بادية السماوة، كما أنه أتصل بالسلطة العثمانية عن طريق أحمد باشا الجزار والي صيدا وعكا، الذي وقف فيما بعد في وجه نابليون بونابرت عندما أراد احتلال عكا، و توفي هذا الباشا في عام ١٨٠٤م. [٣٧]

لقد ذهب الشيخ مطلك إلى الحج مع أحمد باشا الجزار عام ١٧٩٦م كما بينا، ولا بد أنه في أثناء إقامته في مكة أعاد ما كان قد قطع من صفو

(٣٦). ابن سند، مرجع سابق، ص٢٢٥.

(٣٧). نوار، آل محمد، ص١١٤.

وتحالف مع أولاد عمومته من أشراف مكة بشخص الشريف غالب بن مساعد، ليوحدوا الصفوف في سبيل القضاء على قوة آل سعود وتحركات الوهابيين في أرض الجزيرة العربية، كما أن معركة العدوة وما تبعها من مناوشات بحسب وصف ابن سند لها، كمؤرخ عاصر تلك الأحداث كانت سجالا في القتال بين شمر وقوات الأمير سعود بن عبد العزيز، وان النصر كان حليف شمر رغم قلة عددها أمام القوات الوهابية الكبيرة التي أتى بها ابن سعود لولا مغامرة الشيخ مسلط الجربا التي أراد بها الوصول إلى خيمة الأمير سعود، ومن ثم مقتله ،فضلا عن خذلان قسم من القبائل التي تحالفت مع الشيخ مطلك، التي تخلت عنه في ارض المعركة كالعمارات من عنزة، مما جعل الشيخ مطلك بعد وصول خبر مصرع الشيخ مسلط إليه أن سحب شمر التي معه شمالا، كما أن الأمير سعود بن عبد العزيز اتجه مع قواته بتجاه عنيزة.

رحل الشيخ مطلك عن نجد وترك بيوتات من آل الجربا على ارض نجد لم ترحل معه، ومنهم السعيديون وآل سراح في الجوف، وكان لآل سراح هيبة على الجوف بأسلوب ربما لم يسبقهم فيه احد قبلهم، حيث أقاموا أكثر من ٩٠ مضيفا في أنحاء متفرقة من منازلهم، لتكريم العابرين وإطعام الجائعين، مع استقبالهم للضيوف، ومن بيوتاتهم المشهورة آل حطاب، وقد قضى على سلطاتهم في الجوف عبيد الرشيد الذي حاربهم وقضى على نفوذهم. بعد أكثر من ٥٠عاما على رحيل الشيخ مطلك الجربا. [٣٨]

ساعد على اتجاه الشيخ مطلك نحو بادية العراق الذي هو متجه القبائل العربية في هجراتها منذ أقدم العصور، أن مماليك العراق الذين كانوا على حكمه من قبل الدولة العثمانية، كانوا في ترحيب لمقدم مثل هذه العشائر القوية التي كانوا في أمس الحاجة إلى رجالها، كي يستخدموها ضد هجمات آل سعود والوهابيين على العراق، وفي شن الحملات عليهم في عقر دارهم في قلب شبه الجزيرة العربية.

---

(٣٨). الخريصي، مرجع سابق، ص٥٨.

إن جيش المماليك كان مؤلفاً من الفرسان الثقيلي العدة والعتاد، ولم يكونوا بقادرين على التصدي لقوات آل سعود القبلية السريعة، فضلاً عن عدم قدرة الفارس المملوكي على القتال وسط الصحراء، فحرب الصحراء وقتال العشائر له أسلوبه الخاص، فكانت العشائر بالنسبة لمماليك العراق والدولة العثمانية من ورائهم خير سلاح يمكن أن يستخدم ضد آل سعود وأتباعهم الوهابية (٣٩).

جاء الشيخ مطلك الجربا إلى بادية العراق بعد أن تجول في البادية السورية متنقلاً بين بادية حماه وجبل البشرى وتدمر، فضلا عن الشنبل والسخنة من ارض الشامية السورية (٤٠)، حتى وصل إلى ارض جنين من فلسطين عند ذهابه إلى عكا، ولا زالت قرية من أعمال جنين إلى اليوم تحمل اسم الجربا، وأخذ في مقارعة أتباع آل سعود متحالفاً مع المطير والمنتفك وبني خالد والبعيج والزكاريط وبعض من عشائر المنطقة، مانعاً إياهم إلى حدٍ ما من الوصول إلى جنوبي العراق وألأعتداء على المدن والقرى العراقية الجنوبية، في الوقت الذي كان الوالي سليمان باشا الكبير يعد العدة لشن حملة كبيرة على آل سعود، هدفها القضاء على قوتهم وكسر شوكتهم، وإلحاق الهزيمة بهم في عقر دارهم بقلب الجزيرة، خاصة وأن السلطان العثماني سليم الثالث (١٧٨٩-١٨٠٧م) كان يلح عليه في إرسال الحملة، لذا فإن اشتراك قبائل شمر في الحملة يعطي فرصاً أوسع لنجاحها، لما لهذه القبائل من خبرات في قتال أتباع آل سعود، فضلاً عن كبر عددها وشدة كرهها لهم في ذلك الوقت، وكانت شمر تبحث عن فرصة للثأر لدم فرسانها من لدن أتباع آل سعود، وبالفعل اشتركت شمر تحت قيادة الشيخ مطلك الجربا في هذه الحملة التي أعدها سليمان باشا الكبير وأسند قيادتها إلى الكنخدا علي بك (٤١).

كان الوضع في جنوب العراق مهيئاً لسليمان باشا لتجهيز هذه الحملة، فقد كانت كل من عشائر الخزاعلة والضفير والمنتفك بأقسامها الأجود وبنوا مالك وبنوا سعيد المنضوية تحت عائلة آل شبيب (السعدون) الشريفة، وما

---

(٣٩). نوار، آل محمد، ص١١٤.
(٤٠). زكريا، مرجع سابق، ج١، ص١٠٧-١٠٨.
(٤١). عبد الرحيم، الدولة السعودية الأولى، ص١٧٩.

ألتحق بها من العشائر الصغيرة في جنوب العراق تكن العداء لآل سعود والحركة الوهابية، التي ما فتأت تشن الحملات التحرشية على هذه العشائر بمناطق جنوب العراق في عهد الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود وابنه سعود. [٤٢]

كانت هذه العشائر توجه من قبل الدولة العثمانية التي أرادت أن تقضي على آل سعود وأتباعهم، فأرسلت عام ١٧٩٧م حملة نحو الدرعية عبر الكويت والإحساء بقيادة ثويني بن ثامر شيخ المنتفك، الذي كان قد قاد حملة قبل عام من هذا التأريخ على الإحساء وتخوم نجد، استطاع أن يغنم الكثير من الغنائم ويعود إلى ارض المنتفك[٤٣]، ولكن الحملة فشلت في أرض الإحساء هذه المرة بعد أن قتل ثويني على يد أحد عبيد بني خالد المسمى طعيس[٤٤]، في٣٠ من حزيران عام ١٧٩٧م، فكانت هذه الحملة الجديدة التي جهزها سليمان باشا في العام ١٧٩٨م الذي كان مترددا كثيرا في إرسالها، وضع على قيادتها علي بك ياور الباشا سليمان وزوج ابنته، وهو في الواقع رجل مغرور سيء الخلق لا يحسن معاملة شيوخ العشائر البدوية لذا تنبأ الكثير بفشل الحملة قبل سيرها. [٤٥]

سار علي بك في نفس الطريق الذي سارت به حملة ثويني، سوى أن قبائل شمر اتخذت لها خطأ آخر للمسير، لمعرفتها بأرض الصحراء وللوصول بيسر إلى جبل شمر للقضاء على سلطة آل سعود فيها من جهة، وللتخلص من مضايقات علي بك من جهة أخرى، وكان الشيخ مطلك على رأس هذه القبائل الشمرية فضلا عن بعض القبائل التي انضوت تحت رايته من الضفير والبعيج وغيرها، ولكن هذه الحملة فشلت في تحقيق أهدافها بعد أن عقد علي بك صلحاً هشاً مع الأمير سعود، في الوقت الذي أراد فيه الأمير سعود بن عبد العزيز ان ينتقم من شمر التي ساندت المماليك ضده ولم يستطع ان يكسر شوكة قوتها في العدوة، فأتجه إلى الأبيض الماء الذي كانت تنزله

---

(٤٢). ابن بشر، مرجع سابق، ج١، ص ١١٠ – ١١١.

(٤٣). نفسه، ج١، ص١٠٩.

(٤٤). نفسه، ج١، ص ١١٠.

(٤٥). لوريمر، دليل الخليج (قطر: ١٩٧١م)، ج٣، ص١٥٨٣.

شمر مع من معها من العشائر بعد أن انفصلت عن حملة علي بك الفاشلة [٤٦]، لرفض الشيخ مطلك هذا الصلح والموقف الغير مسؤول الذي اتخذه علي بيك من الأمير سعود وجيشه.

حدث اللقاء الحاسم بين الأمير سعود بن عبد العزيز والجربا في رمضان من عام ١٢١٢ هـ الموافق لشهر آذار من عام ١٧٩٨ م [٤٧] عند الماء المعروف بالأُبَيض[٤٨] من بادية نجد الشمالية، إذ أن الشيخ مطلك كان ينزل عليه مع من معه من شمر كخط أمان لحماية مناطق وسط وجنوب العراق من هجمات الوهابيين.

تطاحن الفريقان في قراع شديد وصال فرسان شمر وعلى رأسهم الشيخ مطلك وأخوه كرينيس في كر وضرب على اليمين والشمال وابلوا بلاء شهد به أعدائهم قبل الأصدقاء، هزم جيش ابن سعود في بداية المعركة، لكن القدر شاء أن الشيخ مطلك الجربا أسقط خزيم بن لحيان شيخ السهول، وهو من أركان جيش ابن سعود طعيناً برمحه، فنادى خزيم من على الأرض بصوت عالٍ(جيرتك بالجربا): فأبت نخوة الزكام أن يتركه بعد أن طلب جيرته، فنزل عن فرسه وترك سلاحه وأتى ليغيثه، ولكن خزيم هذا كان قد أضمر الشر بالجربا، فعندما انحنى عليه ليحمله أخرج خزيم خنجراً للغدر صغيراً كان قد خبأه تحت ملابسه وطعن به الجربا في صدره فأتت عليه هذه الطعنة وسقط في أرض المعركة [٤٩]، في الوقت الذي كان الأمير سعود يتمنى لو أن الشيخ مطلك وقع في يده أسيراً [٥٠]، خاصة وان الشيخ مطلك وشمر التي معه من بين قبائل شبه الجزيرة العربية الذين وقفوا في وجه آل

---

(٤٦). ابن بشر، مرجع سابق، ج١، ص. ١١٢.
(٤٧). نفسه، ج١، ص ١١٢.
(٤٨). السباهي، حياة، ص ١٤٩.
(٤٩). نفسه، ص ١٤٨-١٤٩.
(٥٠). صالح بن علي الحبيبي، موقف الدولة العثمانية من قيام الدولة السعودية الأولى ١٧٩٨-١٨١٨م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب (الموصل: ١٩٩٦م) ص٩٦.

سعود وحركتهم الوهابية في ذلك الزمن، ولم يغيروا من موقفهم هذا، وخاضوا كل هذه المعارك دفاعا عن موقفهم.

وأما ما يرويه ابن بشر من أن الجربا عثرت فرسه بنعجة وسقط عن فرسه، فقام خزيم بن لحيان بقتله، فهو تشويه للحقائق ونص كتب وفقاً لهوى المؤلف لا وفقاً للحقيقة، إذ كيف تأتي الأغنام وسط الفرسان في معركة كهذه معد لها، فضلاً عن إن الجربا وهو صاحب الخيل السوابق والفارس الذي شهد له العدو قبل الصديق بفروسيته، كيف لا يستطيع أن يتخلص من مثل هذا العائق الذي أمامه، وقد ناقش هذا الموضوع بحكمة وبشيء من التفصيل أنور السباهي في كتابه عن حياة الشيخ دهام الهادي [٥١]، كما أن ابن بشر هذا عندما يأتي على مقتل الشيخ بنية الجربا يذكر انه عثر بشاة أيضا وسقطت به فرسه، وكأن الشياه تأتي في المعارك لتسقط الفرسان من الجربان وتقضي عليهم، لذلك لا يعول على نص ابن بشر وما جاء به.

ويقول ابن سند عن مقتل الشيخ مطلك الجربا انه كان "في بادية العراق مطاعاً أمره مشاعاً في الأغوار والأنجاد ذكره لا يضرب مثل إلاّ بشجاعته وكرمه، ولا يلوذ طريد إلا بساحة حرمه، ولا تستماح إلا راحتاه، ولا تقبل إلا يمناه، إلى أن أصابه سهم الحمام ودرج شهيدا إلى دار السلام". [٥٢]



فرسان في البادية

---

(٥١). السباهي، حياة، ص ١٤٩، ابن بشر، مرجع سابق، ج١، ص ١١٢.

(٥٢). ابن سند، مرجع سابق، ص ٢٢٥.

وقد رثاه الكاتب والمؤرخ عثمان إبن سند بقصيدة عصماء جاء فيها:

بكته العوالي والرقاق الصفائح ... لدن غاب منه في الضريح الصفائح
بكى اجأ مما شجاه ومأسل ... وضجت ضجيجاً بالنواح الصحاصح
لرزء امرئٍ صلتٍ جرازٍ صلنفحٍ ... صَبورٍ إذا أشتدت عليه الفوادح
صفوح سموح مطلق الكف بالندى ... كأن يديه للهبات المفاتح
أشم عصامي من النفر الأُلى ... فخارهم كالشمس ابيض واضِح
سيوف صناديد عِظام اماثل ... ثمال لمعتر غيوث مسامح
لاغزرهم مداً واشهرهم علىً ... واكبرهِم قدراً اتيح الطوائح
فأودع في بطن الثرى منه باسل ... عزيز لديه مشرفي وسابح
فما اغمض العينينِ يوما على قذى ... ولا رام إلا ما تروم الصفائح
فتىً كان خواضاً لكل كتيبةٍ ... إذا لم يخض إلا الهزبر الصمادح
أتيح له سهم فأسكنه الثرى ... فها كل قطرٍ فيه ناعٍ ونائح
فكادت به سلمى تهد واوحشت ... مراتع في اكنافها ومسارح
أمطلَق ما للبدو بعدك بهجة ... فها هو من فرط الكآبة كالح
وها هو لا قطر يراد ولا خبأً ... يشاد ولا خال من الجود سافح
ولاشيد من فوق الهضاب قبابه ... ولاشم ارواح الندى منه رائح
لدن مت قال الجود ها انا ميت ... بحوب امرئٍ يبكيه غادٍ ورائح
فما أسرجت لولاك خيلٌ لغارةٍ ... ولا عشق الاشعار لولاك مادح
ولاتبع الاظعان مثلك سيداً ... نمته إلى العليا الكرام الجحاجح
وما سر عيش بعد فقدك واحِداً ... تأثفه لولا نداك الجوائح
فلا قلب الا فيك مشتَعل أسى ... ولا طرف إلا فيه جار وسافح
نماك إلى الغر الاكارم طي ... ضحوك المحيا هامِر الكف مانح
غيور على الجارات لا متطلع ... عليها ولا للسر منهن فاضح
فمنكم وفي أوصافكم يرتجى الندى ... العميم ويستحلى الرثا والمدائح
إذا ما أجرتم بالسيوفِ مطردا ... تجنبه مما تخاف الجوارحُ
واصبح في ظلٍ من الأمن وارف ... يراعيه سياف ورامٍ ورامح

كـــأنكم للمعتفـــين غمـــائم تظـــل ... وهـــن الغاديـــات الـــروائح
فمـا زالـت الاعـراب ترجـو لحـوقكم ... ومـا كريـاحٍ فـي النسـيمِ المـراوح
وايـن مـن الهامـات فـي الفضـل ارجـل ... وأيـن مـن الأدلـى الغيـوم الـدوالح
فلـولاكم لـم يطـرب البـدو والفـلا ... ولا طربـت للغـزو كمـت قـوارح
سـقى جـدثاً اصـبحت فيـه مـن الرضـا ... سـحاب ملـث مـرجحن ودالـح
ولا زال مـنكم مـن يـؤم فنـاؤه ... ويغشـاه فـي الجلـى طريـد ومـادح[٥٣]

كان مقتل الشيخ مطلك الجربا ذا اثر بالغ على شمر، وحول نصرها إلى انسحاب منظم من ارض المعركة تحت قيادة الشيخ فارس الجربا إلى داخل بادية السماوة بعد أن فقدت مع الشيخ مطلك ابنه سلطان واخوه الشيخ كرينيس، وهذا في الحقيقة ليس غريبا على الجربا في أن يفقدوا أعداداً من رجالهم وفرسانهم لأنهم يتقدمون الجموع في المعارك التي يخوضونها، ويكونوا في طليعة الرجال المهاجمين، كما انسحب الأمير سعود ومن معه إلى داخل نجد بعد أن فقد فرساناً من خيرة رجاله ومنهم: براك بن عبد المحسن رئيس بني خالد، ومحمد العلي رئيس المهاشير، وأعداداً كبيرة من رجاله. [٥٤]

ونورد هنا هذه الأبيات التي قالتها زوج الشيخ مطلك في رثاء زوجها

ونيـت ونـه مـن شـلع ضرسـه الجـاز ... الـي صـبر للجـاز يجـذب ونينـه
عليـك يـا حـامي المظـاهير طهمـاز ... لجـت فـراقين العـرب فاقدينـه
جانـا عقـابٍ فـرق الحـر والبـاز ... وغـدا بصـياد الحبـاري بحينـه
الـدمع مـن عينـي يجـي فـرد واجـواز ... والشـيب لاح بكـذلتي قبـل حينـه[٥٥]

---

(٥٣). نفسه، ص ٢٢٥.
(٥٤). ابن بشر، مرجع سابق، ج١، ص ١١٢.
(٥٥). من التراث الشعري الشمري.

كما رثا الشيخ مطلك الشاعر الحسيني دايس الهكاز بأبيات من الشعر

راكبـــين الهجـــن بـــالله تريضـــوا	خُـــوذوا ســـلامن كـــالجواهر مثايلـــه
للعـــود عفيـــف الشـــمايل مطلـــك	مـــن ظهـــر عـــودن أعفـــافن شـــمايله
مطلـــك ماجـــابن الشـــمريات مثلـــه	فعـــل ابازيـــد الـــي تـــذكر فعايلـــه
عزيـــز جـــار وجارتـــه ماتـــذيرت	اليـــا كصـــرت بـــه وضـــاقت محايلـــه
زيـــزوم زينـــين المحـــازم شـــمر	زيـــزوم قـــومن كـــل ابوهـــا مداليـــه
خريصـــاة مـــاوطوا للضـــد روســـهم	لـــوهم مـــع الأجنـــاب أنفـــوسٍ عاليـــة
خريصـــاة مـــن دور الصـــحابه فعلهـــم	وأميـــرهم بـــالقوم بيضـــن خصـــايله
تـرى العفـن والـذل علـى الشـيخ خيبـة	يـا عـاد هـو نـاوي المراكـز عاليـه(٥٦)

أصبحت شمر اثر هذا الأنحساب جزا لا يتجزأ من التجمعات القبلية التابعة إلى ولاية بغداد وانفصلت كلياً عن نجد، وأضحت هذه الأرض التي خرجت منها بعيدة المنال عن يد آل محمد وشمر التي معهم في تلك السنين لتمكن آل سعود منها، فكان آن أخذت شمر وشيوخها آل محمد يبحثون بعد معركة الأبيض عن ارض جديدة ليستقروا عليها بشكل دائم، ويصف كاتب معاصر رحيل شمر عن أوطانها مع شيوخها آل محمد الجربا بقوله: "وأسرة آل الجربا من الأسر التي تفتخر بلادنا بأمجادها، فعندما رحلت إلى العراق وسوريا كانت بناءً وطنياً في هذين القطرين، وكونت أدبا نجدياً هناك، ونشرت العادات والتقاليد العربية الأصيلة التي تربت عليها وحملتها معها (٥٧).

في حين بقيت العلاقة متينة مع شمر نجد إلى اليوم، وقد توجد أهل الجبل من شمر على رحيل الجربا وشمر التي معهم إلى العراق وبلاد الشام، وقالوا في ذلك القصائد والأبيات الشعرية، فهذا ابن رمان يتوجد على رحيل الجربا وشمر عن الجبل بهذه الأبيات:

(٥٦). نفسه.

(٥٧). الظاهري، مرجع سابق، ص١٠.

يــا قلــب يــا مقلــوب يامــا ويامــا	يامــا عليــك مثــل الخســاير والأربــاح
الله علــى قضــبة غــزال النظامــا	مــا هــو الغــزال الــي مــع الصــيد ســراح
لــو ارجيــت مــن جــابهم بــس عامــا	ومــن حطهــم مــا بــين تيمــا والأســياح
جســاية العيــدان ريــش النعامــة	غلبــا وعنــدهم قطــع الأســلاف تنــزاح
يتلــون فتخــان الأيــدي الكرامــا	الــي تعلــوا علــى كــل القبايــل بلأمــداح
عيــال اشــيوخ وتتلــيهم افهامــا	اولاد ســيح مرويــة علــط الأرمــاح(٥٨)

ويقول الشاعر مبارك الخطيب في الشيخ مطلك:

يــا راجــب مــن فــوق حــر فــداير	منــوة غــريين لا انتــوى لــذلوفي
ولــد ذلــولن مــن اخيــار العشــاير	ســوهاج روهــاج دو الهروفــي
تلفــي لخــو جــوزة عفيــف القصــاير	الــي ولا بالســيف ســبعة اصــفوفي
يــا مطلــك الجربــا وانــا منــك صــاير	وصــارت حيــاتي للعنــا والكســوفي
مــا تشــوف قــدر الحــرب والشــيخ فــاير	ومــا يخبــث المــاء اذان الخروفــي
ولا تشــوف ازبيــر لــو جــاك نــاير	مثل حلايا راعي البدو من موفــي
ماجــت بــه الــدنيا ولا درى ويــن صــاير	الأيمــان اليــا حصــل ضــربه كفــوفي
واكثــر خلافــه بالليــالي صــواير	واليــوم علــى مالــه يروفــي(٥٩)



(٥٨). من التراث الشعري الشمري.

(٥٩). نفسه.

الفصل الثالث

الشيخ فارس الجربا

الشيخ فارس الجربا

لقد أعطتنا المدونات التاريخية مادة جيدة عن الشيخ فارس المحمدي الشمري الذي كان مع أخيه الشيخ مطلك الجربا عند الأُبيض، بعد أن بقي فترة من الزمن رهينة عند آل سعود في الدرعية ثم هرب منهم، وبعد مقتل الشيخ مطلك عام ١٧٩٨م، كان لابد للشيخ فارس الجربا في أن يقود جموع شمر التي كانت في صراع وقتال شديدين مع أبن سعود وقواته.

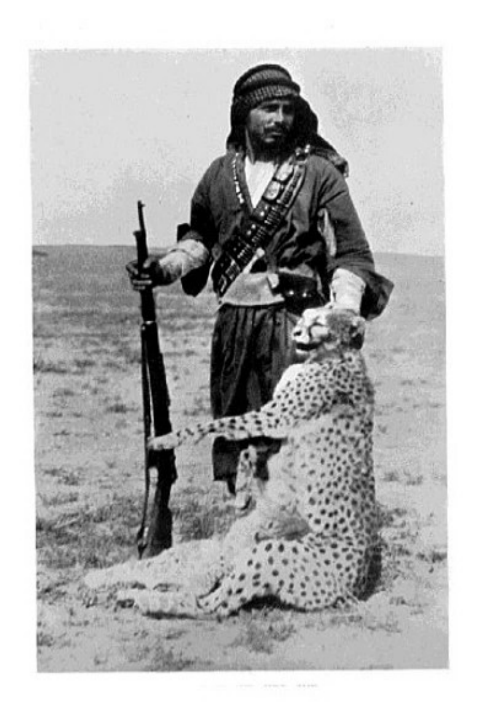
ظهرت براعة الشيخ فارس عندما أستطاع سحب قبائل شمر بحكمة وهدوء بعد أن فرت القوات العثمانية والمملوكية فضلاً عن قوات المنتفك من ارض المعركة، وتركوا شمر وحدها تواجه هذا الجمع الضخم من الوهابيين، واتجه بها نحو الأراضي العراقية من منطقة السماوة في موقع آمن جنوبي الفرات، لتأخذ شمر قسطا من الراحة محاولا إعادة تنظيمها وجمع أفرادها بعد هذا الرحيل الطويل والصراع الدامي مع آل سعود وقواتهم.

لقد سانده في القيادة ابن أخيه الشيخ ابنيه بن كرينيس، ونزلوا جميعاً حجيلان من ارض الشامية جنوب العراق[١]، في حين انسحب الأمير سعود مع أتباعه إلى داخل الأراضي النجدية بعد أن خسر أعداداً كبيرة من جنده و مقتل عدد من خيرة فرسانه.

كان الشيخ فارس الجربا في بداية العشرينات من عمره عندما أصبح شيخا على شمر، وهو على علم تام بكل ما كان قد قام به أخيه الشيخ مطلك من اتصالات مع العثمانيين ومع ولاة بلاد الشام، لذلك نراه يحاول أن يوطد العلاقة مع سليمان باشا الكبير الحاكم المملوكي على العراق، وأن يكون يده التي يضرب بها قوات آل سعود لسببين، تمثل أولهما في محاولة الشيخ فارس الاستقرار في أرض العراق لما رآه من خصوبة الأرض ووفرة

(١). خلف راوي الجميلي ومحمد عجاج جرجيس، مخطوط بعنوان شمر الجربا، نسخة خطية اطلع عليها الباحث عند الشيخ خالد احمد صفوك الفيصل، ورقة ٢١، اوبنهايم، البدو، ج١، ص١٩٢.

المرعى والمياه، مما يجعل شمر في رغد من العيش، وأن لا تكون في تماس وصراع مع من جاورها من القبائل بشكل كبير، لكبر حجمها وشدة بداوتها بالنسبة لمن جاورها من القبائل، وثانيهما لأن فارساً لم ينس الدماء التي أزهقها الوهابيون من شمر وعلى الأخص الشيوخ مسلط ومطلك وسلطان وكرينيس، مع عدد كبير من فرسانها، فكان لابد من الابتعاد ولو مؤقتا عن الصدام مع آل سعود والوهابيين.



بدوي قد اصطاد نمرا(الصورة في بداية القرن العشرين)

استمرار الصراع مع الوهابية ١٧٩٨ـ١٨٠١م

شاركت شمر بقيادة الشيخ فارس الجربا في كل الحملات التي جهزها سليمان باشا الكبير بأمر من السلطان العثماني سليم الثالث (١٧٨٩ـ١٨٠٧م) ضد الأمراء من آل سعود وأتباعهم الوهابيين، وكانت العلاقة بين سليمان باشا والشيخ فارس قد توطدت وقويت بمساعدة شخص من شمر من ال جعفر هو إبراهيم بك بن عبد الجليل الشمري، الذي كان أحد المساعدين للوالي، وأمير الحج العراقي، وهو من سكنة مدينة الحلة، فقوى العلاقة بين الشيخ فارس والوالي سليمان باشا الذي كان ينظر إلى شمر على أنها قوة قبلية قوية ذات مراس ومعرفة جيدة بأتباع آل سعود من الوهابية وأساليب قتالهم، لذا كان لابد من استغلال هذه القوة في الصدام معهم (٢).

بعد أن انتهت حملة الربيع من عام ١٧٩٩م التي لم يحدث فيها قتال وعقدت هدنة هشة بين العثمانيين والأمير سعود بن عبد العزيز، وأثناء انسحاب الحملة تعرضت شمر إلى هجوم مباغت من قبل السبعة من عنزة، فتصدت لها شمر بقيادة الشيخ فارس الجربا ودارت معركة ضارية بين الطرفين كان النصر فيها حليف الشيخ فارس وشمر، كسرت السبعة وقتل عدد كبير من فرسانها وغنمت شمر أعداداً كبيرة من الخيول والجمال والأغنام، وعاد الشيخ فارس وشمر من هذه الحملة منصورين (٣).

جهز والي بغداد سليمان باشا الكبير حملة أخرى ضد آل سعود في صيف نفس العام أي ١٧٩٩م، وأناط بقيادتها إلى الكهية علي باشا، وقد وصل الجيش الذي كان يضم ٥ ألاف من الإنكشارية وفرقاً من قبائل شمر

---

(٢). العزاوي، عشائرالعراق، ج١، ص١٤٤، نوار، آل محمد، ص١٠٥، الفريق الركن عدنان احمد ال عبد الجليل، آل عبد الجليل أمراء الحلة والحج، نص عائلي مطبوع على الحاسوب حصل الباحث على نسخة منه، ص٤.

(3). Williamson ،Op. cit ،p23,

العزاوي، عشائر العراق، ج١، ص١٤٥.

تحت قيادة الشيخ فارس الجربا والعبيد والعقيل إلى البصرة في كانون الأول من نفس العام، ليصل عدد القوات العربية المشاركة في الحملة إلى ١٠ ألاف مقاتل عندما انضمت إلى الحملة قوات من المنتفك وبني خالد والضفير، غادرت الحملة الزبير في زهو واستمرت لمدة سنة آلت نتائجها إلى هدنة ضعيفة بين آل سعود وحكومة بغداد(٤).

ولكن خطة سليمان باشا التي كانت ترمي إلى جمع عدد كبير من العشائر المعادية لآل سعود وضربهم من خلالها لم تتوقف (٥)، وكذلك آل سعود الذين ما فتئوا يحاولون ضرب القبائل في جنوبي العراق في محاولة منهم للوصول إلى المدن المقدسة في كربلاء والنجف ونهبهما، فكانت شمر بقيادة الشيخ فارس بمثابة خط الأمان الأول لحكومة بغداد تجاه هذا الخطر. فمن خلال شمر والضفير اللتين كانتا على الحدود الجنوبية للعراق تتم مراقبة تحركات الوهابيين وتحرشاتهم بالقبائل والمدن العراقية الجنوبية.

حاول الوهابيون الوصول إلى النجف وكربلاء عام ١٨٠١م في آنٍ واحد، وقامت شمر وقسماً من قبيلة العبيد تحت قيادة الشيخين فارس الجربا ومحمد بن شاوي بالاشتباك مع القوات السعودية قرب كربلاء المقدسة في منطقة شثاثة صيف عام ١٨٠١م، ثم توقف القتال بين الطرفين نتيجة لعطش الجانبين وعدم كفاية المياه (٦)، وقد حاول الشمامرة حماية كربلاء المقدسة من غارات آل سعود، ولكن بعدها بأسابيع حدث ما قال عنه لونكريك: أن الفاجعة الكبرى التي دلت على منتهى القسوة والهمجية والطمع والتي استعملت باسم الدين تلك هي: غزو آل سعود وأتباعهم الوهابيين لكربلاء المقدسة وتخريبهم لها و لمرقد الحسين والعباس في ٢٠ شباط من

(4). Williamson ،Op. cit, p21-22.

الشيخ رسول الكركوكلي، دوحة الوزراء في تاريخ بغداد الزوراء، ترجمة موسى كاظم نورس (بغداد: دون تاريخ) ص ٢١٤.

(٥). نوار، داؤد باشا، ص٩٦ . ٩٧.

(٦). ستيفنسن همسلي لونكريك، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط (بغداد: ١٩٧١م) ص ٢٦٠.

عام ١٨٠١م[٧]، بعد أن كان معظم أهل كربلاء قد غادروها إلى النجف الأشرف لأجل الزيارة، وقتل عدد كبير من الأبرياء داخل صحن مرقد الحسين(ﷺ)، في حين كانت شمر تحت قيادة الشيخ فارس الجربا بعيدة عن موقع الحدث، ولم تستطع الوقوف بوجه هذه القوة التي أتت باسم الدين، فخربت وقتلت ونهبت الأموال وهي متسترة به .[٨]

حاول الشيخ فارس بعد المعارك الطاحنة التي خاضها ضد آل سعود وأتباعهم ما بين ١٧٩٨ــ١٨٠١م أن يراجع الحال الذي آلت إليه شمر، والتعب والإنهاك العسكري الذي أصابها نتيجة لهذا الصراع المستمر الذي خاضته مع الوهابيين، وموقف السلطة المملوكية من هذا الصراع، ومحاولة استخدام باشوات المماليك في بغداد لشمر كأداة لضرب أتباع آل سعود، ورأس الحربة في المعارك التي خاضوها ضدهم، فقد كان على الشيخ فارس الجربا أن يبحث لشمر عن موطن جديد للعيش، ومكانة جديدة ثابتة بين القبائل العراقية المتوطنة، فهو لا يمكنه البقاء على أطراف الصحراء القليلة الكلأ والماء جنوبي الفرات، خاصة أنها كانت تعاني من موسم شديد الجفاف، كما إنه لا يمكنه أن يلحق القبائل الشمرية التي معه إلى إخوانها التي كانت قد سبقتها إلى العراق منذ عام ١٦٤٠م، وهي التي كانت قد دخلت في صراع مع الحكومة العثمانية وقدمت الكثير من الضحايا حتى استطاعت أن تستقر في النصف الثاني من القرن السابع عشر حول مناطق الحلة والفلوجة وشرقي دجلة المتمثلة (بشمر طوكة) وأسلم وزوبع والمسعود[٩]، فهي لا تملك من الأرض والمنتوج الحياتي ما يكفي هذا الحشد الضخم من قبائل شمر التي جاءت مع الشيخ فارس إلى أرض العراق الجنوبية والغربية.

---

(٧). نفسه، ويشير د زهيرعلي النحاس، بادية الجزيرة العراقية موطنا للبداوة العربيةالنجدية، مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد:، ٢٠٠٠م)، ص٣١٤، ان هذه القبائل انفصلت كليا عن باقي شمر وهو غير صحيح لأن الروابط العشائرية بقيت بينها والى الوقت الحاضر

(٨). د محمد بن سلمان الخضيري، تاريخ البلاد السعودية في دليل الخليج (لندن: ٢٠٠١م) ص ١٣٢-١٣٣.

(٩). لونكريك، اربعة قرون، ص٢٤٢، نولر، داؤد باشا، ص٩٢.٩٣.

كما إن الشيخ فارساً بعد هذا العداء المستفحل الذي حدث بينه وبين آل سعود لا يمكنه العودة ثانية إلى نجد التي شهدت خلال السنوات التي نتحدث عنها مزيدا من القحط والجفاف، فكان لابد إذن من الشيخ فارس أن يبحث لشمر التي معه عن موطن آمن، فأتجه الشيخ الشجاع صاحب الحكمة والرأي نحو الشمال باتجاه الجزيرة الفراتية بمن معه، ليضمن لقبائله العيش الرغيد والأمان من الاحتكاك والاصطدام المباشر مع القوات الوهابية.



فرسان على خيلهم

إقليم الجزيرة الفراتية

هاجرت شمر مع الشيخ فارس الجربا إلى أرض الجـزيرة الفراتيـة، ولفظة الجزيرة وصف يلائم تماما لهذا الإقليم الجغرافي، وهو تعبير يرجع في أصوله التاريخية إلى القرن السابع الميلادي، ويشتمل على المنطقة التي تقع في العراق وسوريا حاليا وتمتد بين نهري دجلة والفرات، وينعم هذا الإقليم بأهمية جغرافية إستراتيجية عظيمة، لأن هذا الإقليم يعد مفترق طرق التقت عنده أنهار عدة وطرق تجارية ساهمت في بناء إمبراطوريات على مدى التاريخ القديم والوسيط، ولكنه وبعد الغزو المغولي للعراق وسوريا أخذ هذا الإقليم يفقد كثافته السكانية بين القرنين ١٣ و١٨ الميلاديين مما أحال أجزاءً كثيرة منه إلى خراب. (١٠)

إن الشكل الجغرافي لهذا الإقليم عبارة عن سهل واسع ينحدر من الشمال إلى الجنوب، ويعد امتداداً للسلاسل الجبلية التي تقع شماله وشمال شرقه، وانحداره ما بين ١٥٠٠ قدم في الشمال إلى ٢٥٠ قدم جنوبه، ونحن في دراستنا هذه لهذا الإقليم سوف نركز وبشكل أساس ودقيق على الموقع الذي اتخذته شمر في سكناها الممتد من جبل سنجار وجبل عبد العزيز في الشمال ورأس دلتا دجلة والفرات التي تمتد لعشرات الكيلومترات جنوبي بغداد حدا جنوبيا، وتعد الجهة الشرقية للفرات والخابور الحدود الغربية، ويمثل نهر دجلة الحدود الشرقية لهذا الإقليم الذي ما يزال سكنى شمر إلى الوقت الحاضر. (١١)

يعتمد الإنتاج الزراعي والرعوي لهذا الإقليم بالدرجة الأولى على سقوط الأمطار. الذي هو أساس الإنتاج الزراعي والسكن البشري، ويعاني الإقليم عموما من أن سقوط الأمطار السنوي فيه أقل من المناسب، وبسبب نمط سقوط الأمطار الدوري المتناوب بين فصل ممطر وآخر جاف شكل صعوبات جمة للمزارعين والرعاة.

---

(10). Williamson, Op. cit, p5.
(11). Ibid.

يقع الفصل الممطر بين تشرين الثاني وأيار بينما يبدأ الفصل الجاف في وقت مبكر من حزيران، ويمتد حتى تشرين الأول، ومتوسط سقوط المطر السنوي بين ٥ و١٠ بوصات لأغلب الإقليم، وترتفع درجات الحرارة ارتفاعا ملحوظا في الصيف إلى أكثر من٤٠ درجة مئوية في الصحراء، ويقوم نهرا دجلة والفرات بتوفير المياه لهذا الإقليم الذي لولاهما لما استمرت الحياة المعتمدة على سقوط الأمطار، [١٢] فضلاً عن ذلك فإن هنالك وديان تخدم هذه الأرض بمياهها من أهمها وادي الثرثار الذي يبدأ جنوب سنجار ويتجه نحو الجنوب بموازات نهر دجلة لينتهي قرب الرمادي. [١٣]

تغطي النباتات الربيعية البرية من الخشخاش الأحمر والشعير البري والهندباء وبعض الأشجار والشجيرات الشوكية مساحات واسعة من هذا الإقليم، لتتحول إلى بعض الشجيرات الشوكية والأغصان الجافة المقطوعة في فصل الصيف، وهذا التنوع في النبات الطبيعي ساعد على الرعي للقبائل البدوية، وتمثل هذا الرعي بين الأغنام والماعز، وقطعان الإبل والحمير، وغيرها من حيوانات الركوب كالخيل والبغال.، ولقد حدد لنا البدو سكان هذا الإقليم مساحة هذه الأرض نسبيا بأن طولها ١٢ يوما وعرضها ٦ ايام من الموصل شمالا إلى عانه على الفرات [١٤].

لقد سكن هذا الإقليم أنماط مختلفة من السكان، كان الماء العامل الرئيس في نموهم وتركزهم وتوزيعهم على أرضه بحسب طبيعتهم المعيشية، فسكنت القبائل البدوية الرحل جزءا كبيرا من الإقليم وشكلوا جماعة رئيسة فيه، إذ أن طريقة حياتهم الرعوية استغلت على نحو أمثل موارد الصحراء المحدودة، وتمركز البدو العرب الصحراء العراقية السورية ومناطق السهوب الجافة من هذا الإقليم، في حين أن جماعة بدوية رعوية أخرى احتلت في سكناها السفوح الشمالية للإقليم، تمثلت ببعض القبائل الكردية التي

(12). Ibid, p6.
(13). Ibid, p7.
(14). Ibid, p8.

سوف يكون لها تماس مع قبائل شمر فيما بعد، فضلا عن اليزيدية الذين سكنوا وديان وسفوح جبل سنجار. (١٥)

كان يسكن في هذا الإقليم عند وصول الشيخ فارس وشمر عدد من القبائل الكبيرة. أمثال طي والعبيد والجبور، الذين كانوا قد استقروا على ضفاف نهر دجلة الغربية قرب الشرقاط، فضلا عن العديد من القبائل الصغيرة نسبيا أمثال البو حمد، الحديديين، الجحيش، الشرابيين، فضلا عن الدليم والجنابيين الذين استوطنوا ضفاف الفرات، ومثلوا الحد الجنوبي لمناطق سكنى شمر على هذه الأرض. (١٦)

كان هذا الإقليم إلى حد ما تحت سيطرة الحكومة العثمانية متمثلة في سلطاتها الإدارية في بغداد والموصل وحلب، التي كانت تمثل أكبر مدن الجزيرة التي اعتمد عليها العثمانيون خلال القرنين الثامن والتاسع عشر في فرض المركزية الإدارية والسيطرة الكاملة على هذا لإقليم، وقد ربطت القوافل التجارية بين هذه المراكز لقرون، بالرغم من أن مدناً أخرى أصغر في الجزيرة قامت بنفس الدور، ولكن على نطاق أضيق، مثال مدن الفرات هيت وعانة والرقة، فضلا عن دير الزور التي كانت تعد نقطة توقف للقوافل التجارية بين بغداد وحلب، والعرب هم أغلب سكان مدن الجزيرة عامة، (١٧) واتبع هذا الإقليم في بداية القرن التاسع عشر باشوية بغداد (١٨).

---

(15). Williamson, Op ‹cit, 8.
(16). Williamson, Op ‹cit, p8-9.

ابن بسام، مرجع سابق، ص ٧٤.

(17). Williamson, Op ‹cit, p 9.

(١٨). اوليفيه، رحلة اوليفيه إلى العراق، ترجمة د. يوسف حبي (بغداد: ١٩٨٨م)، ص٤٥.

الاستقرار في أرض الجزيرة الفراتية

في أواخر خريف عام ١٨٠٢م كان التحرك الأول لشمر تحت قيادة الشيخ فارس الجربا إلى أرض الجزيرة الفراتية جنوبي جبل سنجار، وبمحاذاة الطريق العام بين الموصل وبغداد (الطريق السلطاني). ولم يكن هذا التحرك نتيجة فكرة آنية أقرها شيخ القبيلة، بل جاء نتيجة للصراع المرير الذي خاضته شمر مع آل سعود، وطبيعة المنطقة شبه الجافة التي كانوا يعيشون فيها جنوبي العراق كما بيناه انفا، فكان عليهم إما الاتجاه شمالا والسكن في إقليم بين عشائر مستقرة وتحت سيطرة الحكومة العثمانية وسيادتها. المتمثلة بولايتي بغداد والموصل، أو العودة إلى أرض نجد، وهذا من المستحيل طبعا لأنه لم يعد لشمر والشيخ فارس الجربا مكان فيها بعد الصراع الدموي الذي خاضته شمر مع ابن سعود.

لم يتخذ الشيخ فارس قراره جزافاً في التوجه نحو الشمال والسكن في أرض الجزيرة، بل جاء قراره بعد استطلاع قام به مع أبن أخيه بنيه بن كرينيس، والراجح عندنا أن الشيخ فارس في نهاية عام ١٨٠١م قام بهذا الاستطلاع مع جمع من شمر يقدرون بخمسين بيتاً إلى إقليم الحضر من أرض الجزيرة عبر هيت، ونزل ضيفا على قبائل العبيد والجبور وطي، ثم عاد بعد مدة قصيرة إلى جنوبي العراق وأرسل أعداداً من شمر فنزلت هذا الإقليم، ثم جاء الشيخ فارس مع من تبقى من شمر إلى هذه الأرض وأراد أن يرد إكرام قبائل العبيد وطي والجبور له في جيئته الأولى، فقام بتقديم مناسف ضخمة للطعام عندما دعا شيوخهم لمضيفه، وعلق بها السكاكين ليسهل على كبار السن منهم من الوصول للحم وتقطيعه [١٩]، فكانت هذه السكاكين أن اقترنت لقباً بالشيخ فارس فسمي (أبو السكاكين)، مما حدا بشيوخ هذه القبائل ورؤسائها التفكير بقتل الشيخ فارس الجربا ومن معه من رجال لأنهم علموا

(١٩). العزاوي، عشائر العراق، ج١، ص١٤٧.

أن أتباعه كثيرون[٢٠]، وسوف يصبحون منافسين على الأرض لعشائرهم، ففكروا في التخلص من هذا المنافس الجديد، لكن شيمتهم العربية وأخلاقهم منعتهم من ذلك. [٢١]

بعد بقائه فترة قصيرة في أرض الجزيرة استطاع الشيخ فارس أن يعرف مدى ما توفره هذه الأرض من كلأ ومرعى لإبل وأغنام شمر، وأن هذه الأرض هي أفضل معاش لقبيلته و يمكنه أن يستقر فيها.

حاول الشيخ فارس أن يقوي نفوذ شمر على هذه الأرض، فأصطدم فيما بعد مع العبيد التي كانت قد شكلت تحالفا قويا من قبل مع مجموعة من العشائر هي الدليم والجبور والعزة والغرير والفراج والكبيشات، وأبعدت الموالي إلى الشمال من جبل عبد العزيز وجبل سنجار، وأُسكنوا إقليم اورفه. [٢٢]، دخل الشيخ فارس في نزاع مرير مع العبيد حول السيادة على منطقة الجزيرة، عاونهم فيه ضد الجربا وشمر طي العراق، كان من نتيجته أن استقرت الحروب والمعارك لصالح شمر الجربا القبيلة البدوية المتمرسة على القتال، وتركت العبيد أراضيها قرب جبل سنجار، وعبرت دجلة إلى منطقة الحويجة قرب مدينة كركوك، ومما ساعد شمر على هذا النصر أن باشوية بغداد كانت غاضبة على العبيد وشيوخها (آل شاوي)، فساندت شمر والشيخ فارس في حربه معها، كما اتجه الجبور نحو الخابور وقسم بقي يسكن بالقرب من دجلة عند الشرقاط، في حين أن طي استوطنت في المناطق التي تقع شمال غرب الموصل، وأصبح لشمر السيادة الكاملة على إقليم الجزيرة الفراتية، وقد تم ذلك في العام ١٨٠٥م.

قامت باشوية بغداد بمساندة الشيخ فارس وشمر التي معه في حربه مع العبيد، وكانت سلطات بغداد قد أعدمت أثنين من رؤساء العبيد هما محمد

(٢٠). د عماد عبد السلام رؤوف، الحياة الإجتماعيه في العراق إبان عهد المماليك١٧٤٣-١٨٣١، رسالة دكتوراه غير منشوره (القاهرة: ١٩٧٦م) ص٢٠٥، زكريا، مرجع سابق، ج١، ص ٢٧١.

(٢١). زكريا، مرجع سابق، ج١، ص٢٧١، الراوي، البادية، ص٩٥-٩٦، د. محمدعجاج جرجيس، التكوين التاريخي لبلدة الشركاط (الموصل: ٢٠١٠م) ص١٩.

(٢٢). لوبنهايم، رحلتي من البحر، ج٢، ص٧٩-٨٠رؤوف، الحياة الاجتماعية، ص٢٠٦.

وعبد العزيز من آل شاوي قرب تلعفر بعد أن اتهمتهما الباشوية بالخيانة العظمى، وبالتعاون مع الوهابية وال سعود، فأسعر هذا الإعدام نار الحرب بين شمر والعبيد، وقد شاركت القوات الحكومية في مناصرة الشيخ فارس الجربا وشمر، فقام والي بغداد بإعلان النفير العام في مقاطعة كردستان، وتشكلت قوة عثمانية حاصرت مع شمر العبيد ومن معهم من العشائر في منطقة الحويش قرب سنجار، و قتل في هذه المعركة من العبيد ومن معهم من القبائل المتحالفة حوالي ١٠٠ شخص، بعد أن كانت المناوشات بين شمر والعبيد قد استمرت حوالي٩٠يوما، وقتل من شيوخ العبيد في هذه المعارك ضامن بن محمد الظاهر وأخوه سليمان[٢٣]، كما وأن باشا بغداد اعطى الشيخ فارس على اثر هذه المساندة منصب باب العرب بدل ال شاوي من العبيد. [٢٤]

يصف لنا المؤرخ ابن بسام شمر وقوتها وعدد فرسانها على عهد الشيخ فارس عند وصوله ارض الجزيرة الفراتية بقوله: "وهم أكرم العشائر عشيرة، وأرفعهم عماداً، وأكرمهم أخوالاً وأجداداً، وأصحهم من ذكر المكارم إسناداً، وأقدم في الحرب وإن جردت سنانها في الغضب، ولو أجهدت أقلامي في لغتهم وساعدت أيامي كما أدركتهم، ولكن الكثير على القليل يحمل، ويكفي اللبيب على المفصل مجمل ... وأما سكمانيهم فألف وفرسانهم ألف ومائتان". [٢٥]

لقد أعطانا هذا الوصف قوة شمر دون ما يتبعها من قبائل وأحلاف، وهو عدد كبير إذا ما قيس بما كانت عليه القبائل في عدد السكمانية (الرماة) والفرسان فيها، وهي صورة توضح لنا أن شمر على ما تملكه من القوة، فقد وصف أهلها بالكرم وطيب الأخلاق الذي ظل إحدى ابرز سمات أفرادها إلى وقتنا الحاضر، فهو تحدث عن قبيلة عظمى ذات شمم وقيم قبلية

---

(23). Williamson, Op ،cit, p21-23.

.أزهر العبيدي، إمارة العبيد الحميرية (الموصل: ١٩٩٤) ج١، ص١٤٠-١٤٦

(٢٤). اوبنهايم، البدو، ج١، ص٢٣٦.

(٢٥). البسام، مرجع سابق، ص٧٦.

كبرى كانت ذات لسانٍ وشأن، إنها هامة الأمة التي تمثلت فيها قيم المجتمع العربي الأصيل كله. [٢٦]

استقرت شمر على هذه الأرض ونظمت حياتها وفقا للظروف الطبيعية لهذا الإقليم، إذ كانت شمر في بداية الربيع تقيم في إقليم الحشائش المتاخم للصحراء، وعندما ترتفع الحرارة ويأتي الصيف تتجه شمر شمالا باتجاه مناطق جبل سنجار وجبل عبد العزيز، وتستقر عادة حول العيون والينابيع الكثيرة في هذا الإقليم، ومع سقوط الأمطار تبدأ شمر بالتسوق من المدن وبيع المنتجات التي تم تحصيلها من الحيوانات المدجنة، وشراء الضروري من المواد لإدامة حياة أفرادها من الحبوب والتمر ومستلزمات الخيام وأدوات الطهي والنوم، وما تحتاجه حيوانات الركوب من مستلزمات الحمل والشد، ليأتي فصل الشتاء فتتجه شمر نحو الأراضي الواقعة بين دجلة والفرات في مناطق عقركوف وأبو غريب الحالية، ويكون هذا الإقليم الممتد من السويدي شمال جبل سنجار إلى الخابور شمالا، والى منطقة البغيلة (النعمانية) والحلة جنوبا.

على هذه الأرض ووجود المراكز الحضرية القوية المتمثلة في ولاية بغداد و مدن الموصل ودير الزور، ووجود سلطة حكومية قوية إلى حد ما، محاصرة لهذا الإقليم من كل جهاته عاشت شمر حياتها مع الجربا شيوخها.

حاول الشيخ فارس أن يتعايش مع هذا الوضع الذي كان جديدا على شمر. وأستطاع أن يجد له ولشمر مكانة قوية فيه، كان الأساس الذي أستند عليه الشيخ صفوك فيما بعد، وخلال هذه الفترة من إقامة الشيخ فارس في ارض الجزيرة الفراتية التجأ إليه الأمير داحس أمير الخوالد بعد أن سيطر الأمير سعود بن عبد العزيز على الإحساء، في حين بقي أخوه محمد في بغداد إلى أن توفي بها، وهذا مما يدل على قوة شمر ومكانة قائدها الشيخ فارس الجربا في ذلك الزمن، والأمن والحماية التي كان يقدمها لمن يلتجئ إليه من

---

(٢٦). الخريصي، مرجع سابق، ص٧.

شيوخ القبائل الأخرى(٢٧)، وهو بذلك كان يجسد شخصية العربي الحقيقية التي يصفها الرحالة داريفيو بقوله: "أن كل عربي حقيقي يملك خلق البدوي وفضائله وعقليته الجيدة"(٢٨).



نموذج من صياني الجربا وقد جمعت الشيخ صفوك الفيصل(حمر عين) في الوسط وعن يمينه محمد العبد المحسن الرشيد وعن يساره صالح السيف من أهل القصيم

---

(٢٧). مؤلف مجهول، لمع الشهاب، ص٧١.

(٢٨). جاكلين بيرين، اكتشاف جزيرة العرب، ترجمة قدري قلعجي (بيروت: دون تاريخ) ص١٢٧.

الشيخ فارس والعثمانيون ١٨٠٣-١٨١٨م

حاول الشيخ فارس بعد أن وطد أقدام شمر على أرض الجزيرة أن يكون مع العثمانيين، وأن لا يصطدم بالسلطة المملوكية الحاكمة في بغداد، خاصة وأنه منذ البدء وضع مصلحة شمر واستقرارها فوق كل اعتبار، فبعد وفاة سليمان باشا الكبير ومجيء علي باشا على رأس السلطة في بغداد(١٨٠٢-١٨٠٧م): كون الشيخ فارس علاقات ودية قوية مع الباشا الجديد، وأظهر له أن شمر عنصر استقرار وأمان في ارض الجزيرة الفراتية، وهي مع سلطات بغداد فيما تصدره من أوامر، وهذا طبيعي من مثل الشيخ فارس الجربا الذي أراد أن يثبت أقدام شمر على هذه الأرض.

ففي عام ١٨٠٣م حاول يزيديو سنجار التمرد على سلطة بغداد فجهز علي باشا حملة لمحاربتهم، وتوكيدا منه للتعهدات التي قطعها لسلطات بغداد في انه معها فيما تصدره من أوامر كان الشيخ فارس الجربا مع رجاله في طليعة القوات التي انضمت إلى الباشا في حملته، كما انضم إليها آل شاوي من العبيد محمد وعبد العزيز، ولكن الباشا أعدمهما في تلعفر بعد أن انتهت الحملة على اليزيدية محاولا بذلك القضاء على قوة العبيد، بعد أن كان قد اتهم عبد الله بالخيانة في حملة ١٧٩٩م ضد آل سعود، وبتعاونه معهم [٢٩]، وعلى أثر ذلك الإعدام تمردت العبيد فيما بعد، فجهز الباشا حملة قوية لقتالها كانت شمر في الطليعة عام ١٨٠٤م انتهت وقائعها بانكسار العبيد وسيطرت شمر السيطرة الكاملة على إقليم الجزيرة الفراتية بلا منازع، وتوجه العبيد إلى نهر ديالى والحويجة والعظيم من وسط العراق مع بدايات العام ١٨٠٥م كما مر بنا. [٣٠]

استمر الشيخ فارس في علاقته مع علي باشا، و سار معه عام ١٨٠٥م إلى الحلة لملاقاة الوهابيين، وانتصرا عليهم ومنعاهم من أن يأتوا

(٢٩). الكركوكلي، مرجع سابق، ص٢٢٤..

(30). Williamson, Op. cit, p24

العبيدي، مرجع سابق، ج١، ص١٤٦.

ثانية إلى كربلاء والنجف المقدستين(٣١)، ولما قتل الوالي علي باشا عام ١٨٠٧م وخلفه في الحكم أبن أخيه سليمان باشا الصغير في ربيع عام ١٨٠٨ م، ومع ذكاء ودهاء هذا الباشا وشجاعته إلا أنه كانت تنقصه الخبرة الكافية، إذ أنه كان في الثانية والعشرين من العمر، مما أتاح هذا الحال من الباشا الصغير للشيخ الجربا أن تكون له السطوة العليا على شؤون الحكومة فيما يخص الجزيرة الفراتية وقبائلها، وتصرف في هذا المضمار كسلطان قوي بلا منازع، يسانده في القيادة ابن أخيه الشيخ بنيه الذي كان قد قام بزيارة ودية إلى والي الموصل عام ١٨٠٥م في اثر الحرب بين شمر والعبيد، وتم الترحيب به وجهز الوالي قوة من حرسه لحماية الشيخ البدوي ذي الملابس البدوية النجدية الغريبة على أهل الموصل في ذلك الوقت، لأجل حمايته من فضول العامة في أسواق الموصل. (٣٢)



الشيخ سعيد بك مع رجاله من اليزيدية في بداية القرن العشرين

في ربيع عام ١٨٠٩م تحرك باشا بغداد سليمان الصغير بقوة كبيرة متجها إلى جبل سنجار الذي كان اليزيديون قد ثاروا فيه، وقد التحقت بالباشا

(٣١). الخضيري، مرجع سابق، ص١٣٩.

(32). Williamson, Op. cit,P25.

قوات من تكريت ومندلي وأربيل [٣٣]، وكانت هذه الحملة مجهزة بخمس بطاريات من المدفعية الصحراوية، واشتبكت مع اليزيدية بعد أن وصلتها قوات بكر أفندي والي الموصل واستطاعت دخول سنجار وفر اليزيديون نحو الجبل[٣٤].

وأثناء هذه الحملة أقنع الشيخ فارس الجربا الذي كان قد وضع فرسان شمر تحت أمرة الباشا بتجهيز حملة عسكرية تأديبية لقبائل الضفير التي كانت عند نهر البليخ مع شيخهم الشابوش بن عفنان، فاقتنع الوالي بذلك، وجهز قوة قبلية تحت أمرة الشيخ فارس تكونت من قبائل شمر والبو حمدان والعبيد، فضلا عن قوة تيمور باشا الملي ومن معه من قوات كرديه، كما انضمت إليها قوات سليمان باشا بابان متصرف كويسنجق وقوات أخرى، فضلا عن عشائر المنتفك التي كانت لها طموحات في ارض الجزيرة الفراتية.

تحركت هذه القوة تحت قيادة أحمد بك باش يوغ أخو الباشا من الرضاعة [٣٥] ووصلت إلى رأس العين، ومنها تحركت نحو قبائل الضفير التي انهزمت أمامها، ثم تراجعت قوة الباشا وبقي الشيخ فارس وشمر على استعداد للقاء الضفير، والدريعي بن شعلان الرويلي من عنزة، وبالفعل فقد طارد الشيخ فارس الضفير ومن حالفهم من قبائل الرولة يسانده تيمور باشا الملي، وبعض القوات القبلية الأخرى، وحدثت معركة فاصلة بين الطرفين أطراف رأس العين كان من نتيجتها أن قتل دغيم بن سويط من شيوخ الضفير مع عدد من فرسانه، ثم عاد الشيخ فارس ومن معه بعد أن غنمت شمر غنائم لا يستهان بها من الضفير اثر المعركة، وخلالها برز دور الشيخ بنية الجربا عندما لاحظ ان القوات الحكومية غير قادرة على حرب

(33). Ibid, p24.

(٣٤). لحمد الصوفي، المماليك في العراق (الموصل: ١٩٥٢م) ص١١٢، الكركوكلي، مرجع سابق، ص ٢٤٥.

(٣٥). الصوفي، مرجع سابق، ص١١٣.

العشائر وارادت الفرار، فما كان منه إلا ان غطى انسحاب هذه القوات بنفسه مع ثلة صغيرة من شمر. [٣٦]

ولكن الرولة باغتت شمر وحصلت منها على بعض الغنائم من الخيول والجمال، فنشب على أثرها الخلاف بين القبائل المتحالفة مع شمر، وناصبت المنتفك العداء لشمر وانسحبت إلى الضفير، ولم تؤثر هذه الأوضاع غير المستقرة على قوة الجربا كأقوى زعيم قبَلي على أرض الجزيرة الفراتية وعادت الضفير والروله عن شمال ارض الجزيرة تجاه الجنوب والغرب. [٣٧]

آلت الأوضاع في ارض الجزيرة في هذه الحقبة الزمنية إلى حدوث مواجهة بين شمر والمنتفك قام على أثرها الشيخ عبد العزيز بن مطلك الجربا احد فرسان الجربا المشهورين، ومن خيرة فرسان شمر في عصره، الذي كان يطلق عليه (الدواي) لشدة قوة صوته، الذي كانت خيل الأعداء تجفل منه في المعارك عندما يصيح للحاق بأعدائه، وكذلك يلقب بالمرتعش أيضا، ومما يذكر لهذا الشيخ انه طارد الشيخ زويد شيخ البدور اثر المواجهة التي نشبت بين شمر والمنتفك، وهو من فرسان المنتفك المشهورين من السويدي وصرعه عند الطاش شمال غرب الجزيرة الفراتية، بعد مبارزة وطراد فردي طويل بينهما،



مجموعة من شيوخ المنتفك في بداية القرن العشرين

كما أن الشيخ عبد العزيز كان قد غزى نجدا مع عدد من فرسان شمر وظفر بخزيم بن لحيان شيخ السهول، ومن القيادات الوهابية البارزة عند ابن

(٣٦). اوبنهايم، البدو، ج١، ص٢٣٨.

(37). Williamson, Op. cit, p24.

سعود، واستطاع أن يقتله ثأرا منه لما قام به من غدر في قتل والده الشيخ مطلك الجربا.

وفي الشيخ عبد العزيز بن مطلك يقول الشاعر واصفا كرمه وشجاعته:

يا راكبن من فوق شيبا علاجم ومن الميارج شايب راس غاربة
اليا منهم مع سهلتن نخنخولها يا تكل نفاض الدلي نف شاربه
تلفي لعبد العزيز أبن مطلك تدعاك تالي الليل ناره عاربه
الله يعينك يا عيون هزبر وكيف انت يا دسم الشوارب شاربه
ذباحت اكبار الروس اليا دلهم الشتا اليا من خطو الشيخ كلخ شاربه
وان صار عند الزمل شاير ومشور تند هو وسمحين الوجيه المذاربه
ونن انتخوا بفكارن لهم حرد السبايا عن أوجيههم هاربه
هم أهل الجود والماجود والمد والسخا اليا جهمت وبل الثريا عجاربه
والأجواد وإن تقاربتهم ما تملهم الملا ما صديجن عنك يجاربه[38]

في عام ١٨١٣م شعر الباشا عبدالله التتونجي الذي حل محل سليمان باشا الصغير، الذي كان قد أصبح حاكما على بغداد منذ العام ١٨١٠م بعد محاصرته لسليمان باشا الصغير الذي كان قد عزلته الدولة العثمانية، ومن خلال قوات الدولة وقوات عشائرية كبيرة في مقدمتها شمر والشيخ فارس، خاصة وان سليمان باشا الصغير كان قد اعدم احد أبناء عمومة الشيخ فارس من آل محمد في عانة، لذا تعاون مع عبد الله باشا ضده [39]، فصارت لشمر مكانة الصدارة لدى الوالي عبد الله باشا، وأبقى الشيخ فارس الجربا بمنصب باب العرب الذي كان قد انتزعه من آل شاوي من العبيد في بغداد[40].

---

(٣٨). من التراث الشعري الشمري.
(٣٩). العزاوي، العراق بين احتلالين (بغداد: ١٩٥٩م) ج٦، ص١٩٥.
(٤٠). الكركوكلي، مرجع سابق، ص ٢٥٠-٢٥١، د حميد حمد السعدون، امارة المنتفق (عمان: ١٩٩٨) ص١٥٨.

شعر الوالي عبد الله باشا أن مكانته مهددة من قبل سعيد باشا بن سليمان باشا الكبير البالغ من العمر ١٩ عاماً، فقد انضوى الأخير تحت راية حمود الثامر شيخ المنتفك وثار ضد عبد الله باشا الذي قتل عام ١٨١٣م على يد الدفافعة من شمر طوقه، فأصبح بعدها سعيد باشا حاكما على بغداد التي دخلها في شهر ايار من عام ١٨١٣م[٤١]، وداؤد أفندي الذي أصبح عام ١٨١٧م الباشا على بغداد الموجه والمنظم لسياسة سعيد.

لقد غير الباشا سعيد بعد أن استطاع حمود الثامر أن يضعه على كرسي الباشوية في بغداد من التحالفات القبلية، فأتجه نحو المنتفك وتخلى عن شمر والشيخ فارس وحلفائه من الخزاعل، مما كان له أثره على طبيعة العلاقات التي أسفرت عن ذلك بين شمر بشخص الشيخ فارس وباشا بغداد سعيد، تركت بصماتها على مركز شمر وسياسة العثمانيين في العراق تجاهها خلال الحقبة التالية من تاريخ تواجد شمر على ارض الجزيرة الفراتية.

ففي هذا العام أي ١٨١٣م كان التوتر في العلاقات ظاهرا بين سلطة بغداد والشيخ فارس على مسرح الأحداث، خاصة عندما رفض سعيد باشا منح الشيخ فارس الامتيازات التي كان يتمتع بها من لدن أسلافه ولاة بغداد، من كونه الشيخ الأول على منطقة الجزيرة بلا منازع، واحد ابرز شيوخ العشائر العراقية، وله الهدايا السنوية من خزينة بغداد، فضلا عن منصب باب العرب، الذي تم عزله منه من قبل الوالي سعيد باشا، وعين بدلا عنه عدوه قاسم الشاوي من العبيد[٤٢]، مما حدا بالشيخ فارس الجربا أن أعلن العصيان على الحكومة وقام مع شمر يقطع طرق المواصلات بين الموصل وبغداد، وبينها وبين حلب، وتوقفت الكراوين (مراكب نقل المسافرين براً) ومراكب التاتاريه (البريد الحكومي)، واضطربت أرجاء الجزيرة الفراتية كلها، ثم اتجه الشيخ فارس بعد ذلك مع ابن أخيه الشيخ بنيه الجربا جنوبا

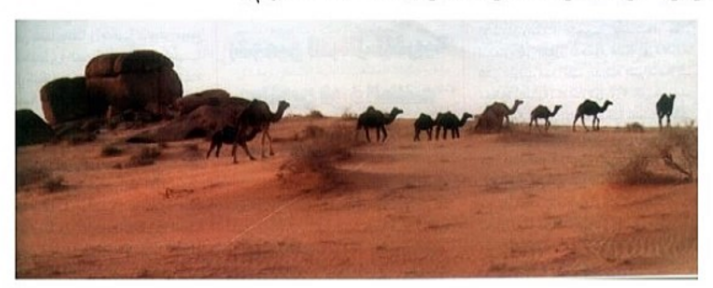
---

(٤١). السعدون، مرجع سابق، ص١٦٣.

(٤٢). حمود الساعدي، الخزاعل (بغداد: ١٩٧٤م) ص٧٤.

[٤٣]نحو حلفائه الخزاعل[٤٤] وزبيد، وتم محاصرة العديد من المدن في وسط العراق من قبلهم بضمنها الحلة، التي قضي على السلطة المملوكية فيها. [٤٥]، كما حوصر أكثر من ٤٠ ألف إيراني في كربلاء من بينهم حرم الشاه، فشعر الباشا سعيد بجسامة الموقف فطلب العون من حمود الثامر شيخ المنتفك، وأسند قيادة القوات المملوكية التي اتجهت نحو هذه العشائر إلى داؤد باشا. [٤٦]

أستدعى حمود الثامر كلاً من قبائل الضفير وعنزة والعبيد ضد أعدائهم المرهوبين شمر، فضلاً عن من تحالف مع شمر من عشائر الخزاعل و زبيد والقبائل ألأخرى، وأنطلق مع الجيش المملوكي لإعادة النظام في وسط البلاد، والقضاء على هذا التمرد العشائري الضخم [٤٧]، وقاموا مع داؤد باشا وقواته بشن الهجمات المباغتة على الشيخ فارس الجربا ومن معه من شمر والخزاعل والعشائر الأخرى المتحالفة معهم.



(٤٣). الكركوكلي، مرجع سابق، ص٢٦٨.

(44). Williamson, Op. cit, p. 25.

(٤٥). الكركوكلي، مرجع سابق، ص ٢٦٣، ٢٦٨.

(٤٦). نفسه، ص٢٦٨.٢٦٩، نوار، داؤد باشا، ص٩٨.

Williamson, Op. cit, p. 25.

(47). Williamson ،Op. cit ،p25.

مقتل الشيخ بنية ورحيل الشيخ فارس

استقر الشيخ فارس مع الخزاعل عند الضفة الغربية لنهر الفرات منذ عام ١٨١٤م، وكان الشيخ بنيه بن كرينيس معه في قيادة القبائل الشمرية، والشيخ بنيه هذا فارس شجاع وشخصية طيبة الشمائل والنجاد، عرف بالكرم والفروسية وكان يلقب بالأشمل، لاستخدامه الشمال في ألمبارزة فضلا عن يمناه، كان مولده في حدود عام١٧٧٠م، وله دور كبير في المعارك التي خاضتها شمر لتوطيد مكانتها بين القبائل العربية في أرض الجزيرة الفراتية، دائم الترحال ما بين جبل سنجار والمناطق الوسطى من العراق، كما كان يتجول في الشامية جنوب العراق، وله عدة غزوات على نجد، حتى انه في إحداها حاصر سيف الكويت واخذ الخوة منهم، و يخلف عمه الشيخ فارس عندما كان الأخير يذهب إلى بغداد أو أي من المدن العراقية على رئاسة شمر، مما جعل كرمه وشجاعته يطغيان في بعض الأحيان على شخص الشيخ فارس الجربا. (٤٨)

وصفه المؤرخ أبن سند بقوله "وبنيه يضم الموحدة وتشديد المثناة التحتية وهاء التأنيث، من فرسان العرب وكرمائهم، كانت له كعمه فارس أيام الوزير علي باشا أبه عظيمة وصدارة، وبنيه هذا يضاهي بالبسالة فارس النعامة ومحطم أبن الأرقم ذا الغزالة، وأما الكرم فهو الغيث، بل البحر الخضم، وأما منع الجار بكل رسوب بتار فهو منه من الذروة، والناس إنما يحذون فيه حذوه، أما غض طرفه عن جاراته فأمر لا يطمع فيه بمباراته " وقال فيه أبياتا من الشعر: (٤٩)

(٤٨). اوبنهايم، البدو، ج١، ص٢٣٧.

(٤٩). ابن سند، مرجع سابق، ص٢٨٥.

تنميـــه للشـــرف العـــالي بنـــو ثعـــل	أســـد الثـــرى وســـراة القـــادة الأول
النـــازلون مـــن البيـــداء فـــوق ربـــى	والشـــائدون بيـــوت العِـــز بالأَســـل
النـــاحروا وجـــزر الاضـــياف نحـــرهم	أســد العـــرين بمـــا ســلوا مـــن النصـــل
والمـــانعوا الجـــار بالأَســـياف لامِعـــةً	بـــين الخميســـين والعســـالة الـــذبل

كان عام ١٨١٥م عام شؤم على قبائل شمر ومن معها من البعيج والزكاريط[٥٠] التي كانت نازلة عند الخزاعل، فقد تكاثر عليها الأعداء من كل جانب، فمن جهة كان داؤد أفندي قد توجه بقواته نحو الخزاعل وشمر، في الوقت الذي تحرك فيه حمود الثامر مع الدريعي والرولة من عنزة نحوهم، وكان الشيخ بنيه قد أنفصل مع ثلة من فرسان الخرصة عن جموع شمر للاستطلاع وحماية ظهر القبيلة من أي هجوم تتعرض له من جهة الصحراء، ولكن القدر شاء أن يقع هذا الفارس صريعا في معركة مع القبائل المهاجمة لشمر والخزاعل، عندما استهدف هو ومن معه من قبل حمود الثامر والدريعي بن شعلان مع الروله في منطقة الحثلوم من ارض الخزاعل، في حين دخلت شمر تحت قيادة الشيخ فارس والخزاعل بقيادة شيخهم حمد لحمود في معركة فاصلة مع القوات الحكومية، بعيدا عن الشيخ بنية ومن معه استمرت أكثر من شهرين، كانت الغلبة فيها لقوات الولاية مع من ساندها من القوات القبلية [٥١].

يصف لنا ابن سند مقتل الشيخ بنيه بقوله" أعلم أن بنيه عبر من الجزيرة لغربي الفرات عندما تولى وزارة بغداد سعيد باشا، لما بين عمه فارس وآل عبيد من الضغائن لاسيما أميرهم قاسم بن محمد بن عبد الله بن شاوي... ، وقد كان سعيد باشا ولى زمام أكثر أموره له، فنزل بعشيرته على خزاعة في تلك السنة ليكتال، وكان الدريعي العنزي الرويلي... يرقبه، فاقتفى أثره ونزل قريبا منه، وأرسل إلى حمود بن ثامر فأستنفره فنفر بفرسان عشيرته لمساندة الدريعي.. ، وكذلك خرج عسكر الوزير سعيد بكبيرهم

(٥٠). ابن بشر، مرجع سابق، ج١، ص١٨٦.
(٥١). نفسه، الساعدي، مرجع سابق، ص٧٥-٧٦، السعدون، مرجع سابق، ص١٦٤.

قاسم بن شاوي ومعه عقيل.. . ، وهم عسكر للوزير، فقامت الحرب على ساق وذاد الفرسان بنيه بحيث أنه ماكر على جناح أو قلب إلا هزمه، حتى غامته الفرسان، فقدر الله عليه في بعض كراته أن أصابته بندقة فخر عن صهوة فرسه رحمه الله وإيانا "[52] ورثاه ابن سند بقصيدة عصماء نصها:

قضى فلدمعي في الخدود سفوح   هزبر عليه المشرفي ينوح
اغر كريم النسبتين من الألى   فخارهم كالنيرين يلوح
على مثلهم يبكي غريب تطوحت   به نوب مسودة وبروح
وسارٍ بموماةٍ من الزاد مقفر   هداه اليهم انور وسروح
وتبكيهم الحرب العوان وقارح   أتب كسرحان الفلاة سبوح
كأنهم للفضل في الناس اعين   وللمجد قلب والمكارم روح
هم الموقدون النار في البدو للقرى   وللنجمِ في ليل الشتاء جنوح
وابيض منهم شمري بكيته   نماه إلى الاصل الاصيل سموح
كأن الندى الطبعي قارن روحه   لدن قر في الفلك المكرم نوح
فيا جودهم ان تبكهم تبك سادة   بنشرهم برد الفخار يفوح
وتبك الأُلى كانت يذوب نجيعهم   تداوى قروح اعضلت وجروح
فوارس وصالين بالخطو بيضهم   وللأسد من لمع السيوف دنوح
بكيت وواصلت البكاء صميدعاً   به كنت ارباب الشقاق اكوح
بنيه والقرم الذي لم يزل به   يخب لدأماء الحروب مروح
مكر دماء الدارعين كأنها   غبوق له في كره وصبوح
فقدت به البدر الذي غاض مذ قضى   بحور لها من راحتيه سفوح
فنحت وأسراب الدموع كأنها   سحاب ومفجوع الكرام ينوح
وما انا بالقاضي له بعض وده   وإن دمت ما ناح الحمام انوح[53]

(٥٢). ابن سند، مرجع سابق، ص٢٨٥-٢٨٦.

(٥٣). نفسه، ص٢٨٨.

استطاعت الغفلة والحيلة والتكاثر أن تقضي على هذا الفارس الشجاع بعيدا عن جموع شمر، وكانت وفاته في بداية العام ١٨١٦م بعد أن سيق إلى شرك (خندق) معد له، وقع فيه دون فرسه، وحمل رأسه إلى الوزير سعيد باشا[٥٤] بعد أن مر على مجلس حمود الثامر، حيث وضع الرأس على مكان مرتفع في جانب من المجلس قرب النار، مما أثار أحد رجالات شمر الذي كان دخيلا عند حمود الثامر السعدون بعد أن كان الشيخ بنيه الجربا قد أبعده عن شمر، لأمر قام به هذا الشمري، فقام الشمري ناصر بن عجاج وجلس قرب رأس الشيخ بنية، واخذ يتلمس شاربه بيده أو بعصا صغيرة كانت معه ممشطا إياه وهو يقول: ما يستاهل صاحب هذا الوجه ذو الهيبة والجاه العظيم، ثم انشد أبياتا يمتدح فيها الشيخ بنيه ويغمز فيها حمود الثامر، ثم قام انصرف إلى بيته، وتوفي ابن عجاج قهراً على الشيخ بنيه بعد رؤيته لهذا الحادث، بساعات، إذ زهدت روحه قهراً، وعندما علم حمود بالشعر طلب ناصر بن عجاج ضيفه، فاعلم انه مات فقال: اشهد بأنكم الزهيد، والزهيد من ألقاب شمر المشهورة [٥٥]، وأبيات ابن عجاج هي:

خثلت له خثلن عسى الله يخثلك ومديت له حبل الشرك ثم سديت
تسعين من روس قومك غدت لك وأيش عاد يا خصاي الدياك سويت[٥٦]

قام الخزاعل بعد أن تفرقت الجموع بحمل جثمان الشيخ بنيه الجربا دون رأسه ودفنوه في الجهة اليمنى لنهر الديوانية، في ارض تسمى الزرزورية، وموضع قبره لا زال معروفا عند أهل تلك الأنحاء وبخاصة العشائر الرحالة منهم إلى وقت قريب، فلا يمر الخزعلي أو الشلاوي أو الساعدي بقبره إلا قدم له ذبيحة، وذلك لاعتقادهم أن الذي يمر على قبر الشيخ بنيه الجربا ولا يذبح له يصاب بمكروه [٥٧].

---

(54). Williamson, Op. cit, 26.

(٥٥). الظاهري، مرجع سابق، ١٢٣-١٢٤.

(٥٦). من التراث الشعري الشمري، العزاوي، عشائر العراق، ج١، ص١٥٠.

(٥٧). الساعدي، مرجع سابق، ص٧٦.

فرح الوزير سعيد باشا برأس الشيخ بنية الجربا الذي ارسل اليه من قبل حمود الثامر، فقام بإلقائه إلى اسد جائع في قفصه، ولكن الأسد وبدلا من ان يلتهم الرأس جن جنونه ولم يهدا حتى اخرج الرأس من القفص [٥٨]، وابن بشر في كتابه عنوان المجد يشير حول مقتل الأشمل إلى أن شاة اعترضت فرس الشيخ بنيه في ارض المعركة فتقنطرت به فرسه وسقطت عليه فقضى نحبه في الحال كعمه الشيخ مطلك الجربا[٥٩]، وكأن الشياه جاءت في ارض المعارك لتكون السبب في موت الفرسان من الجربا فقط، في حين أن كل الروايات أجمعت على أن الشيخ بنية سيق من خلال المطاردة والصدام في المعركة إلى شرك اعد له، وهو الحفرة أو خندق، وقد كمن له من رماه بالبندق فأجفل فرسه مما جعلها تسقط في الخندق وتقضي على حياة الشيخ بنيه، وثمة أبيات من الشعر تنسب إلى الصايح من شمر يفخرون فيها بأنهم نبحوا شيخهم بنيه الجربا، والحق أن هذه الأبيات ليست لهم بل للرولة من عنزة قيلت في مقتل الشيخ بنية الجربا وهي:

سرنا من الشنبل إلى قصر شلال   شهرين والثالث ذبحنا بنية
هذا جزا اللي باعنا بأ بن هذال   جبنا دماغو للبواشي هدية[٦٠]

ومما قالته الشيخة عبطة بنت بنيه في رثاء والدها عندما عادت إليها فرسه المسماة (الجنيدية) دون فارسها، مكسورة إحدى قوائمها الخلفية اثر سقوطها في الخندق، و هذه الفرس من نسل خيول جده الحميدي الأمسح:

(٥٨). اوبنهايم، البدو، ج١، ص٢٣٨.
(٥٩). ابن بشر، مرجع سابق، ج١، ص١٨٦.
(٦٠). الظاهري، مرجع سابق، ص١٢٦.

يـا سـابقي علـى ثلاثـة ارتكيتـي والرابعـة تـتلاج مثـل السـدية
يامـا حـديتيهن ويامـا حـديتي ويامـا تـذرى بـك راعـي الرديـة
ويامـا علـى خشـم المعـادي وطيتـي ويامـا ثنيتـي بتـالي الرعيـة
وقبلـه يـا اليـالي خـذيني يامـا خـذيبي مـن اشـيوخ وشـفية
يـا سـابقي يعـل مـا عـاد جيتـي يعـل زولـج نـاهج مـع ابنيـه
أخيـر لـي مـن وقفتـك عنـد بيتـي يفطـن علـي اليـا شـفت زولـج ابنيـه[٦١]

وقالت الشيخة عبطة في رثاء والدها الشيخ بنيه أيضا:

البارحـه عـين المشـكى جرالـه سـهري اليامـا بـين الصـبح وانجـال
بالقلـب صـدعن مـا يفـوت الدلالـه متجهمـة والله علـيم بـالأحوال
عليـك يـا سـتر العـذارى دلالـه اوي والله ياهـل الخيـل خيـال
بنيـه بعيـد العلـم يسـوى اعدالـه يامـا اصـفقت يمنـاه مـن مـال ورجـال
الأشـمل اللـي ماضـياتن افعالـه زيـزوم غلبـا امعـدل الشـيل اليـا مـال
يامـا عطـى مـن كبـه سـلاله سـباقة الغـارة مـن الخيـل مشـوال
ويامـا نحـى بالسـيف مـن صـعب قالـه ويمـا لطـم مـن دونكـم كـل مـن عـال
ويامـا شـربتوا مـن قهـاوي ادلالـه وقـت الغلـى يـرخص لكـم غـالي المـال
جمـع حبالـه ثـم لمـه وشـاله وتقنطـرت مـن كثـر الأقفـا والأقبـال
هـو الفقيـده مـن عـواني ارجالـه صـادوه بـالحيلات فـي خنـدق الجـال
اخسـوا خسـيتوا مـا خـذيتوا ابدالـه ولا وقفتـوا مـوقفن يعجـب البـال
محـد زرق رمحـه ولحـدن ثنالـه ولا صـار عنـده عـركتن تشـده البـال
خلـوه بقبـره وحيـدن الحالـه امقـابلن بـالهور قصـر ابـن شـلال
واليـا مضـى لـي عشـرتن مـن اهلالـه اليـا تقـل يضـربني مـن الضـيم سـلال[٦٢]

(٦١). من التراث الشعري الشمري.
(٦٢). نفسه.

لقد حفظ لنا القصيد البدوي بعض الأبيات التي قيلت في الشيخ بنيه ومنها ما قاله فيه ردهان ابن عنكا:

الـــي يبـــي عقـــده ولـــذة شرابـــه يصـبر لـو هـو بـين الأضـلاع مطعــون
وألـــي تعيـــف وشـــاف الجفـــا بـــه ينحـر لبنيـه مـع جمـوعن يعنـــون[63]

وللشاعر طايس بن عجيل شعرا في الشيخ بنيه عندما سمع انه قد قتل وهو في مضارب عنزة، بعد أن كان الشيخ بنية قد أجلاه عن مضارب شمر نراه يتوجد عليه، برغم أن سماعه كان خدعة بموت الشيخ بنيه وليس حقيقة:

أبــو اطــلاس اليــوم هلــن دمــوعي والعقــل منـي يـا فتـى الجـود جـن راح
الكبــد مــا تاكــل ولا متــت جــوعي والقلـب مـا يـروح علـي جـاد مـرواح
ســألتها وأنــا تهامــل دمــوعي وقلــت الصـحيح قالــت الشمــري راح
عليـت يـا ابـو عبطـه غـدي الطبـوعي وعليـت يـا مـا خـذ علـى الخيـل مسـراح
عليــت زبــن الوانيــه والخموعــي اوي خيــالن مــن اولاد ســراح
لــه سـابجن تـرجح بوجـه الفزوعـي وتنـزح عنهـا سـرد السـبايا اليـا صـاح
وقلــت وأنــا مـنهم قليـل إنفـوعي غيــر الحميــه ووجعــن حكــي ميــاح
وا حســرتي متــى نجمــع اربوعــي نمشــي جميــع قبــل نتــال الأرواح[64]

وهنالك محاورة في التفضيل بين الشيخ بنيه وعمه الشيخ مطلك الجربا على لسان احد قصاد البدو (علي بن سريحان)، بعد سؤال عبطة بنت الشيخ بنيه وسلمى بنت الشيخ مطلك الشاعر في أن يفاضل بين الفارسين، فأنشد بن سريحان:

---

(٦٣). العريفي، مرجع سابق، ص٣٩.
(٦٤). من التراث الشعري الشمري.

يا بنت فارج بين الأثنين جذاب … قبلج تعايت به صفوف القبايل
لو تجمعين القوم هي والأجناب … ما زودو حقج ولا جاج مايل
يا حصة ما جابها كل جلاب … يا بنت معطي المسميات الأصايل
وإن قل نو الوسم والجيل بالباب … وصفا السما والوقت ما من صمايل
وإن روحوا بالنزل شينين الأسلاب … واستربدت عنهم هزال القبايل
للي به الدبدوب وللطوق قصاب … فداع فوق الزاد بشطوط حايل
بذال ما بالكف صفاط ما جاب … هاتف شليل البيت وافي الخصايل
عوق الخصيم مبطل كل الأسباب … والي غطا على المخاليج طايل
إن جت جموع له مع الدو ضبضاب … يجدع بحد السيف من جاه عايل
له هدة يلقا بها المرج هراب … يكثر بخيل الضد طعن السلايل
وإن جاه بداي نهج تكل جناب … الصبح تبرا له خيار الأصايل
عطيته من خير بابه لطلاب … شيخ الشيوخ ونافل كل طايل
شوايعه يا حلوها عند الأجناب … الحيد شيال الحمول الثقايل[٦٥]

وفي الشيخ بنيه يقول الشاعر دايس الهكاز:

يا شيخ كوك يا مروي شفى الزان … كيف أنت يا منجب خطات النداوي
الي ليا طب الخيل دبوس فرسان … اليا جاه يتبندح مثل زمل الرواوي
وراعي البويضى متعب الهجن شرعان … يفكهن لو هو وحيدن خلاوي
وبنيه شوك مياح الردان … الي لحرجاة الضعاين فداوي
منت خاير يوم كون إبن شعلان … يضرب بكل إيديه عطب اللهاوي[٦٦]

جاء مقتل الشيخ بنيه بمثابة ضربة قاسية بالنسبة لشمر خلال هذه الفترة التي كانت لها تأثير كبير على أوضاعها الداخلية خلال السنوات التالية، إذ قام الشيخ فارس بسحب شمر من عند الخزاعل بعد انتهاء المعركة، وسيطرت القوات الحكومية على الوضع العام في جنوب العراق إلى ارض

(٦٥). نفسه.
(٦٦). نفسه.

الجزيرة الفراتية، في حين عاد قسم من أفراد شمر بعد معارك الخزاعل الى ارض نجد ونزلوا عند شمر التي كانت قد بقيت هناك. [٦٧]

لم تحاول شمر أن تثور ضد الحكومة أو أن تخلق لها مشاكل مع القبائل المجاورة خلال المدة التي قضاها الشيخ فارس على مشيخة شمر، راحلا ونازلا في ضمن أراضي ترحال شمر بين الشمال والجنوب، ولقد سجل لنا احد شعراء البادية وهو عايد الزميلي احدى القصائد الجميلة التي قالها في الشيخ فارس الجربا و شمر، عندما جاء إلى منازلهم ووجدهم قد رحلوا عن هذا المكان مع الشيخ فارس فقال فيهم هذه الأبيات: [٦٨]

البارحة مضيت ليلي خلاوي   مضيت ليلي في كثير الهواجيس
اقوم واقعد من اكبار البلاوي   يجوش قلبي بين عدل ولواليس
يا دار وين امعطرين القهاوي   اكبار ارباع وكاسبين النواميس
اهل البيوت النايفات الزوامي   الي على جمع المعادي مطاويس
لا عفوا سود الشعاث المهاوي   تلقى عيال القوم عنده مفانيس
عيال السيافا مزبنٍ للجلاوي   بظهورهن ما لبدوا بالمتاريس
من دور شامانٍ عليهم بلاوي   ووجيههم من طق بقعا معابيس
ياما ذرى با برباعهم من فداوي   هاب المسير وقيس القاع تقيس
خريصات مقواكم على ام البلاوي   يوم الذي لميع الطوس مثل المكابيس
يتلون فارس مثل حر النداوي   يوم الغلى يرخص لكم فرعة الجيس

توفي الشيخ فارس الجربا عام ١٨١٨م ودفن في الختال شمال نجد[٦٩]، ولم يسجل لنا التاريخ سوى بعض الحملات والغزوات التي شنتها شمر على القبائل المجاورة لها في الجزيرة، من التي أرادت التمرد على سلطة شمر وحكمها لمنطقة الجزيرة الفراتية، واستطاعت شمر فيها أن تكسر شوكتها وتعيد هيبتها بانتصارها على تلكم القبائل، وخاصة في عام ١٨١٧م

(٦٧). الفاخري، مرجع سابق، ص١٤٦.
(٦٨). من التراث الشعري الشمري.
(٦٩). اوبنهايم، البدو، ج١، ص٣٧.

[٧٠]، الذي جاء فيه إلى بغداد الوالي داؤد باشا الذي سيكون له تاريخ مليء بالأحداث مع شمر.

لقد أرخ لنا الشعر النبطي رحلة شمر من أرض نجد باتجاه الجزيرة الفراتية، والاستقرار فيها بما عرف (بالضعاين)، وإليك عزيزي القارئ الكريم إحدى أقدم هذه القصائد التي قالها الشاعر دايس الهكاز أول شبابه، وكان الشيخ فارس الجربا قد طلب أن يحضر إلى مضيفه أحد الهكاكيز من أهل دايس وكلهم شعراء، فأخبر أن لا أحداً موجود غير دايس وهو شاب في مقتبل العمر، فجاء إلى الشيخ فارس الجربا فطلب منه الشيخ أن يقصد له من القصيد القديم، فبين له دايس أنه لا يحفظ منه ما يرضي الشيخ، ولكن له قصيدة هو قائلها فطلب منه الشيخ فارس الجربا أن يقصدها فأنشد:

قال الحسيني والذي هاظ ما به	جيلن يشادي كالتهامي وطار
رفيتهن بالصدر وعَين ينرفن	وظهر لهن ما بين الضلوع ظهار
جواب أحلى من شخاليل منهل	شخلول بطحى وناجعٍ ببيار
أركب عفاش الجيل وهدي مصاعبه	جيلن غصرت به باللسان غصار
أسل سيف الشعر وسنيت داثره	ولازم يلزم مخلبه بمنشار
يشدن ضرب الهيم بمذكر الصفا	وأنا لعسرات اللحن نجار
بيوت تخالف لك ملاوي بيوتهن	حلوات زينات اللحن واكثار
أصوغهن صوغ الصواويغ للذهب	أمجيمٍ على أمجازاتهن نهار
أموحهن من تايع الشط والبحر	وأبا الخضيري يصطفج ويزار
يجن عيني مذنبيها اليا أهملت	صبيب مزنٍ حققن بمطار
يمل قلبٍ تفه الهم ياكله	كما تف عاصوف الجراد كرار

(٧٠). لونكريك، أربعة قرون، ص٢٩٠.

مـا قلتهـا فـي نقـوة البـيض عاشـقة	لوجـان سـاقته صـنعت الجمـار
أنـا قلتهـا بالعصـاة المانـع	ركضاتهـم علـى العـدو دمـار
وهيـه يـا جـازي علـى أكـوار ضـمر	مثـل النعايـم رفـرفن لطيـار
أنـا مذهـب وأدور ضعـاين	اليـب وأنشـد وكثـروا الذكـار
ضـعاين نـون للشـريف بـديرة	وصـارت سيراتهـن ثبـار
ضـعاين ياماحلى إنشـلالهن وإنشـلهن	عقـب المغيـرب نـادولهن نشـار
وضـعاين خـبطهن ميمـر الـدين خبطـه	وذبـح مطلـك وجسـا الضـعون أغبـار
يبجونـه الـرملان والضـيف والعمـى	والجـار والمجلـي يصـيح جهـار
لهـم منسـف عمـال بـالطول يمتلـي	مخلـوط حيـل لحـم أجبـاش فكـار
ولهـم دلـتن عمـال بـالطول تنطـبخ	العبـد يفتـل بـه يصـب بهـار
اليـا جـن ضـكك الضـنك فـي وسـط بيـتهم	وردن يخـاف اجـرب العـوار
عليـت يـا فـرز السـبايا زمـيمهن	اليـا جشـمن مـع عثعـثن وأخبـار
ضـعاين جتـك كابـات بوجيههـن	خـذن يمـين وجنبـن كفـار
بغـاهن التميـاط[٧١] مـن عقـب مطلـك	وقـال الخمامـه مـا بهـا مسـار
تعشـوه بعـدين المـراكيض لا بتـي	عسـى لهـم عقـب الحصـاد بـذار
يـومن لفـن ربعنـا الخـابرين	يتلـون فـايز[٧٢] زايـدن بسطـار
يومـن لفـوا وجـه الطـراد تغيـر	وحجـلات بوسـط العـرب جـن صـار

---

(٧١). مثل التمياط رئيس التومان من شمر الذي أراد أن يقضي على الشيخ فارس الحميدي ومن معه من شمر، عندما علم بمقتل الشيخ مطلك فلحق بهم وأراد القضاء على هذه القوة الشمرية التي مع الجربان عند منطقة لحجيلان من أرض البادية الجنوبية (الشامية).

(٧٢). وهو فايز بن هذيل رئيس العامود من شمر وكان الشيخ مطلك الجربا قد أجلاه عن ديار شمر إلى الشعلان من عنزة، وعندما علم بمسير التمياط نحو شمر بعد مقتل الشيخ مطلك فزّع قبيلته واتجه بهم نحو أرض لحجيلان من البادية، واستطاع أن ينتصر على التمياط ومن معه ويقتله ويخلص الجربان ومن معهم من شمر من التمياط، وهذه الظاهرة معروفة وجلية للعيان عند شمر، إذ أن الشمري الذي يغضب عليه آل محمد ويجلونه عن ديار شمر يبقى وفياً لشيوخه ولشمر وإذا ما شعر أنهم في ضيم يفدي بروحه لهم وينسى كل الخلاف الذي كان من قبل.

وضعاين غدا لهن بخشم حجلان   عرصة حتى الكسير من المناخه ثار
دليلهن عود فهيم كطاوي   يوردهن مقرن كأنهم غضار
ضعاين خبرن المزكف وردونه   وسارن على المدبر مسار
ضعاين شيبن الغبيني خريف   اليا لفنه مع الوديان نار
ضعاين ياما داحمن وديحمن   وهن على من ديحمهن عسار
ضعاين ياما يتمن من صغير   عليهن العذارى شككن اوسار
وزمزم لهن زبن البليدات فارس   صغير سن وتتليه أكبار
ضعاين يحد الخيل عنهن فارس   جما يحد ضرغام الفهود أعفار
وضعاين ما حيدن في سراهن   وردن الشرب والشراب مرار
وضعاين والحزم المخيف أنزلنه   ياما رعن من عشبة الأكفار
وضعاين الياجاهن من الضد عيله   سابج بنيه عدها بهجار
وضعاين سرن من السبعان سروه   واصبح على ساقاتهن سمار
وضعاين ياما صافكن وصيفجن   وهن على من صافكهن عسار
وضعاين ياما عرضن وعيرضن   وهن على من عارضهن شرار
وضعاين ياما عاركن وعيركن   وهن على من عاركهن دمار
وضعاين ياما ناوخن ونيوخن   وهن على من ناوخهن ثبار
وضعاين جزن للعبيد بديارهم   وشيخهم عن أوجيهم طار
وضعاين طبن الجزيرة وتوثنن   هذا قصير لهن وهذا جار[٧٣]

شكل عام ١٨١٨م عام حسم وتغيير جذري في حياة آل الجربا وشمر، ففيه رحل الشيخ فارس إلى جوار ربه وأنيطت قيادة شمر لإبنه صفوك الذي سوف نراه يسجل تاريخا مليئا بالأحداث لشمر وللعروبة خلال مدة مشيخته التي استمرت حتى عام ١٨٤٧م.

(٧٣). من التراث الشعري الشمري.

شمر وتقسيماتها

الآن وبعد أن استقرت شمر على ارض الجزيرة الفراتية لتبدأ في كتابة تاريخها مع الشيخ صفوك الجربا، علينا أن نذكر بشكلٍ موجز التقسيمات الرئيسة لشمر، التي هي في الحقيقة مزيج متجانس للعروبة بقسميها القحطاني والعدناني، وأصبحت كما وصفها الرحالة بارجريف عندما قال: أنهم من جنس من أنبل الأجناس الموجودة على وجه الأرض(٧٤)، وأضاف الرحالة ولان بقوله: إن تضامن الحضر والبدو من أبناء شمر هو الذي أسهم إسهاما عظيماً في زيادة سلطة هذا التجمع القبلي ونفوذه. (٧٥)

فقبائل شمر عرب اقحاح(٧٦) وكان تعداد أفرادها قبل أن تهاجر من نجد إلى البادية الجنوبية للعراق أكثر من ٢٠ ألف نسمة (٧٧)، هاجرت أعداد كبيرة منهم مع الشيخ مطلك الجربا واستقرت فيما بعد مع الشيخ فارس على ارض الجزيرة الفراتية، وقد تطرق العديد من الكتاب إلى أقسام شمر وتفرعات قبائلها(٧٨)، ولكننا سنعتمد في ذكرنا للتقسيمات الرئيسة لشمر على وثيقة أعدت في هذا الموضوع من قبل الشيخ عجيل الياور شيخ مشايخ شمر(توفي عام ١٩٤٠م) في عام ١٩٣٤م، وكتبت في قرية عين طلاوي قرب قضاء تلعفر من قبل كاتبه نجم الدين بن عبد الله اليحيى الموصلي في ٢ حزيران من عام ١٩٣٤م(٧٩)، وجاء في تقسيماتها الرئيسة ما يلي:

---

(٧٤). برين، مرجع سابق، ص٢١٨.
(٧٥). نفسه، ص٢٧٩.
(٧٦). آن بلنت، قبائل الفرات، ص٤٠٢.
(٧٧). مؤلف مجهول، لمع الشهاب، ٦٢.
(٧٨). انظر: العزاوي، عشائر العراق، زكريا، عشائر الشام، المعاضيدي، من بعض انساب العرب، ولخرون.
(٧٩). النسخة الأصلية للوثيقة لدى الشيخ زيد لحمد عجيل الياور اطلع عليها الباحث.

ان شمر قسمان

١-زوبع:

وتنقسم إلى قسمين:

أ-ضنا زايدة، ب-سنجاره.

٢-عيال الرضا:

وتنقسم إلى:

أ-عبده، ب-الأسلم.

وتنقسم ضنا زايدة إلى:

اولا- الخرصة:

وهم اقرب بطون شمر إلى آل محمد الجربا، والسيف والسند الساند لهم، وفرسانهم في الحرب، ولهم الحظوة الكبيرة لدى الجربا، وهم من العدنانية في أصولهم[٨٠]، وتضم الخرصة الأفخاذ الآتية:

أ- البريج:

وتضم

آل حصنه آل بهيمان الولغة.

ب- آل عليان:

وتضم

الحثاربة آل عصوات آل جاسر آل سبيه.

ج-ال غشم:

وتضم

آل براك آل ملحام الصبحة.

د- الهضبة:

وتضم

---

(٨٠). العزاوي، عشائر العراق، ج١، ص١٧٨.

آل سرحان   آل جداية.

وقضاة شمر عند السعدي من آل حصنه من البريج.

ثانيا- العامود:

وتضم

آل غضا   آل خلف   التجاغفة.

وقضاء شمر عند ابن عامود من العامود.

ثالثا- الصبحي:

وتضم الأفخاذ التالية:

أ- آل شبيش:

وتضم

آل صديد   الخماس   الوحدان   الميامين.

ب- ال حريرة.

ج- آل صقر.

د- آل زميل.

هـ- آل خليف.

و- آل موعد.

وقضاء شمر عند ابن اعجيل من الصبحي.

رابعا- زوبع (المثلوثة):

وتضم

آل جتادة   ارموث   كويدان   نمور   مقادمة   خوالد   آل حرصة.

ب-سنجارة:

وهي من البطون الكبيرة في شمر وتضم في أصولها القحطانية والعدنانية من العرب:. وتكون الأفخاذ التالية:

١- الثابت:

وتضم:

آل زرعة آل بكمة آل نجم آل عمار آل قدور.

٢- الفداغــة:

وتضم:

آل غريب آل مطعان آل سيد آل زميلات آل نابت آل بواري.

٣- غفيلة:

وتضم:

آل أرمال آل جرذان آل اكني آل بيطل.

والقضاء فيهم عند آل عبهول من الفداغة.

أما عيال الرضا فهم:

اولا-عبدة:

من بطون شمر الرئيسة، يعود نسبها إلى قحطان، وجذورها في الضياغم، وسكناها في جبل شمر إلى اليوم، وتسمى شمر الجبل وقسم منها في العراق وسورية، ومن بيوتاتها آل علي وآل رشيد حكام حائل الذين سقطت إمارتهم عام ١٩٢١م على يد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، وتنقسم عبدة إلى:

١- اليحيا:

وتضم

آل فضيل آل مفضل آل جري آل شميلة آل جندة آل هامل

سليط دغيرات البدو دغيرات ال حسين دغيرات ال ترييان

دغيرات ال عليان دغيرات آل الغيثة.

٢- الربيعية:

وتضم:

ا-الجدي:

وينقسمون الى:

آل خنيفس آل فضل عنيزان.

٣- العفاريت:

وينقسمون الى:

آل وييار آل مساعد.

٤-الزكاريط:

وينقسمون الى:

آل نصر الله آل شريفات آل خلجات والخزارجة وال انفرة ال اجحيلة.

٥- آل مردان.

٦- آل جعفر:

وينقسمون إلى:

العلي خليل آل حمير آل عطوان آل عبيدات آل جشاعمة.

وقضاء عبدة عند أبن طلاع من الجدي.

ثانيا- الأسلم:

وهي من البطون القحطانية اليمانية العريقة، وقضاء شمر عند آل بكار من بيوتاتها وهي تضم:

آل جحيش آل منيع آل سلطة آل نبيجان آل وهب

آل سلمان آل مسعود الخشمان آل جامن.



ضاري بن طوالة مع الأسلم في بدايات القرن العشرين

شمر طوكة

تجمع قبلي من شمر، أتى العراق قبل مجئ مطلك الجربا، واستوطن المناطق الوسطى من العراق والقريبة من بغداد شرق نهر دجلة، بما يعرف بجزيرة حميد بين شط ديالى وكوت الأمارة، وقد اقر هذا السكن والي بغداد حسن باشا منذ العام ١٧٠٧م (٨١)، وهي تحوي في بيوتاتها على معظم قبائل شمر المعروفة لدينا، وقد تركت شمر طوكة البداوة منذ أمد بعيد وأصبحت من القبائل الريفية، وكانت شمر طوكة قد هاجرت من نجد إلى بلاد الشام في حدود عام ١٦٤٠م وأصبح من السهل عليهم في أثناء هجرتهم أن يهددوا الحاميات القليلة في البلدان الفراتية فيطلبوا المال منها، وقد خربت تدمر بأيديهم وأخضعت المدن الصغيرة بسهولة، ثم اشتعلت الحرب بين شمر والموالي الأقوياء على هذه الأرض مدة عشرين سنة لأجل الاستحواذ على أراضى المراعي(٨٢)، وخلالها ارتكب الموالي خطأً فادحاً في تعاملهم مع شمر حين قتلوا رسل شمر إليهم في خيمتهم، وفي نهاية الحرب خسر الموالي المعركة وانسحبوا إلى داخل أراضي الجزيرة الشمالية، واتجه الشمامرة نحو أرض العراق بعد أن ازداد ضغط عنزة من السبعة والحسنه والفدعان على هذه الأرض (٨٣).

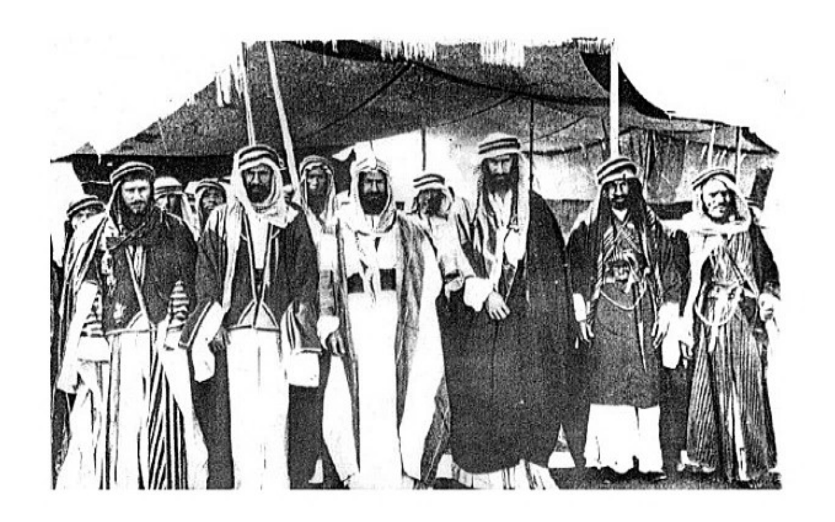
لقد أخذت شمر طوكة بقطع طرق المواصلات بين بغداد ودمشق (٨٤)، ثم أخذت في الاستقرار ما بين نهر ديالى وعلى الضفة الشرقية لنهر دجلة جنوبي بغداد، وتركت بادية السماوة تحت ضغط قبائل عنزة القادمة من شبه الجزيرة العربية، وتحولت هذه القبائل الشمرية البدوية إلى تجمعات استيطانية زراعية، أطلق عليها سكان الفرات الأوسط تسمية (شمر طوكة)

---

(٨١) العزاوي، العراق بين احتلالين، ج٥، ص ١٧٤.
(٨٢). لونكريك، أربعة قرون، ص ١٠٤.
(٨٣). نفسه، النحاس، مرجع سابق، ص٣١٦.
(٨٤). نوار، داؤد باشا، ص ٩٣.

تمييزاً لها عن شمرالتي أتت مع الجربا إلى العراق في بداية القرن التاسع عشر الميلادي.

تحدث الكثير عن تسمية طوكة مفسرين هذا الاسم ما بين اسم لشيخة من شمر أو كلبة لهم[٨٥] وغيرها من الآراء، ولكن واقع الحال أن هذه المُسمية جاءت كما نراه من قبل سكان الفرات الأوسط من العشائر العراقية حينما جاءت شمر إلى هذه الأرض، وأخذت بقطع طرق المواصلات ثم دخلت في صراع مع العشائر القاطنة في المنطقة، فكان قسم من رجال هذه العشائر لا يستطيع الخروج من ديارهم لان شمر قد طوقت قراهم، فانتشر المصطلح شمر (مطوقة)، ثم أضحى الاسم مقروناً بهذه القبائل الشمرية (شمر طوكة) إلى الوقت الحاضر.



هجر أبو اوتيد مع الفداغة من شمر عام ١٩١١م

(٨٥). العزاوي، عشائر العراق، ج١، ص٢٣٣، اذ يسير النحاس، مرجع سابق، ص٣١٧، على منوال من قال أن هذه التسمية أتت من لسم كلبة لهم.

الفصل الرابع

سلطان البر

الشيخ صفوك الجربا

شمر بعد وفاة الشيخ فارس

كانت حياة شمر خلال السنتين ١٧و ١٨ من القرن التاسع عشر هادئة إلى حد كبير، ولم يحدث أي احتكاك لها مع العشائر الأخرى سوى الحملتين الحكوميتين التعرضيتين التين قام بهما داؤد باشا ضدها، وداؤد هذا الذي أصبح آخر حكام المماليك في العراق منذ عام ١٨١٧م عندما جلس على كرسي الولاية في بغداد بعد قتله لسعيد باشا، كان قد وضع في مقدمة مهام حكمه القضاء على سلطة القبائل وسلطان تحكمها بطرق المواصلات بين البصرة وبغداد وعبر الصحراء إلى اورفه وحلب، فكان للإنتفاضة التي قامت بها شمر على يد الشيخ فارس مع الخزاعل عام ١٨١٤ م أثرها في نقمة الحكومة على شمر مما دعا الباشا إلى تجريد حملتين ضدها في العامين ١٨١٧ و ١٨١٨م، كانت نتيجتها أن فشلتا في تحقيق أي من الأهداف التي وضعها لها داؤد باشا، لأجل السيطرة على شمر وتحكمها في طرق المواصلات على ارض الجزيرة الفراتية، وبقيت شمر تجبي ضريبة المرور عن البضائع التي تمر في مناطق تواجدها، مع اخذ الخوة من القبائل التي تقع تحت سلطانها، وتوقع الباشا خطا أنه استطاع من خلال هذه الحملات أن يحد من سلطة أقوى تجمع قبلي بدوي وصل حديثا وسيطر على أرض الجزيرة الفراتية. (١)

هذا من جانب ومن جانب آخر فبعد وفاة الشيخ فارس أصبح أخوه الشيخ عَمر مكانه على زعامة شمر، مشاركة مع ابن أخيه فارس الشيخ صفوك، ببقاء المضيف والمشورة في بيت الشيخ فارس تحت رعاية ابنه الشيخ صفوك. الذي قد هيأ نفسه لمركز المشيخة، وأثبتت لنا الأحداث التاريخية فيما بعد جدارة هذا الرجل وكفاءته لقيادة شمر، وإعادة مكانتها وهيبتها في الجزيرة وما جاورها من أقاليم، وانتهى هذا الحال على زعامة شمر بانسحاب الشيخ عَمر واستقرارالوضع للشيخ صفوك بعد عدة أشهر،

---

(١) . الكركوكلي، مرجع سابق، ص٢٢٤.

حيث أصبح الشيخ صفوك على رأس القيادة لقبائل شمر في حدود منتصف عام ١٨١٩ م، وقد أشارت إحدى الوثائق إلى هذه الشراكة على زعامة شمر بين الشيخ صفوك وعمه الشيخ عمر عام ١٨١٨م من خلال بيورديات (امرمكتوب)أرسله داؤد باشا اليهما جاء فيه: (٢)

يكتب إلى شيوخ العربان عند توجيه الشيوخية لهم

وهذا ارسله والي بغداد داؤد باشا إلى الشيخ عمر

الموافقون على المرسوم المطاع الواجب القبول والأتباع

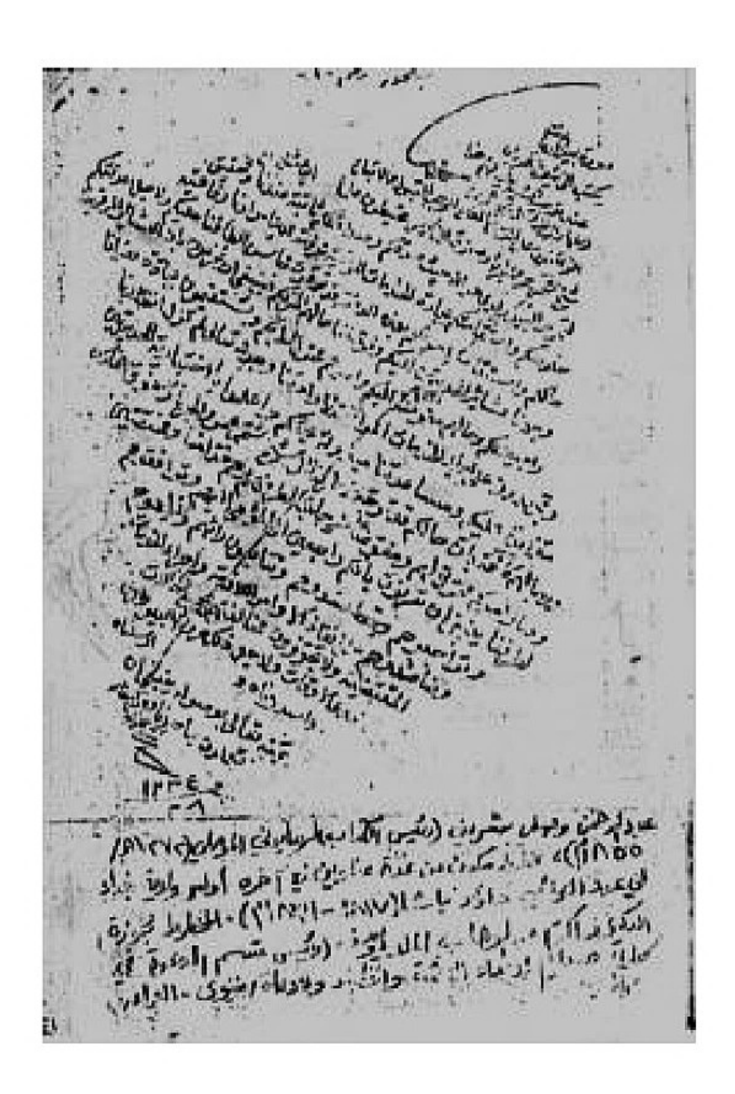
شيخ شمر عمرو الجربا وصفوق الفارس تحيطون علما: الباعث لتحرير البيورلدي هو انه حيث صدقكم وصداقتكم ثابتة عندنا وحقيق خلوصكم واستقامتكم بجادة الخدمات المرضية مجزومة لدينا، مرادنا رفاهية حالكم واستقامة احوالكم وهذه النفقة قد توافرت محاسن الطافنا عليكم ولأجل معونتكم وجهنا عشائر الحديديين إليكم وفوضنا حالهم لطرفكم فينبغي أن تجزموا بأن العشائر المرفوعين راجعون لكم وحالهم مفوضة إليكم وأمرهم محول لطرفكم وتستقيمون بجادة رضانا وتجهدون على إجراء الخدمات الموافقة لإرادتنا وبعونه تعالى لم تزل أنظارنا متزايدة عليكم ومساعدتنا مبذولة بحقكم، واعلموا يا اختيارية الحديديين ورجاله كافة أن حالكم قد توجه من طرفنا إلى شيخ شمر عمرو الجربا وصفوق الفارس وصار أمركم محولا لهم مفوضا من جانبنا لطرفهم وهم خدامنا ومختصين لطرفنا، ينبغي أن تعرفوا أنكم راجعون إلى المومى إليهم ونوافقونهم وتراجعونهم وتراجعون رأيهم وتطيعونهم وتعاضدونهم على أنفاذ الأوامر اللازمة وأجراء الخدمات المقتضية ولا توجبون مخالفتهم بجميع الحالات مدى الأوقات ولأجل ذلك حررنا لكم البيور وأصدرناه وأرسلناه بمنته تعالى وبوصوله ينبغي أن تعلموا بما حررناه وفيه الكفاية

والي بغداد داؤد باشا

٨ محرم/١٢٣٤هـ/٧ تشرين الثاني ١٨١٨ م

---

(٢) . النحاس، مرجع سابق، هامش ص، ٣٢٦-٣٢٧.



صورة نص البيوردات

الشيخ صفوك على زعامة شمر

عندما تولى الشيخ صفوك بن فارس زعامة شمر حاول أن يعيد مجد شمر وقوتها على أرض الجزيرة، مستفيداً من الأوضاع الداخلية في العراق، وانشغال والي بغداد داؤد باشا في التحضير لغزو فارسي محتمل على العراق[٣]، فنظم قواته القبيلة وفرسانها، وضبط القبائل المجاورة لشمر تحت سلطته، كما أن شمر تحت راية الشيخ صفوك جاءتها أعداد من قبائل شمر النجدية بعد تردي الأوضاع في جبل شمر، ومقتل عبد المحسن بن علي أمير حائل على يد القوات المصرية، التي قوضت سلطة آل سعود وسيطرت على الدرعية وأنهت ما يعرف بالدولة السعودية الأولى، وأحدثت اضطرابا كبيرا في شبه الجزيرة العربية[٤]، مما آل بهذه الأعداد الكبيرة من شمر أن تأتي وتنضوي تحت راية الشيخ صفوك.

عادت شمر من جديد بحنكة هذا الشيخ الشاب الشجاع الذي سنراه يحكم شمر حوالي ثلاثة عقود، تميزت بالحروب الكثيرة التي خاضها الشيخ الشجاع دفاعاً عن عروبة أرضه، ووقوفاً إلى جانب الحق العربي ضد الهجمات المشرقية و الهيمنة العثمانية، ومتعاوناً مع كل يد تمد له لنصرت الحق العربي، كما تميزت علاقاته خلال حكمه الطويل هذا بالمد والجزر مع ولاة بغداد والسلاطين العثمانيين، في حين أنه الشيخ المهاب الجواد الكريم المطاع عند شمر وما جاورها من القبائل.

سجل لنا القصيد البدوي الكثير من القصائد في مدح هذا الشيخ والتغني ببطولاته ومآثره. ومنها ما قاله فيه الشاعر عبد الله بن ربيعه: [٥]

يـــالله يــــا ركـــبن تكلـــل هميمـــه عوجــوا اركــاب الهجــن يــا ركــب المجــيم
لـــبن الكـــرام الهاشـــمي الكريمـــه يـــا ركـــب روحـــوا بالتحيـــة وتســـليم
ســـلام مـــن طـــي الخـــوافي ســـليما مـــا خاشـــره نـــوع الريـــا والتـــواهيم

---

(3) . Williamson, Op. cit, p28.

(٤) . العريفي، مرجع سابق، ص٧٩.

(٥) . من التراث الشعري الشمري.

عين العديم الي دهاه المظيمه ... حامي جوانب ساحته والملازيم
قالوا احراش وقلت شايك صريما ... ما ينجحم مامون ضاري اليا ضيم
للملتجي ظل ظليل ونعيما ... وللمعتدي نيران حربه مضاريم
هذا الفحل وايد افحول الحريما ... الفحل من يلجح ممـاقيم
مرهم كسر عانيته سم الخصيما ... صافي كدر بالجاذبية خشن ونعيم
عدل عوج صفاك صفك حليمه ... خيالها رجالها بالملازيم
اليا إعتلى حس التفك والرزيمه ... لاذن خفرات الموانع بصمصيم
فان قيل منهو قلت هداج تيما ... عد قراح الملتجي للدواهيم
ويا ناشدن ما هو خفي لاتعيمه ... مفهوم ابو فرحان من غير تفهيم
ما باق عراة الجليس و نديمه ... مجعد ازناد المرجله للمواليم
زبن العديم تاي ددعاه العظيمه ... المبتسم يوم الرزايا مناظيم
بيت الندى وبضاعتي من قديمه ... بيت العنا بيت الرجا للمعاديم
ذا قول ضيف بات قول وحشيمة ... بضف سلطان العرب طيب الخيم
لاوافدن والله بحالي عليمه ... ولا شاعر يبغى العطا بالمناظيم
صفاك دار اعداه لو هو مجيمه ... مجزي نواظرهم وهو بالحرم نيم
اثني على بيت المحمد من قديمه ... سقاه من وبل الحيا هاتف الدين
بيتن يعلو للعرب مستقيمة ... أمين قولوها معي بالخواتيم

ووصف المؤرخ ابن سند الشيخ صفوك الجربا "صفوق هذا بفتح الصاد المهملة والفاء بعدها واو ساكنة والقاف، هو في الأصل الممتنع من الجبال ومن القسي والصخرة الملساء المرتفعة، جمعه صفق ككتب، فسمي به هذا الكريم الذي أثرى بقافلة العديم، وأيم الله أنه لعديم النظير في كرمه الذي عنه لسان النعت قصير، ولاغرو أن يحذو الفتى حذو آبائه وآباؤه ما منهم إلا من يضرب المثل بسخائه". (٦)

وتعد مدة مشيخة صفوك الجربا الممتدة من ١٨١٩-١٨٤٧م، الذي كانت ولادته بعد عام ١٧٩١ م فيما يعرف عند البدو (بمصافك الأكوان)،

---

(٦) . ابن سند، مرجع سابق، ص٣٤٥، ٣٤٩-٣٥١، الزبيدي، تاج العروس (بيروت: ١٩٨٨م) ج٦، ص٤٠٨.

لكثرة الوقائع الحربية التي خاضتها شمر مع آل سعود والقبائل الأخرى على أرض نجد، وهي من أدق الفترات في تأريخ المشرق العربي، فقد عاصر الشيخ صفوك العديد من الشخصيات التي لعبت أدوارا في تأريخ هذه الأرض العربية، أمثال داؤد باشا والي بغداد، والسلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩م)، ومحمد علي باشا والي مصر (١٨٠٥-١٨٤٩م)، وشاه فارس فتح علي الذي حاول أن يمد نفوذه وأطماعه تجاه العراق، ويضع هذه الأرض تحت احتلاله، مما كان لشمر وللشيخ صفوك بالذات الدور البارز في صد هذا العدوان.

كانت مدة مشيخة صفوك الأولى صعبة للغاية بالنسبة له ولشمر، فقد عانت شمر من حرب تعرضية مع الوالي داؤد باشا الذي أراد أن يجمع الأموال لسد حاجة ولايته، ويدفع إلى السلطان العثماني ما يتوجب عليه من ضرائب، وكانت القبائل إحدى الموارد التي أتجه إليها داؤد لجمع الأموال وشمر بالذات، حيث طلب الوالي من الشيخ صفوك أن يؤدي ما عليه من ضرائب [٧]، في الوقت الذي أدرك فيه الشيخ صفوك حال شمر غير المرضي، وما عانته من قلة الكلأ والمؤن، لاسيما وأنها مرت بمواسم غير جيدة فرفض الشيخ صفوك دفع الضرائب لداؤد باشا.

انقلب الحال لصالح الشيخ صفوك إذ أن الوالي الذي أراد أن يجهز حملة عسكرية ضد شمر، لعدم دفعها الضرائب إلى سلطة ولايته، فوجئ بقبائل الصكور من عنزة تقف في وجهه وتتحدى قواته، ومن ثم هزم هزيمة نكراء في حربه معها[٨]، في الوقت الذي كان فيه المحزم يعمل كل جهده لأجل تقوية وتماسك بيت الرئاسة، ورص الصفوف وتقوية شمر، جاهدا في إعادة سلطانها وهيبتها بتجريده بعض الغزوات على قسم ممن جاوره من القبائل لإعادة سلطة شمر عليها، وتحصيل الخوة التي هي رمز سلطته، كي تستطيع شمر أن تكون القوة المدافعة عن الجزيرة وقبائلها والعراق إذا جاز التعبير.

---

(٧) . نولر، آل محمد، ص ١٢٠-١٢١،
Williamson, Op. cit, p28.

(٨) . علاء موسى نورس، حكم المماليك في العراق (بغداد: ١٩٧٥م) ص١٠٤.

ويجدر بنا وقبل الدخول في مجمل الإحداث والمعارك التاريخية التي خاضها الشيخ صفوك أن نشير إلى الطبيعة القتالية للقوات البدوية، والتي كان لها الدور الأكبر في كثير من الأحداث، إذ شكل المجتمع البدوي بوتقة لصنع المحاربين الشجعان، فقد أكسبت البسالة في القتال الشاب البدوي الشجاع مكانته العظيمة في قبيلته، فضلا عن القيم النبيلة التي ترتكز على البراعة العسكرية، فقد أعدت حياة الصحراء البدوي للمعارك، ومنذ الشباب يتعلم الصبيان إتقان مهارات ركوب الخيل والجمال، ويفتخر كل شاب بدوي بقدرته على ذلك.

كما وفرت الحياة البدوية أيضاً فرصة ممتازة للمحارب الشاب ليكتسب مهارة جيده في استعمال البندقية، السيف، الرمح الذي يطلق عليه البدو الشلفا ايضا[٩]، وغالبا ما رافق الصبية آباءهم في الصيد وفي مجموعات الإغارة، ومارسوا العاباعديدة شحذت من قدراتهم على استعمال أسلحة مختلفة، وحتى أواخر القرن التاسع عشر ظل الرمح السلاح المفضل للمحارب البدوي في شمر.

وعلى ذلك فان البدوي من طراز رفيع، وهو أقرب إلى الجندي أو الشرطي منه إلى راعي الجمال، ومن أسمى واجباته حماية اللاجئين من القبائل الأخرى، أي أولئك الذين يدخلون في جواره بالطريقة التي سنها العرف، أو الذين يريدون ملجأً حتى يبلغوا مأمنهم خارج حمى القبيلة، وحماية المسافرين داخل الحما منذ دخولهم إليها وحتى خروجهم منها، مرتبطة كلها (بوجه الرجل) الذي هو شرفه[١٠]، ومن أخلاق البادية إكرام الرديف، وهو الفرد الذي يترك قبيلته وينظم لأخرى لأسباب عدة، ويصبح أخاً لواحد من أفراد هذه القبيلة، ويكون له فضل كبير إذا ما حدث صدام بين قبيلته الأولى والتي التجأ إليها، إذ أن من أولى واجباته فك الأسارى والتوسط بين القبيلتين.

ويصف الرحالة دارفيو البدو وأخلاقهم في الغزو خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر فيقول: "أن أولئك القوم الذين يقومون بالغزو هم رغم ذلك على جانب من الأخلاق السامية، يحفظون الذمام ويكرمون الضيف إلى

---

(٩) . اوبنهايم، رحلتي، ج٢، ص١٢٨.

(١٠) . كارلتون كون، القافلة، ترجمة برهان ديجاني (بيروت: دون تاريخ) ، ص ٢٩١.

أقصى حدود الكرم، يغارون على العرض ويتحلون بالإباء والشمم، وليس الغزو حرباً لأنهم لا يهاجمون إلا إذا وثقوا من تفوق قوتهم، أما إذا غلبوا على أمرهم فإنهم لا يسددون الرماية للقتل، رغم أن الغيض يتملكهم إذا لقوا مقاومة أو جرحوا، لأن الهدف الذي يرمون إليه ليس إلا الحصول على الغنيمة فحسب' وإذا ما حصل وقتل احد الرجال أثناء الغزو فإن من حق أهل القتيل طلب الثأر من قاتله أو من أهله، أو أن تؤدى الدية لأهل القتيل، ويجب على القاتل وأهله أو عشيرته أن يؤدوا الدية لأهل القتيل"[١١].

هذا بخلاف الجند المماليك الذين سكنوا المدن إلا في أوقات الحملات الإقليمية، ينشغل المحاربون البدو في النشاطات العسكرية طوال السنة على شكل غزوات ضد القبائل المجاورة. ورغم أن هذه الغارات كانت تتسم بروح رياضية، إلاّ أنها وفرت فرصة عظيمة لشحذ المهارات الحربية، ففي الغزوة كانت الفرصة جيده للمحارب كي يظهر براعته القتالية، ليفوز بشرف كبير بشجاعته، لقد استخدم البدو إلى جانب قدرتهم القتالية المتفوقة، معرفتهم الممتازة لجغرافية الصحراء في مراوغة القوات الحكومية، وقد بقيت العلاقة بين البدو والأتراك في وضع غير متجانس لأن البدوي لا يثق بالأتراك العثمانيين، ولا يريد أن يدخل في مفاوضات معهم لأنها لا تفضي في كثير من الأحيان إلى أية نتائج لصالحه، بل على العكس تزيد من هوة الخلاف بينهم [١٢]

في السنوات الأولى لكل من حكم داؤد باشا لبغداد ولمشيخة الشيخ صفوك على شمر كان كل من الاثنين يكن الحذر بصاحبه وعدم الثقة به، لكن عندما تكون أرض الوطن في خطر لوجود قوة خارجية تحاول النيل من أرض العراق واحتلاله، ترى الأيدي تجتمع والكلمة تغدو واحدة للدفاع عن تراب العراق وصد العدوان الفارسي الذي أراد احتلال أجزاء من هذه الأرض.

---

(١١) . نفسه.

بلنت، قبائل الفرات، ص ٤٦.

(12) . Williamson,op. cit, p. 3,

ووصف لنا احد قواصيد البدو بصري الوضيحي المحزم بقوله:

مــن كلكلــة شــديت كــورن نجيبــي ... ودلــت مــن الزرقــا مــداحل قرنهــا
تخوي كما يخوي مع المحزم ذيبي ... ولــي لــه ريفــن لايعــه مــا مكنهــا
اليـا هازهـا المحجـان تجيبـه خبيبـي ... تفزيــز بــزوى جفلــت مــن عــدنها
ونطيــت راس الحيــد يــومن تبيبــي ... مرقــب عــرودا منــبج أنهــاج عنهــا
طالعــت بالخــابور شــوفي جريبــي ... يعقـرا ولـو هـو مـن محـاري كمنهـا
ثـار بـه من المرفوع طرشن عزيبي ... غربــي تليــل النيــل مــداحل اثغنهــا
طالعـت بيـت الشـيخ ضـد الحريبـي ... صـفوك ثجيـل الـروز حـامي ضـعنها
شـيخن علـى كـل المشـايخ تعيبـي ... ولا ينهــي عــن رادة يــوم ينهــا
شــيخن ولا شــوفته مــن قريبــي ... لــو ينــوزن لشــيوخ نجــدن وزنهــا
البيــت يبنــى والــدخن تكــل سـيبي ... سـيب العـراق اليـا تطانـب دخنهـا
يقلـط صـحونن بـه هبـيط وعصـيب ... ولاقللــوا أكالـــة الـــزاد منهـــا
يــا الله طالبتــك لا تخيــب نصــيبي ... بشــولن ومشــوال يبــارن ضــعنها
ومشــمرن مــاهي خطـات الهليبـي ... سـود المصـامح ينشـد الشـيخ عنهـا
أبرهـــا حنطـــة وزبـــدة حليبـــي ... وكـابون حـدر السـرج ضـافي بـدنها
مـع سـربتن يجـداه حـس الـويبي ... عصـلا عمـودي مـا حلـى مـن لحنهـا
ان صـاح صياح الضحى وقـال ريبـي ... وغزلــوى بيــراس قايــد رعنهــا
تعلـــوهن زوبعـــن كالـــذهيبي ... كلــن يخــم أعنانهــا مــع رســنها
وبراشــمن بمشــمرات الســبيبي ... يشــدن عصــافير القرايــا لحنهــا
وتجـاذبوا مثـل المحـوص الجليبـي ... وكلــن يقــولن الملبســة مــن طعنهـا
صـويب شـقران الـذرى مـايطيبي ... عليــه شــلكن العــذارى وجنهــا
أكثـر صـياح البـيض واشـق جيبـي ... كلــن يقــول بعرســته مــال عنهــا
مــن مــبهلن لثــري لأم الحليبــي ... غربـي هبـات الطيـر ينحـون عنهـا
كـدرى ورضـيع الديـد منهـا يشـيبي ... بخيــت يــالي حــده البعــد عنهــا
ياناشــدن عنـــي ترانـــي بطيبـــي ... جنــي بوســط لايتــي وخيــر منهــا
يـــم الســـمول امـــدلهين الغريبـــي ... هـل أربـاع ينشـد الضـيف عنهـا[13]



---

(١٣) . من التراث الشعري الشمري.

موقف شمر من الغزو الإيراني القاجاري للعراق

لم تهدأ اطماع الإيرانيين تجاه العراق وأرضه منذ أقدم العصور، وكان آخر احتلال لهم على العهد الصفوي الذي طردهم منه العثمانيون عام ١٥٣٤م ثم حملة نادر شاه الفاشلة على العراق عام ١٧٤٣م[١٤]، ظهرت الأطماع الإيرانية من جديد تجاه العراق على يد الشاه فتح على خان ومعاونيه ما بين عامي ١٨١٩ - ١٨٢٢م، لقد بدأت المناوشات الأولى بين القوات القاجارية وقوات المماليك عندما ساند محمد علي مرزا حاكم كرمنشاه أحد الثوار الأكراد على داؤد باشا، وهو محمد بابان الذي طلب من الحاكم القاجاري أن يمده بقوات تساعده في تمرده هذا ضد ولاية بغداد والدولة العثمانية، فأرسل له عشرة آلاف مقاتل في تدخل واضح في شؤون الدولة العثمانية الداخلية.

استطاعت هذه القوات أن تحتل المناطق المحيطة بكركوك من جهة إيران، ولم يستطع عبد الله باشا عم داؤد وقائد قواته أن يواجه هذه القوة، بعد أن كان داؤد باشا قد أرسله لمحاربة محمد بابان ومن معه من القوات الأيرانية، فعاد إلى بغداد مع قواته وحاول داؤد أن يفاوض عبد الله بابان والشاه القاجاري على سحب قواته[١٥]، لكن محمد علي مرزا كان يطمع في الوصول إلى بغداد واحتلالها، فأرسل بعض القوات لمحاصرة بغداد عبر ديالى، وهنا تظهر النخوة العربية والحس العروبي الأصيل لدى شمر وشيخها صفوك الجربا في الحفاظ على أرض العراق وعروبته ضد الأطماع القاجارية، فتصدى لها مع شمر التي معه وعشائر المنطقة وشرذم هذه القوات وكسر شوكتهم وهزمهم شر هزيمة.

وقد وصف لنا أبن سند المعاصر للأحداث موقف المحزم هذا بقوله: وقد كان أرسل والي كرمان مقدار ألف من عسكره للميرة من تلك الأوطان

---

(١٤) . دعبد العزيز سليمان نوار، مصر والعراق درلسة في تاريخ العلاقات بينهما (القاهرة: ١٩٦٨م) ص١٢١-١٢٢..

(15) . Williamson, Op. cit,p 31-32.

[١٦]، ويقصد به إقليم ديالى نواحي الخالص وخراسان، لينهبوا القرى العربية والبساتين، وحل فيهم صفوك الجربا، وقراهم طعناً وضرباً وسقاهم بدل العذب عذاباً، وجرعهم بالسيوف مراً وصاباً، فقتل منهم الكثير والباقي بين مهزوم وأسير وغنم من أسلحتهم ما به الكسر لأجنحتهم [١٧].

لقد طلب والي كرمنشاه على أثر هذه الهزيمة النكراء التي ألحقتها به شمر وشيخها الصلح والهدنة من داؤد باشا، وبذلك حمى الشيخ الجليل صفوك بن فارس الجربا بغداد وما حولها من مناطق ديالى من السقوط بيد الأيرانيين وذلك عام ١٨٢١م.

على أثر هذا النصر الذي أحرزته شمر أزداد الوضع المادي لشمر تحسناً، وقويت الصداقة بين صفوك وداؤد باشا، وأصبح الشيخ صفوك في مقدمة شيوخ العشائر عند داؤد، كما عزز المحزم مكانة شمر بين القبائل العربية، وأحكمت شمرسيطرتها على كامل الجزيرة الفراتية فضلا عن المكانة الأولى بين العشائر عند المماليك في بغداد، والسلطان العثماني بالنسبة لقبائل العراق العربية، لتتأكد هذه المكانة عام ١٨٢٢م عندما أنقذ الشيخ صفوك القوات العثمانية والمملوكية من أيدي الفرس بقيادة أخي الشاه وولي عهده الأمير عباس ميرزا والي أذربيجان الذي كان في مواجهة مع القوات العثمانية التي لم تستطع مقاومة الأميرعباس وحدها، لذلك طلب السلطان العثماني من داؤد أن يرسل له قوات فضلا عن ما كان قد طلبه من ولاة الموصل وديار بكر، فأرسل داؤد باشا على الفور قوة مكونة من عشرة ألاف مقاتل تحت قيادة طالب اغا[١٨]، في ذات الوقت شق علي ميرزا حاكم كرمان الذي كان الشيخ صفوك وشمر قد هزما جيشه في نواحي الخالص عصا الصلح، وحاول أن يهاجم القوات العثمانية من الخلف، فكان له الشيخ صفوك مع شمر بالمرصاد، لأن الشيخ صفوك كان قد وضع شمر ظهيرا لقوات الوالي داؤد باشا وللقوات العثمانية، واستطاع أن يقضي على قوات والي كرمان المهاجمة بتكتيك عسكري بارع، فقسم الشيخ صفوك فرسانه إلى

---

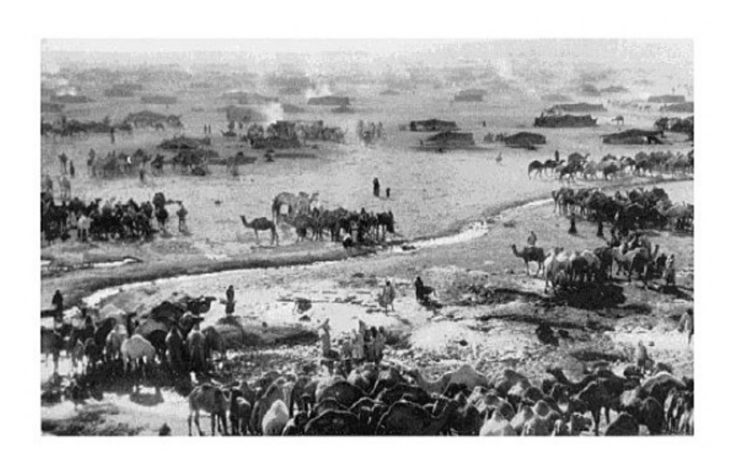
(١٦) . ابن سند، مرجع سابق، ص٣٤٠.

(١٧) . نفسه، ص٣٤١، نورس، مرجع سابق، ص١٦٣.

(١٨) . نورس، مرجع سابق، ص١٦٣.

مجموعـات أغـارت علـى القـوات القاجاريـة، فقامـت هـذه القـوات بملاحقـة ومطـاردة فرسـان الغـارة الشمامرة فأوقعها الشيخ صـفوك فـي كمين معد لها قـرب قزانيـا، واسـتطاع أن يقضـي علـى هذه القوة التـي كـان هدفها ضـرب القوات العثمانية من الخلف، ثم التوجه لاحتلال بغداد، في حين كـان داؤد باشا قد بعث إلى السلطان العثماني محمود الثاني طالبا النجدة، فلم يرسل السلطان له القوات اللآزمة بل طلب من محمد علي باشا والـي مصـر أن يوجه قوة من مصر لإنقاذ العراق من الأيرانيين.

سـحق الشـيخ صـفوك هـذه القـوات وهزمهـا شـر هزيمـة، ودخـل المعسكر الأيراني وغنم منه الكثير، كما قضى وباء الكوليرا علـى مـا تبقـى مـن الجيش القاجـاري الـذي كـان يواجـه العثمـانيين، وانتهـت هذه الحملـة الفارسية بالفشل، واستطاع الشيخ العربـي صـفوك بـن فـارس أن يحمـي العـراق وأرضـه من احتلال أخر حاول الإيرانيون أن يحققوه [١٩]. وأشار المؤرخ ابن سند لهذا النصر الذي حققه الشيخ صفوك بأبيات من الشعر جاء فيها:



(19) . Williamson, Op. cit, p32,

الكركوكلي، مرجع سابق، ص٣٠٠، نوار، مصر والعرق، ص١٢٤

هم الاكارم فاسأل عنهم منهم من يسألون إذا ما إشتدت الأزم
من حل ساحتهم ضيفاً رأى بهم أسداً إذا صدموا سحباً إذا كرموا
ما ضام جارهم دهر ولا خذلوا مولىً ولا وخموا طبعاً ولا وجموا
ما شام نار قرىً سارٍ فيممها إلا ورافعها حتى تشام هم
لو رام ضيفهم أرواحهم سمحوا فاليتق الله في الأرواح ضيفهم
ما ساد سائدهم الا بمصلتةٍ خضابها علق ممن بغى ودم
وحقهم ماالضاءت نار عاديةٍ إلا وموقدها أسيافهم بهم
ما فاخروا العرب الا فاق ناشئهم بكل فضل به فاقت كهولهم
مولّعون بما اباؤهم الفوا قبل الفطام الندى يهوى وليدهم
كأنهم لقرى الاضياف قد خلقوا وللطعان لأسد الغاب تصطدم
مخدمون ولكن في مجالسهم لكل ضيف بتعجيل القرى خدم
لولاهم مازها بدو ورابية ولا زها أجا والنير والعلم
ولا ظعائن في البيداء عودها طعن الفوارس عنها صيرم رزم
إذا إنتمى فالى الاجواد من ثعلٍ والباذلين إذا ما ضن غيرهم
والحاملين من الخطي اطوله كي يعلم الأسد أن الرامحين هم
والنازلين بنجدٍ كلّ رابيةٍ عنها تقاصرت الحزان ولأكم
لم يركبوا العير في بدوٍ ولا حضرٍ لكن شياظم منها الكمت والدهم
شمُ اباة فما ادوا إلى ملكٍ أتاوة او عرا جاراتهم ظلم
لا يشتكي جارهم منهم سوى كرم لو بثوا في الأرض لم يوجد بها لؤم
هم ينحرون من الكوم البهارز ما لو كان في إرمٍ ما مسها قرم
لو كان في الناس منهم واحد ودعوا من الكريم لأوحى نحوه الكرم
لم ادر مطلقهم اندى واكرم ام أبوه ام فارس ام ذا صفوقهم
لكن سألت الندى عنهم فقال الا كل كريم وأسخاهم أخيرهم
يكاد من كرم الاخلاق يبذل ما في الأرض وهو يرى أن الندى وجم
اعطى صبيّاً ففاق الجود من هرمٍ وهل يضارع شيأ نائلاً هرم
سل عن فواضله أعداءه فهم من عد ما أثبتوا من نزرها سئموا
ياشمرياً رأينا من مواهبه ما ليس يحصره طرس ولا قلم
اني مدحت لسمعي عنك ماقصرت عن أن تجاريه في سحه الديم

فسيرت فيك افكاري قوافي لا تنفك تضرب امثالاً فتنسجم
ولم أرد بمديحي فيك جائزةً وان تكن ثريت من سببك ألأمم
لكنني رجل أهوى الكرام ومن كانوا لخير وزيرٍ في الورى خدم
إذ كنت افرغت وسعاً في نصيحته وكنت قاضبه لما بغى العجم
نصرته ببني عمٍ ضراغمةٍ باعوا على كل خطارٍ نفوسهم
فصبحوا عجماً قد خالفوا وبغوا بمرهقاتٍ تخال الشهب فوقهم
هم صبحوهم ولكن انت قائدهم لولاك ما كسروا هاماً ولا جزموا
إذ ساوروهم على جردٍ مطهمةٍ لو لم يكونوا جبالاً حلقت بهم
شم العرانين مالانت شكائمهم ان لان من غيرهم حادثٍ شكم
سلّواالسيوف على سودالوجوه فمذ شاموا بوارقها إنجابت بها الظلم
روافض حسبوا فجر الهدى سحماً وليس مثل البياض الساطع السحم
راموا معاداة من ظلت بوادره بالمرهقات من الباغين تنتقم
ومذ اذاقهم الخطي مرتعشاً والمشرقي به المستأسد الشكم
ردوا خزايا على الاعقاب تحصبهم بالبيض والسمر أبطال الوغى القدم
والدارعون ولكن بالقلوب فكم كروا وما ادرعوا إلا قلوبهم
فكنت اجراهم مهراً إلى رهجٍ والبيض تنشر والمران ينتظم
قد ساعدتك اسود قال قائلهم سلوا الظبي وبحبل الله فأعتصموا
فعرد العجم امثال الرئال وهل يصادم العرب في كراتها العجم
لله عرب اطاعوا أمر منصلتٍ وهزبري له من سمره أجم
لكنه ذادهم عنه بمنصلتٍ فأسلموا العز لما سل وإنهزموا
فخراً صفوق لان ناصرت منتصراً به ألأماثل في أيامه ختموا[٢٠]

أستطاع الشيخ صفوك أن يقضي على قوة منظمة ومسلحة تسليحاً جيداً بقواته البدوية التي كان سلاحها الأساس السيف والرمح، في الوقت الذي سد داؤد أبواب بغداد وحضر المدينة لحصار طويل محتمياً ببنادقه ومدافعه، استطاعت شمر أن تهزم هذه القوات بتماسكها وحسها العربي الأصيل، في الدفاع عن الأرض وصيانة التراب لحماية العرض، وكان التفوق الفردي

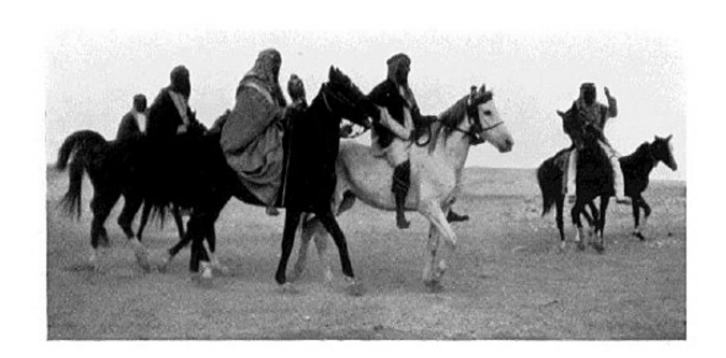
---

(٢٠) . ابن سند، مرجع سابق، ص٢٥٦.

للبدوي الشمري وتمكنه من أساليب القتال السريع، وحنكة قائد شمر وشيخها وما يمتلكه من حس عسكري ممتاز، وقيم عربية أصيلة اثرها الأساسي لتحقيق هذا النصر على هذه القوات المعتدية، وتخليص بغداد من السقوط بيد الفرس،

لقد عرف الوالي المملوكي على بغداد داؤد باشا للشيخ صفوك صنيعه الشهم النبيل، وما فعله تجاه العراق وبغداد، فأنعم عليه بلقب "وزير"(٢١)، وأقطعه عانه وما حولها لتكون تحت إدارة هذا الشيخ الشمري، وله مواردها، ويذكر ذلك أبن سند بقوله: "ولما نصر صفوق هذا الوزير المقدم.. أقطعه عانه وما يتبعها من القرى وهذا عطاء لم أره من غيره لمثل صفوق "(٢٢).

أضحى المحزم وهو لقب حمله الشيخ صفوك لأنه لم ينزع حزام الحرب عن جسده لفترات طويلة (٢٣)، من المتقدمين لدى داؤد باشا المناصرين للوزير المملوكي، وذا حظوة في بلاط الولاية، وكثرت الهدايا والعطايا التي قدمها داؤد باشا للشيخ صفوك الجربا، وأضحيا صديقين حميمين بعدما كان كل منهما يتوجس من الآخر ويخافه.



---

(٢١) . نفسه.
(٢٢) . نفسه.
(٢٣) . زكريا، مرجع سابق، ج١، ص ٢٧١.

الصراع بين شمر وعنزة في الجزيرة ١٨٢٢-١٨٢٥م

في عام ١٨٢٣م كان نفوذ شمر ممتدا من نهر الفرات في الجنوب إلى ماردين في الشمال، ومن الموصل ونهر دجلة في الشرق إلى ما وراء نهر الخابور في الغرب[٢٤]، وبسبب هذا الأتساع الكبير في الأرض كان لابد أن يحدث احتكاك مباشر بين شمر وبين قبائل عنزة الآتية من الأراضي النجدية، بإعداد كبيرة جداً طالبة المرعى والمنزل الجيد، نتيجة الجفاف، والصراعات الدموية التي كانت على ارض شبه الجزيرة العربية بين ابن سعود وأتباعه الوهابيين مع غيرهم من القبائل الأخرى، ومن ثم مجيء قوات محمد علي باشا والي مصر وما فعلته في شبه الجزيرة العربية، وبعد أن دخلت قبائل عنزة في صراعات مريرة في بادية بلاد الشام مع أبناء عمومتها الذين كانوا قد سبقوها إلى تلكم البوادي، توجهت نحو أراضي شمر طامعة فيها وفي مراعيها، فعبرت الفرات باتجاه ارض الجزيرة واعتدت على شمر وبيوتاتها وهي في مراعيها وضمن حماها أمنة، مما أذكى صراعا طويلا بين شمر وعنزة بقيت آثاره إلى اليوم في أذهان العامة في العراق، بما عرف بمصطلح (شمر وعنزة).

اصطدمت شمر بقبائل عنزة في العام ١٨٢٣م التي غزتها ضمن حماها في موقع يقال له (بصالة)، وحدثت معركة شرسة بين الطرفين استمرت حوالي الشهرين، كان لفرسان شمر الغلبة فيها، وكسرت عنزة وأسر هودج (حصه) بنت الحميدي بن عبد الله بن هذال شيخ العمارات، [٢٥]، مع غنائم كبيرة جداً من الإبل والأغنام والخيول، وعاد الشيخ الشاب صفوك من هذه الغزوة إلى مضاربه منتصراً ظافراً [٢٦]، مع فرسان شمر الذين دافعوا عن موطنهم ومراعي ابلهم وأغنامهم وشرف عشائرهم.

---

(24) Williamson, Op. cit, p. 32.

(٢٥) . حديد، مرجع سابق، ص١٠٦-١٠٧.

(٢٦) . ابن سند، مرجع سابق، ص ٣٥٨.

لم يرق لداؤد باشا والي بغداد هذا النصر الذي حققه حليفه المحزم على عنزة، بل كان يرغب في أن تكسر عنزة شوكة شمر، فهو لا يريد أن يزداد هذا الفارس البدوي قوة ومنعة، لأن داؤد باشا على الرغم مما قدمه للشيخ صفوك له كان في نيته أن يجعل العراق كله تحت قبضته، وفكر جدياً بالانفصال عن الدولة العثمانية، فليس من مصلحته أن يكون معه فارس عربي قوي قد ينافسه على السلطة إذا ما حاول الانفصال، بل كان يرغب في أن تبقى قوة شمر تحت نظره، وضمن الحدود التي ليس فيها خطر عليه ولا على كرسي حكمه، خاصةً وأنه غير عربي إذ كان في الأصل مملوكاً والشيخ صفوك عربي خالص العروبة، فسيكون حظه أوفر في أخذ السلطة من يده، وسيكون أهل بغداد وسكان العراق إلى جانبه ضد التسلط التركي والمملوكي.

فقام داؤد باشا واتصل بحميدي ابن هذال واعلمه أن قواته لن تساعد الشيخ صفوك إذا ما غزت عنزة حمى شمر وقبائلها ثانية، بالرغم من أن قوات داؤد باشا لم تساند الشيخ صفوك وشمر في مناخ بصالة، وبالفعل حدث هذا اللقاء بين شمر وعنزة في العام ١٨٢٤م، إذ قام حميدي بن هذال والعمارات مع الروله والفدعان من عنزة بعد أن تهيؤا لهذه الغارة مدة سنة كاملة، حتى صار العنزي يذبح وليد فرسه كي لا يضعفها من الرضاعة ويقول: (لعيون حصه ما تمصه)، [٢٧] بالإغارة على مضارب شمر في منطقة (السبيخة) قرب بيجي، وتطاحن الفريقان واستطاعت عنزة في النهاية أن تغلب شمر بكثرة أعداد رجالها الذين جاءوا مع ابن هذال، وتغنم العديد من الخيول مع قطعان كبيرة من الأغنام، ثم عادت إلى الشامية عبر الفرات، ولم تستطع عنزة البقاء على ارض الجزيرة ضمن حمى شمر خوفا من ردة فعل الشيخ صفوك وشمر على هذه الغزوة، كما بقيت شمر محافظة على أرضها وحماها والحرب سجال. [٢٨]

شعر الشيخ صفوك بعد مناخ سبيخة بطبيعة العلاقة الحقيقية بينه وبين سلطة المماليك في بغداد، إذ كان من المفروض أن تتدخل القوات الحكومية إلى جانب شمر في هذه المعركة، ولكن داؤد باشا وتعبيراً منه على أنه لا

---

(٢٧) . الحادثة مشهورة لدى شمر.

(28) . Williamson, Op. cit, p32.

يمكنه أن يتخلى عن شيخ شمر وقبيلته، وتعويضاً عما خسرته شمر في هذه المعركة أرسل إلى الشيخ صفوك مبلغاً من المال قدره ثلاثين ألف قرش دفعة واحدة، ليثبت للشيخ صفوك صداقته له ولشمر التي ساندته قبل أعوام في صد الغزو الإيراني على العراق، وبالتالي ليزيد من قدرت شمر على مواجهة عنزة إذا ما عادت ثانية[٢٩]، لكنه في الحقيقة كان مرتاحاً من هزيمة شمر لأنه كان يعتقد أنه استطاع أن يكسر قوة هذا التجمع القبلي، وان بإمكانه أن يستخدم عنزة كقوة ضاربة إذا ما حاولت شمر أن تقوي سلطانها على حسابه، وهذا ما سوف تفعله السلطة العثمانية دائماً تجاه شمر على ارض الجزيرة الفراتية.



جمع من عنزة

---

(29) . Ibid, P33.

أوضاع شمر ١٨٢٥-١٨٣٠م

كانت عائلة المحمد وشمر قد فقدت خلال هذه الفترة أو قبلها الشيخ عبد العزيز بن مطلك الجربا (الدواي) وهو من الفرسان المشهود لهم، إذ أنه غاب عن مضارب شمر في إحدى رحلات الصيد ولم يعد، وانقطعت أخباره منذ ذلك الحين ولم يوقع له على أثر. [٣٠]

وخلال هذه الفترة من حياة شمر على ارض الجزيرة الفراتية قتل ظاهر بن فارس أخو الشيخ صفوك، الذي في داره كان يعيش المساكين والمحتاجون لشدة كرمه وورعه، في خلاف عائلي بعد فقدان اثر الشيخ عبد العزيز المطلك على يد الشيخ فهد حفيد الشيخ مطلك الجربا، واحد رجاله المدعو مزعل، الذين تركا ارض الجزيرة بعد هذا الحادث ونزلا إلى جبل شمر، وشارك الشيخ فهد المطلك مع الدغيرات من شمر ومن سار معها من قبائل شمر نجد في المعركة التي حدثت بينها وبين العواجيه من ولد سليمان من عنزة، بعد أن كان العواجيه قد غزوا أراضي شمر عندما اضطربت منطقة الجبل بعد مجيء القوات المصرية إلى ارض الجزيرة العربية، مما عرف عند أهل البادية بمناخ ظفرة الذي كانت الغلبة فيه لشمر نجد بقيادة الشيخ فهد بن سلطان بن مطلك الجربا[٣١].



(٣٠) . الروايه مشهورة وموثقة لدى شمر.

(٣١) . نفسه.

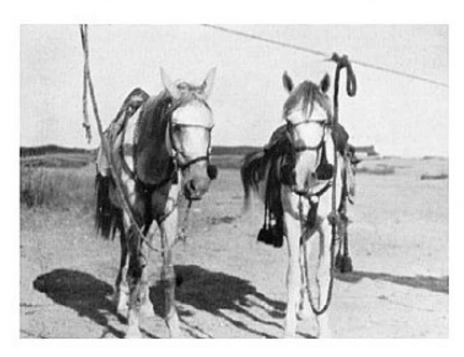
ووصف الشاعر الحسيني الهكازمناخ ظفرة في هذه الأبيات: [٣٢]

يـــا دارالعنـــا حـــايرين كيـــف	يــا دار عقــب الشـــيخ زاد الظلامـــي
يــا دار ابـــو ســميط خـــلاك يـــاحيف	فــز اللغــا ذبــاح عجــف الســنامي
اقفـــا ولا خـــلا بنجـــد تحاســـيف	ابـــوه وجـــده هــم خـــراب الطعـــامي
اقفـــا ايبـــارنو اقطـــاعن هراجيـــف	حــط الشــرايع لـــه اكصـــادن ايمـــامي
امــا علــى الملــوم ياخــذ علــى الكيــف	ولا علــــى ديـــرة مربـــي اليتـــامي
يـــا دار ونطبـــوج شـــرابة الكيـــف	البـــدو للأتـــراك مـــالهم الزامـــي
ننحـــي ولا نقعـــد لهـــم كلاليـــف	ونبعــد عـــن الأروام رطـــن العجـــامي
يـــا دار ناتيـــك فـــوق المواجيـــف	ونـــودع عظـــام الـــي يطبـــك ارمـــامي
يــا مزنـــة غــرة نشــت لهــا رفــاريف	تمطــر علــى ظفــرا مطرهــا انهشــامي
تمطرعلـــى ظفـــرا ومطرهـــا كراشـــيف	تفـــتح بهـــا بكـــع النســـور الأثـــامي
زبيـــديها جـــرد المهـــار المزاغيـــف	وعشـــبا اردون امســـيحين الأودامـــي
ضـــعاين يســـرن وجـــرن مـــن الليـــف	مـــن واقصـــه مـــا شـــبعوا للمقـــامي
يســـرن بثـــر شـــيخن لنـــا رد للســـيف	هـــو شـــيخنا خيـــا عجفـــا ســـنامي
يامـــا ذبحنـــا دون هـــاك العراجيـــف	ســـلمى واجـــا وهـــاك العصـــامي
نبـــي نكلـــط ميرهـــا للضـــياييف	ويطرقـــوا الحضـــران بـــاب الطعـــامي
مــن عصــفرن تســمع لحســه رواجيــف	تســري علـــى ضـــوحه بليـــل الظلامـــي
ويــا حملـتن حـديت وجمعهـا نعهـا شيف	ولا هــي جــرودن جـت بهلهــا شـمامي
تتلـــي نعيســـن يطـــردن الجلاحيـــف	ومحمـــد وعـــدوان ســـت الجهـــامي
وزمـــل المنيعيـــات يحـــدى زفـــازيف	علـــى المنـــاخ الشـــين يحـــدى شـــمامي
ونعمــك مــن العصــلان اورلاد ابــا ســيف	كســـاية العيـــدان ريـــش النعـــامي
ونعمــك مــن التومـــان خضـــابة الســيف	بـــالعون هاشـــوا يـــوم هـــب الـــولامي
يتلـــون اخـــو نـــورا زبـــون المجـــاليف	اليـــا حـــط مـــن فـــوق الســيال الجتـــامي
بالســيف نســف دبشـــي الـــراس تنســيف	بمخضـــر جســـيت ثمـــن الـــف شـــامي
ان ذعـذع الهـدلى علـى الخيـل كـل كيـف	تـــدهش بطوعـــات الســـبايا الحـــوامي
وعبــدة ســطام اللـــي براســـه زعـــانيف	اولاد ســـــنعوس اصـــــلاب العظـــــامي

---

(٣٢) . من التراث الشعري الشمري..

يتلون ابن جبرين ريف المناسيف	ابو صنيدح للحريبة اسطامي
نهجت السر اجموعهم بالتواصيف	يمار وجيه اجموعهم بنخدامي
ونكست لربعي اللي عايزين التواصيف	يمار بالزهيم والجمع زامي
انا اشهد أن اقلوبهم صمع باخليف	يردون حوض الموت ورد الضوامي
اولاد علي شوكة الحرب اهل كيف	عدوهم ما يرتهي منهم بالمنامي
ان جيت بوسطهم كيفت تكيف	واللي احذاهم برعين بالكلامي
اركضا لعيني اصبحت الغرد العيف	شوفي بعيني ما هو رد العلامي
تسمع لهم شروا منادى الغراريف	وحساسهم تشدا غضاض الجتامي
مطارج تزرع بهم مثل الغراريف	تزرع بالقصيدير من عين رامي
ان صدروهن ووردوهن وهن عيف	اليا ما غدا شروا الهشيم الركامي
حريمهم في راس ظفرا مواجيف	لك الحمد يشكن الحفا والرثامي
ترى يا ربع مفتاح اتسوي زعانيف	ردوا لنصب امطلكات اللجامي
تحيزموا لهم بكشوشهن والتطاريف	وياما كسرنا من جموع جهامي
وياما ذبحنا دون الأثماد وهييف	وتسعرن دون عمارت تسامي
وديارنا حنا لنا به تصاريف	سلمى ورمان واجا والعصامي
عينيك يا رمان زين الهفاهيف	دونك خذينا كشهم والجهامي
ابن زهوة فارقنه الهراجيف	الأجرب العيطي ظواه الهيامي
الأولة سحين بالحين بتجريف	ظليت اوداع ما يعودة تمامي
دزن بعيدان البلنزي وتنجيف	وراحوا معيفين الرجال الكرامي



وفي ظاهر بن فارس الجربا قيلت العديد من الأبيات الشعرية التي تذكر أخلاقه وصفاته وشمائله:

البارحة الفاطر علينا تلوجي يدوي نحرها اليا ادبحن الميازين
كفاج بالله هودي يا الخلوجي لاتفطنين اقلوب ناسن مريحين
تفطنين الي بقلبه تلوج جمرة غظا والقلب ياخذ ميادين
أجاويج بالصوت بحسٍ زعوج بلجي يريح القلب وإنتي تريحين
انت غدالج حاشين يكلج بوجي ثمنه اليا طب المدينة بعشرين
وأنا على ظاهر وسيع الفجوج من خلقته ما حلف الشمري دين
لاياخذ العقبا ولارياه عوج الي ببيته يشبعون المساكين
خريصات فوق الخيل مثل البروق على عجيد القوم للروح مهدين
اليا نووا الخير سمنٍ بروجي مكاسير البولاد ما هم خفيين[٣٣]

كانت المدونات عن السنوات الأخيرة من حكم داؤد باشا وعلاقته بشمر وشيخها صفوك نادرة، ولكن الأحداث أشارت إلى أن تدهور تلك العلاقة قد بدأ منذ انتهاء معارك داؤد باشا مع أهالي كربلاء المقدسة الذين ثاروا على جور سلطته عام ١٨٢٥م، فأرسل إليهم قواته النظامية بقيادة سليمان مير أخور (آمر الأصطبلات) مع عدد من العشائر العربية.

وكان الشيخ صفوك الجربا وشمر بضمنها مرغما مع ١٥٠ فارس و١٠٠٠ راجل، ويصف احد الكتاب الكربلائيين الشيخ صفوك بقوله: "كان بطلا صنديدا وفارسا عنيدا معروفا بدقته في الرماية"، [٣٤]، استمرت المعارك مع الكربلائيين ٩جولات دون أن تحقق القوات الحكومية نصرا حاسما على عليهم، وقد انشقت في احدى المعارك تلك بندقية الشيخ صفوك وأصابته اطلاقتها في كتفه، ثم انتهت تلك المعارك مع أهل كربلاء دون أن تحسم لصالح قوات داؤد باشا، كما أن خلافا حدث بين الشيخ صفوك وآمر قوات

---

(٣٣) . من التراث الشعري الشمري.

(٣٤) . محمد حسن مصطفى الكليدار، كربلاء مدينة الحسين (بغداد: ١٩٦٩م) ص٢٢٣.

الحكومة سليمان مير أخور، عندما طلب الميرأخور من العشائر أن يقدموا نساء لتطريب جنوده[٣٥].

رفض الشيخ صفوك هذا الأمر بشدة، وكان من نتيجته ان انسحب الشيخ صفوك مع من معه من شمر وترك ارض الحسينية التي كان ينزلها عند عشائر المسعود من شمر التي ناصرته وقاتلت معه قوات المير أخور، وتخلى عن حصار كربلاء واتجه إلى موطنه قرب جبل سنجار، ثم قام مع شمر بثورة عارمة ضد داؤد باشا وسلطته منذ العام ١٨٢٧م[٣٦]، اثر تصرفات المير أخور وواليه داؤد باشا، متزامناً بذلك مع إعلان داؤد فيما بعد عصيانه على السلطة العثمانية، ومحاولة الاستقلال بولاية بغداد والبصرة عن الدولة العثمانية.

مما حدا بالسلطان محمود الثاني نتيجة هذا التصرف إلى إرسال قوة كبيرة من الجند العثمانيين تحت قيادة علي رضا الآز والي حلب، للقضاء على تمرد داؤد باشا وإعادة بغداد إلى حاضرة الدولة العثمانية، وإبقائها تحت سلطانها، وهنا نرى حنكة وذكاء الفارس الشمري الشيخ صفوك الجربا تجاه هذه الأحداث، فبادر إلى مساعدة علي رضا باشا في حملته ضد داؤد كي يتخلص من منافسه على زعامة الأرض العراقية داؤد باشا، لاسيما وان أهالي بغداد كانت لهم تطلعات نحو الاستقلال عن الدولة العثمانية والانضمام إلى الجهد الوحدوي الذي كان يقوم به محمد علي باشا ولي مصر، للتخلص من السيطرة العثمانية، وقد تم الاتصال مع الشيخ صفوك من قبل بعض وجهاء بغداد للتخلص من سلطة داؤد باشا، لذلك نرى أن الحملة عندما سارت إلى بغداد كان الشيخ صفوك وشمر تسير إلى جانب علي رضا باشا فضلا عن سليمان بن غنام شيخ العقيل الذي كان هو وقبيلته في يوم من الأيام القوة القبلية الرسمية التي بيد المماليك، وبها يضربون القبائل العربية المتمردة على سلطتهم. [٣٧]

---

(٣٥) . نفسه.

(٣٦) . نوار، داؤد باشا، ص ١٠٨.

(٣٧) . جيمس بلي فريزر، رحلة افريزر إلى العراق، ترجمة جعفر خياط (بغداد: ١٩٦٤م) ص١٢١-١٢٢.

ويصف لنا الشاعر عبد الله بن ربيعة دور الشيخ صفوك في معارك كربلاء بقوله:

وهو الذي خلى السويطي عدا القوم والشمري للشام يطرد ضعينة
وصفوك من كون المقير الى اليوم متقلد قلب النعامة قرينة[٣٨]





كربلاء عام ١٩٠٩م بعدسة مس بيل

---

(٣٨) . من التراث الشعري الشمري.

دور الشيخ صفوك في إسقاط مماليك العراق

برز الخلاف بين داؤد باشا والسلطان العثماني منذ عام ١٨٢٦ م، عندما أراد السلطان محمود الثاني أن يقوي السلطة المركزية للدولة بسن بعض الإصلاحات وتلكؤ داؤد باشا في تطبيق تلكم الإصلاحات، كما كانت لداؤد باشا مساهمات رمزية في الحرب الروسية العثمانية عام ١٨٢٧م مما حدا بالسلطان بأن ارسل صادق أفندي وهو من كبار موظفي الدولة ليبلغ داؤد باشا طلب السلطان باستقالته، ولكن داؤد قتل الرسول ورفض أمر السلطان وتحصن في بغداد مع من معه من القوات، في حين جهز السلطان محمود الثاني حملة كبيرة بقيادة علي رضا باشا الاز للتوجه والقضاء على حكم داؤد باشا. (٣٩)

كان واجب الشيخ صفوك وشمر في الحملة التي ارسلها السلطان بقيادة الاز أن يقطع طرق المواصلات بين بغداد وباقي أجزاء العراق، فقامت شمر بهذه العملية ومع ذلك فالدلائل على الأرض كانت تشير إلى أن جيش داؤد كان قادراً على الصمود أمام قوات السلطان ومن تحالف معها، إلا أن الأقدار شاءت غير ذلك، فقد قضى وباء الطاعون على معظم جيش داؤد وأصيب داؤد نفسه بهذا المرض، وفر الكثير من أعوانه من حوله إلا بعض الموظفين المخلصين له ومنهم يوسف أغا رئيس الحسابات، الذي حاول القيام ببعض العمليات العسكرية لكسر الحصار الذي فرضه الشيخ صفوك وقاسم العمري ومن معهما على بغداد.

حاول يوسف أغا العودة إلى بغداد على رأس قوة مسلحة ومعه أموال كثيرة كان قد جمعها من نواحي كركوك، فأسرع الشيخ صفوك مع خمس مئة من خيالة شمر و ثلاثين من مشاة عقيل أنباع سلمان بن غنام من حملة البنادق، ووضع خطة على أساس أن يكمن مشاة عقيل في أحد الوديان الجافة بينما يقوم خيالة شمر باستدراج قوات يوسف أغا إلى هذا الكمين، ونفذ

---

(39) . Williamson, Op. cit, p33.

هذا الكمين بنجاح، وسقط عدد كبير من القتلى من أتباع يوسف أغا، حتى أن الأغا نفسه سقط أسيرا بيد الشيخ صفوك، وجاء هذا النصر بفضل شجاعة وخبرة الشيخ صفوك الحربية الفذة(٤٠)، ثم خرجت قوة أخرى من بغداد بقيادة محمد المصرف أغا ومحمد باشا البابانى واتجهت على طريق مندلي خانقين باتجاه شهرزور، وكان الشيخ صفوك قد أوعز إلى محمد البردي رئيس شمر طوكة أن لا يدع أحدا يخرج من بغداد، فتصدت شمر طوكة لهذه القوة واصطدمت بهم ولم تستطع هذه القوات التي أرسلها داؤد الصمود أمام شمر طوكة المتفوقة عليها، فهرب محمد باشا البابانى ونجا بنفسه وأسر محمد المصرف وأخذ ما كان معه من مؤن وأموال ثم أخلي سبيله(٤١).

استمرت القوات الحكومية وفرسان شمر في محاصرة بغداد عام ١٨٣٠م، واحتلت شمر الجانب الغربي في حصارها، ثم دخلت بغداد في هذا العام واتخذ الشيخ صفوك دارا له في الجانب الشرقي من بغداد، ولكن القوات الموالية لداؤد ثاروا في وجه قاسم العمري وهو والي عربي جلس على كرسي الولاية بمساندة الشيخ صفوك ومن معهما، مما اضطر الشيخ صفوك بعد أن شدد على داره الحصار من قبل بقايا جند داؤد أن يعبر النهر سباحة إلى الجانب الثاني، ومن ثم سحب فرسان شمر إلى خارج المدينة، في حين قام احمد باشا التفكجي يوم ١٣ حزيران من عام ١٨٣٠م بخنق قاسم العمري وإلقائه في البئر(٤٢).

كان هذا الحدث قبل وصول القوات التي مع علي رضا الاز، ثم أتت قوات الاز وأعادت الحصار على بغداد من جديد، وفي شهر تشرين الثاني من العام نفسه أي ١٨٣٠م اشتد الطاعون في بغداد واستمر لعدة أشهر، ثم كان فيضان دجلة العارم في ٢٧ نيسان من عام ١٨٣١م الذي دمر البيوت، وأغرق الشوارع في بغداد. مما كان له مع الطاعون الأثر البالغ في ضعف

---

(٤٠) . نوار، ال محمد، ص ١٢٤، Williamson, Op. cit, p33.

(٤١) . نوار، دلؤد باشا، ص ٢٦٢ – ٢٦٣، نورس، مرجع سابق، ص٢٥٩.

(٤٢) . نوار، داود باشا، ص ٢٥٩ – ٢٦١.

قوة داؤد باشا وجيشه، وتشتت أعوانه في الوقت الذي لا زالت القوات العثمانية ومن معها من قوات قبلية تحاصر بغداد. [٤٣]

دخلت القوات الشمرية والعثمانية بغداد في أيلول من عام١٨٣١م للمرة الثانية عبر الباب الشرقي للمدينة [٤٤]، ومن ثم انتشر الفرسان الذين مع المحزم في أرجائها، وأثناء دخول القوات الشمرية إلى بغداد للقبض على داؤد باشا، أتجه فرسان من شمر والعقيل إلى السراي وقاموا بتخريبه، وأخذ الشمامرة ما تبقى من خزينة السراي، وقدموا الأموال إلى الشيخ صفوك الذي أعطى قسماً منها لشمر، وأعطى عبد الله الرشيد الذي كان عنده أموالاً وطلب منه أن يعود إلى نجد ويؤسس أمارته في حائل التي عرفت بإمارة آل رشيد فيما بعد. [٤٥]

دخل الشيخ صفوك وسليمان بن غنام بغداد بعد محاصرتهم لها مع علي رضا لعدة أشهر ومدافع الدولة العثمانية تقصف بغداد، وفي النهاية نفذ صبر الأهالي وبادر شخص من التجار اسمه الحاج خليل إلى الاتصال بقوات علي رضا وتم فتح أبواب بغداد لقوات الحملة، ودخلت بغداد وألقت القبض على داؤد وأعوانه، واثناء دخول القوات العثمانية ومعها شمر بغداد فتحت السجون وهرب السجناء، وممن هرب من سجن داؤد حمود الثامر شيخ المنتفك الذي كان قد احتال في اغتيال الشيخ بنيه الجربا، ومن المقربين من داؤد باشا فيما مضى، ثم ساءت العلاقة بينه وبين داؤد فيما بعد فوضع في السجن، فهرب مع من هرب وهنا نراه يلتجئ إلى الشيخ صفوك ويستجير به خوفا على حياته من فرسان شمر المطالبين بالثأر للشيخ بنية الجربا، فأجاره واحسن استقباله، وابقاه لديه فترة من الزمن[٤٦]، وهذه هي أخلاق الجربا وحسن كرم ضيافتهم وعلو منزلة الدخيل لديهم.

---

(٤٣) . نفسه.

(٤٤) . جيمس ريموند ولستيد، رحلتي إلى بغداد في عهدالوالي داؤد باشا، ترجمة سليم طه التكريتي (بغداد: ١٩٨٤م) ص١١٥.

(٤٥) . جبار يحيى عبيد، التأريخ السياسي لإمارة حائل، ١٨٣٥–١٩٢١، رسالة ماجستير غير مشورة (بغداد: ١٩٨٧م) ص٢٥. –٣٣.

(٤٦) . فريزر، مرجع سابق، ص١٢٢، السعدون، مرجع سابق، ص١٧٩.

بعد أن نجح علي رضا والشيخ صفوك وسليمان بن غنام في القضاء على سلطة داؤد باشا، حاول علي رضا أن يبعد القوات البدوية عن بغداد لما كانت تسببه من مضايقات لسكان المدينة، ولكي يكون في مأمن من خطر هذه القوات عليه وعلى جيشه، نظراً لما كان يتوقعه من الشيخ صفوك الذي كان ليس على وفاق تام مع العثمانيين، ولديه النية الوطنية للتخلص من السيطرة العثمانية، خاصة وان الانتصارات المصرية في بلاد الشام كانت حافزا قويا له على تحقيق هذا الهدف (٤٧).

وفي السنة ذاتها أي عام١٨٣١م أعلن عجيل بن محمد المانع السعدون مع المنتفك عصيانه على السلطة العثمانية في بغداد، وحاول أن يتعاون مع الأمير تركي بن عبد العزيز آل سعود، وينضم إلى الوهابيين، وكان عجيل السعدون قد ضبط المنتفك على عهد داؤد، فكان من معاونيه المقربين إذ عينه منذ العام ١٨٢٦م شيخا على المنتفك، وممن ساندوا داؤد في تمرده على السلطات العثمانية، فكان من الطبيعي أن يعاقب من قبل العثمانيين(٤٨)، فطلب علي رضا من الشيخ صفوك أن يتوجه نحو المنتفك ويقضي على هذا التمرد، وهنا نرى الشيخ يلبي هذا المطلب ربما ليتخلص من بغداد وما كانت تسببه المدينة لرجاله البدويين من مضايقات، وهم الذين لم يتعودوا على سكنى المدن أو القتال فيها من جانب، ومن جانب آخر كان الشيخ صفوك يحس بمرارة في صدره لقتل السعدون الشيخ بنيه بن كرينيس، وليوجه ضربة إلى الحركة الوهابية من خلال محاربة احد انصارها البارزين، فتوجه بقواته الشمرية نحو ديار المنتفك قرب سوق الشيوخ ومعه القوات العثمانية بقيادة بكراغا الجليلي الموصلي وسليمان غنام شيخ العقيل وقوات اخرى(٤٩).

دارت معركة كبيرة بين الطرفين أحرز الشيخ صفوك ورجاله نصراً حاسماً على المنتفك، وقتل عجيل السعدون في المعركة بعد أن كبا عن فرسه

---

(٤٧) . نوار، مصر والعراق، ص ١٥٥-١٥٦.

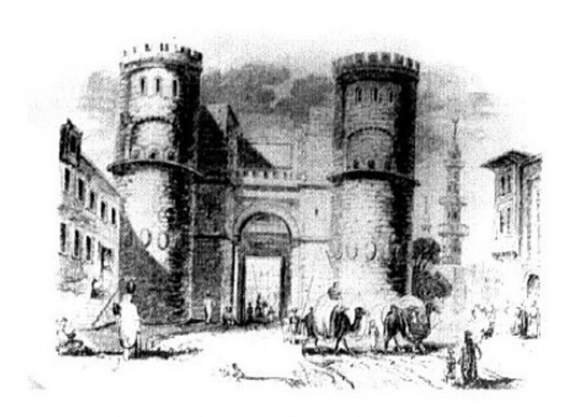
(٤٨) . نوار، دلؤد باشا، ص ١١١-١١٢، السعدون، مرجع سابق، ص١٦٨.

(٤٩) . يعقوب سركيس، مباحث عراقية (بغداد: ١٩٤٨م) ج١، ص، ٤٠٣.

ومات مع سبعةٍ من رجال السعدون [٥٠]، ثم عاد الشيخ صفوك إلى شمال الوطن ليحقق طموحاته في التخلص من السيطرة العثمانية، ويحقق نواة الدولة العربية بالتعاون مع محمدعلي باشا ولي مصر.

لقد أصبحت عشائر شمر من أكبر عشائر العراق فعالية وأكثرها قدرة على الحركة لتعدد وتنوع ميزاتها القتالية، وكثرة الأزمات العسكرية التي دخلت فيها وخاضتها، وكلها أكسبت الشيخ صفوك خاصةً وشمر عامة خبرات عسكرية وسياسية لم تكن تتوفر لغيره في تلك الظروف لشيوخ العشائر الأخرى أو لعشائرهم، كان من نتيجتها أن أقلق هذا الشيخ الشمري السلطات العثمانية سنوات عدة بعد عام ١٨٣١م[٥١].

وقد وصف لنا كاتب اميركي الشيخ صفوك الجربا خلال هذه الفترة من زعامته بقوله: "فارس عربي وجهه ينطق بالشهامة العربية، وقلبه ينبض دماً عربياً أصيلاً، ونفسه عالية تأبى الخضوع لحاكم غير عربي". [٥٢]



احد ابواب بغداد على عهد داؤد باشا

---

(٥٠) . نفسه، ص ٢٨٤.

(٥١) . د عبد العزيز سليمان نوار، بين العراق ومصر في القرن التاسع عشر، مجلة الهلال القاهرة: ١٩٦٣م، عدد تموز، ص ٤٣.

(52) . Williamson, Op. cit, p33 ٤٣ .

التوجه العروبي الوحدوي للشيخ صفوك الجربا

بعد سقوط بغداد على يد علي رضا والشيخ صفوك وسليمان بن غنام في العام ١٨٣١م كانت السنوات الثلاث التالية بمثابة نقطة تحول كبيرة في تأريخ العراق والمشرق العربي في العصر الحديث، فخلالها ظهرت بوادر الشعور القومي العربي بضرورة التوحد والتخلص من السيطرة العثمانية، وكان محمد علي باشا والي مصر قد شغل العراق في ذهنه مكانة كبيرة، وسعى لربطه مع الخليج العربي بمصر لتخليصه من الأطماع الإنكليزية التي كانت تحاك ضده، فضلا عن السيطرة العثمانية، وقد عبر محمد علي عن ذلك عندما خاطب أحد المسؤولين الفرنسيين بقوله:

إنني أستطيع أن أفتح عكا ودمشق وبغداد بكلمة واحدة مني، وأبني المنتصر إبراهيم باشا سيتوجه في أقل من عام ليحقق مقاصدي على ضفاف دجلة والفرات، لأنها حدود ثابتة للدولة التي أسعى إلى إنشائها. وقد أجاب إبراهيم باشا عندما سار بحملته نحو الشام عن سؤال: ما مدى خط مسير حملاته قائلاً: **أنه سيسير قدماً إلى كل بقعة يتكلم أهلها اللغة العربية.** (٥٣)

لقد أكد إبراهيم باشا هذا الهدف في حملته على الشام، إذ أن القوات المصرية وبعد أن دخلت دمشق عام ١٨٣٢م اندلع صراع بين السلطان العثماني محمود الثاني ومحمد علي الذي كان والياً للسلطان على مصر، وبدأت الأخبار ترد عن وجود مشروعات يدرسها محمد علي لتأسيس دولة قوية موحدة تضم العراق والشام ومصر، والجزيرة والمغرب العربي، فضلا عن السودان، وبالفعل وبعد أن سيطر إبراهيم باشا على بلاد الشام أرسل قواته فدخلت أورفه وكانت تابعة لبغداد كما أرسل برسالة إلى والي حلب

---

(٥٣) . نوار، مصر والعراق، ص١٦٦، د، إبراهيم خليل أحمد، موقع العراق في محاولات محمد علي لتأسيس دولة عربية، بحث مقدم الى جامعة الزقازيق، ١٩٩٠م، ص٧-٩.



محمد علي باشا والي مصر

محمد باشا جاء فيها: **أنه يريد انتزاع بلاد العرب وما يجاورها وإنقاذ الأمة من المصائب التي أبتليت بها**، وأكد عباراته هذه في رسالة أخرى وجهها إليه و نص فحواها: **أن على المرء أن يضحي بحياته في سبيل قومه وعشيرته**(٥٤).



إبراهيم باشا بن محمد علي

---

(٥٤) . احمد، موقع العراق، ص١٠، نوار، مصر والعراق، ص١٦٧، د عمادعبدالسلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني (الموصل: ١٩٧٥م) ص١٩٤.

لم يكن الشيخ صفوك الجربا بعيداً عن هذه الأحداث، وهو الوطني الذي دافع عن تراب العراق ضد الغزو القاجاري وأسقط حكم المماليك الغريب عن هذا الوطن، فضلا عن أنه كان على اتصال مع أهالي بغداد في ثورتهم ضد علي رضا باشا، بعدما قام المفتي عبد الغني الجميل بثورته في ٢٨ مايس من عام ١٨٣٢م ضد التسلط العثماني على بغداد، وتصرفات جند الباشا علي رضا القاسية مع أهاليها، إذ أندفع أهالي جانبي الكرخ والرصافة مع الجميل في ثورته مما اضطر والي بغداد علي باشا إلى ضرب ازقة بغداد ومحلاتها بالمدافع، بعد أن فلت زمام الأمر من يده، مما اضطر المفتي عبد الغني الجميل أن يغادر بغداد ويتجه نحو دمشق ثم عاد إلى عانه بعد ذلك بسنتين، في الوقت الذي كانت العلاقات بين الشيخ صفوك وعلي رضا قد ساءت بشكل كبير[٥٥] بسبب طموحات الشيخ صفوك وتطلعاته الوطنية، ورغبته في ادارة بغداد [٥٦] التي أقلقت علي رضا الاز، فأخذ يتصرف مع هذا الفارس الشمري باللامبالاة وعدم تقديم ما وعده به من امتيازات من السيطرة والحكم على أرض الجزيرة الفراتية، كي يقوم المحزم بواجبه الوطني في تكوين النواة التي بها سوف يستطيع فيما بعد تخليص أرض العراق من السيطرة العثمانية.

عندما علم الشيخ صفوك بوجود المفتي عبد الغني الجميل في عانه التي كانت لا تزال تحت إدارته منذ العام ١٨٢٢م، كتب إلى الجميل رسالة جاء فيها:

إلى متى هذا الجلاء والفراق عن وطنك واهلك. وانا اليوم جار لك وباذل المال والرجال أمامك، إذا شئت نجمع الجموع ونسوق الجيوش معك لتحارب بها علي رضا باشا، واني جدير إذا اصطحبتك ولفت عنان جوادي إلى بغداد أن أسقطها وأجعلك واليا مكانه فيها أن أحببت وقبلت ذلك. [٥٧].

فرد عليه الجميل برسالة يشكره فيها على ما عرضه عليه الشيخ صفوك، وطلب منه فيها أن يصلح بينه وبين علي رضا، فكتب الشيخ صفوك

---

(٥٥) . محمود بن سلطان بك الشاوي، ذيل مطالع السعود، تحقيق عبدالجبار العمر، افاق عربية (بغداد: ١٩٨١م) عدد٦-٧، ص٦٧-٦٨.

(٥٦) . العزاوي، العراق بيت احتلالين، ج٦، ص٣١٧.

(٥٧) . نفسه، ص ٦٨.

إلى والي بغداد علي رضا يسترحم للمفتي الجميل، فتم الصلح بين الاثنين وهدأت الأحوال بينهما بفضل وساطة الشيخ صفوك. المهاب الجانب من قبل علي رضا باشا في ذلك الوقت. (٥٨)

لقد شعر علي رضا بنوايا الشيخ صفوك. لذلك حاول الباشا إقناع الشيخ الجليل بان يتوجه مع ثلاثين ألف مقاتل ممن كانوا تحت أمرته نحو الأناضول، ويقاتلوا الجيش المصري في أورفه، لكن الشيخ صفوك كان قد عقد الاتفاق مع محمد الجدعان أحد شيوخ العقيل، وسليمان خطاب من شيوخ الزبيد عام١٨٣٢م وأرسلوا رسائل إلى إبراهيم باشا يعلمونه فيها أنهم على استعداد تام لتخليص العراق من السيطرة العثمانية، وما على القوات المصرية إلا أن تبعث بقوة رمزية تقدر ثلاث مئة فارس فقط، كما قام الشيخ صفوك الجربا وبدافع من الحس الوطني العروبي بإرسال الرسائل إلى شيوخ العشائر العربية في العراق للثورة ضد السيطرة العثمانية، والانضمام إلى القوات المصرية المتواجدة في الشام. (٥٩)

قام الشيخ صفوك بالتحرك نحو الشمال باتجاه سنجار، كي يجمع القوات اللازمة لإسقاط الحكم العثماني في بغداد، ولكي يكون على مقربة من القوات المصرية، ليحقق سرعة وصول وتلقي الرسائل من إبراهيم باشا، الذي أشارت بعض الوثائق انه قام بإرسال بعض المستشارين العسكريين إلى الشيخ صفوك كي يساعدوه في مقاومة القوات العثمانية، في الوقت الذي جاء فيه يحيى باشا الجليلي الذي كان والياً على الموصل وتم إخراجه منها من قبل أهالي المدينة عام ١٨٢٨م، بعدما عانت المدينة من قحط شديد بين عامي١٨٢٤و١٨٢٨م ولم يتحمل أهل الموصل تصرفات يحيى باشا الجليلي، خاصة بعد الطاعون الذي حل فيها عام ١٨٢٨م وحصد حوالي ١٨ ألف نسمة، مما اضطر أهل الموصل بالثورة على الجليلي وإبعاده في هذا العام(٦٠)، فجاء قادماً من حلب قبيل دخول إبراهيم باشا إليها، التي سكنها بعد

---

(٥٨) زنفسه، منهل علي الجميل، ثورة عام ١٨٣٢م في العراق، مجلة المورد (بغداد: ١٩٨١م) مجلد٧، عدد٢، ص١٢٧.

(٥٩) . احمد، موقع العراق، ص ١١-١٢.

(٦٠) . رؤوف، الموصل، ص١٨٣.

أن عزلته السلطات العثمانية عن ولاية دياربكر التي ولي عليها بعد خروجه من الموصل، كما اشارت إلى ذلك الوثيقة المصرية المؤرخة في٦تشرين الأول من عام ١٨٣٢م وهذا نصها:

من ابراهيم باشا يكن إلى ابراهيم باشا بن محمد علي

في ٦اكتوبر ١٨٣٢م

الى دولة الباشا السرعسكرمن ابراهيم باشا يكن:

يعرض انه وصل ساع قادما من مدينة الموصل فأخبر بان يحيى باشا الجليلي بعدما فر من حلب جمع نحو اربعة الاف شخص من العربان واستولى على الموصل بمساعدة الشيخ صفوق الجربا شيخ العشائر، ولم يبقى في يد المتسلم المنصوب من قبل علي باشا الا حي واحد فقط وهو قريب من السقوط، ولما احتج المتسلم المنصوب من قبل علي باشا على يحيى باشا أعلمه بأنه استولى على الموصل بأمر من دولة ابراهيم باشا، وانه سأل الساعي عن انباء بغداد فأجاب انه لا يدري شيئا عنها. (٦١)

لقد التقى الجليلي بالشيخ صفوك في سنجار، وشارك مع قبائل شمر في حملتها ضد اليزيدية الذين أرادوا التحرش بالقوات الشمرية في شهر تموز من عام ١٨٣٢م (٦٢)، وأستطاع الشيخ صفوك مع شمر القضاء على هذه القوات، ونظير هذا التعاون تقدم الشيخ صفوك مع اربعة الاف فارس شمري ودخل المدينة ونصب يحيى باشا الجليلي على الموصل التي رحبت بالقادمين، لاسيما وان أهالي الموصل كانوا يعتبرون الشيخ صفوك أحد أبرز رجالهم الوطنيين.

---

(٦١) . نفسه، ص٥٥.
(٦٢) . نفسه، ص ٢٠٢ – ٢٠٣.



الموصل في بداية القرن العشرين

أعلن يحيى باشا بن نعمان الجليلي عندما دخل الموصل انه تولاها من قبل إبراهيم باشا والقيادة المصرية في الشام، بالرغم من أن الجليلي لم يلتق بإبراهيم باشا، ولكن تعاونه مع الشيخ صفوك الذي كان قد وضع كل ثقله مع المصريين يؤيد ذلك ويبقي تحالفهما مستمرا لأجل تخليص العراق من السيطرة العثمانية، مما اضطر الباشاعلي رضا والي بغداد أن يرسل إلى يحيى باشا بن نعمان الجليلي مرسوم الولاية، ويعترف به واليا على الموصل. [٦٣]

لقد قوى هذا التحالف الجبهة الشمالية ضد علي رضا والحكم العثماني لبغداد، ففي نهاية عام ١٨٣٢م وبداية عام ١٨٣٣م كانت القوات المصرية قد سيطرت على الطريق الإستراتيجي بين الموصل وحلب[٦٤]، والتحالف القوي بين يحيى باشا الجليلي والشيخ صفوك على أحسن حال، فتوجه المحزم نحو بغداد لإسقاط الباشا بأمر من والي مصر محمد علي باشا كما يقول القنصل الإنكليزي في بغداد تايلر[٦٥]، فبدأ الشيخ صفوك يقطع طرق المواصلات بين

---

(٦٣) . نفسه، ص٢٠٣-٢٠٥.

(٦٤) . نفسه.

(٦٥) . نفسه، ص٢٠٥.

بغداد واستنبول كما أشار إلى ذلك الرحالة الإنكليزي بروس (Pros)[٦٦]، ثم قام الشيخ صفوك بحصاره لبغداد الذي استمر حوالي ثلاثة اشهر، في الوقت الذي بقيت الرسائل والاتصالات مستمرة بين الشيخ صفوك ويحيى باشا الجليلي وبعض الشخصيات ورؤساء العشائر العراقية الأخرى مع القيادة المصرية، من أجل تنسيق المواقف لإسقاط علي رضا والحكم العثماني في بغداد. [٦٧]

وفي أثناء حصار الشيخ صفوك لعلي رضا في بغداد، خطى هو وشيوخ بعض العشائر خطوة سياسية هامة نحو التخلص من السيطرة العثمانية، عندما قدم الشيخ صفوك ومعه سليمان الخطاب عن الزبيد، وعبد العزيز حمود السعدون عن المنتفك، ومحمد المروح عن العزة، وذرب الشلال عن الخزاعل، طلباً إلى الباب العالي بوساطة يحيى باشا الجليلي والي الموصل يعرضون فيه مشاكل الإدارة العثمانية في ولايات العراق، وعدم استقرار البلاد لتجاهل الولاة العثمانيين لمشاعر أهله القومية، وقد دعوا في طلبهم إلى تعيين والٍ عربي يتفهم مشاعرهم ويتجاوب مع أمالهم وتطلعاتهم المشروعة. [٦٨] كمناورة سياسية من قبلهم لتغطية اتصالاتهم وتعاونهم مع الجهد المصري في بلاد الشام، لكن السلطات العثمانية تجاهلت هذا الأمر، وأوعزت إلى قواتها في سيواس وديار بكر وغيرها للتحرك نحو العراق لتفتيت القوة العربية الموحدة والقبض على زعيمها الشيخ صفوك الجربا، خاصة وان مطالبهم هذه تتنافى مع سياسة السلطان محمود الثاني في فرض الإصلاحات والسلطة المركزية على أقاليم الدولة العثمانية.

لعب علي رضا الورقة التي كان العثمانيون يستخدمونها دائماً ضد العشائر، فبعد أن قضى على الثورة التي قامت في بغداد بضربه المدينة بالمدفعية في العام الذي سبق حصار صفوك الجربا الثاني لها عام١٨٣٣م،

---

(٦٦) . د. جابر خليل، تكريت من خلال المصادر التأريخية، المؤخ العربي (بغداد: ١٩٨٨م) العدد٣٤، ص ٢٨٥.

(٦٧) . د عبد العزيز سليمان نوار، ثورة عام ١٨٣٢م في العراق، مجلة الهلال (القاهرة: ١٩٦٥م) عدد شباط، ص ٢٥، فريزر، مرجع سابق، ١٣٢.

(٦٨) . احمد، موقع العراق، ص١١.

ولعلمه أن القوات البدوية لم تتعود على الحصار الطويل للمدن، وجه أنظاره نحو الجموع الغفيرة من عنزة التي كانت تطمع بمراعي شمر وحماها الخصبة، فوعد شيوخها إذا هم انتصروا على شمر الجربا أن تكون هذه المراعي والحمى لهم(٦٩)، فجاءوا الشيخ صفوك وشمر من الخلف مما أضطر الشيخ المحزم أن يتخذ قرار حكيماً بعد أن ناقش هذا الوضع الجديد في مضيفه، وقرر أن تتجه زوبع مع رئيسها حمود الظاهر الحمام وتشاغل عنزة، في حين يحارب هو القوات الحكومية التي أرسلها علي رضا، وقد أشار الشاعر أبن روسان إلى ذلك بقوله:

الله مــن قلــب بــه الغــل طنيــأن   مــن ســلجن بيضــامري بالســديرة
ياصــفوك كملــن الهــداوي والبــدأن   تبكشــت مــا غيــر زوبــع ذخيــرة
تبكشــت مــا غيــر طلجــين الأيمــأن   نخــاير جــدك يــا ازبــون المغيــرة
غلبــا تفــاجي القــوم بوجيــه الاضــعأن   بــي راي معطــي الشــحص ذيــب المغيــرة
حيــد الطــراد اليــا غــدا الهــوش عجنــأن   يــومن قــواد الســبايا مريــرة
أليــا بعــد تســعين شــيخنٍ بحكــرأن   أشــيوخ بشــرٍ فرخــت بــالجزيرة(٧٠)

استطاع الشيخ صفوك أن يكسر القوات الحكومية وتحصل شمر على غنائم كبيرة منها، ثم تحرك المحزم لمساعدة حمود الظاهر وزوبع وتم كسر عنزة بعد معركة صعبة بين الطرفين ألت إلى غنائم كبيرة من الخيول العربية الأصيلة وأعداد كبيرة من الجمال غنمتها شمر من عنزة، ثم فك الشيخ صفوك الحصار عن بغداد وانسحب شمالاً بعد أن أصطدم بهذه القبائل الغازية، لأن رسالة وصلته من يحيى باشا الجليلي يطلب فيها مساعدة الشيخ صفوك لان أمر عزله عن الموصل كان قد صدر من الباب العالي، وقد وقعت هذه الرسالة في أيدي قوات علي رضا بعد أن كان الشيخ صفوك قد تركها على الأرض التي نصب عليها خيمته عند حصاره لبغداد.

---

(٦٩) . نوار، آل محمد، ص ١٢٦-١٢٧.

(٧٠) . من التراث الشعري الشمري.

أتجه الشيخ صفوك الجربا نحو الشمال ولم يكف الوالي علي رضا عن إحاكة الدسائس والمؤامرات ضد الشيخ الجربا وشمر، فحاول أن يستخدم السياسة العثمانية التي نوهنا عنها وهي فرق تسد، فأعلن عن عزل الشيخ صفوك عن مشيخة شمر، وأشعل النزاع القديم بين العمر والشيخ صفوك حول الزعامة على شمر، فأسند المشيخة إلى الشيخ شلاش العمر (تل اللحم)[٧١] ابن عم الشيخ صفوك، لتكون نتائجه لصالح السلطة العثمانية بتفكك هذا التجمع القبلي القوي، وربما يقتل الشيخ صفوك، ولكن كما يقول المثل المشهور تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، لأن شمر لم تتخل عن شيخها وزعيمها صفوك، ولم يستطع الشيخ شلاش العمر إلا أن يجمع أفراداً قلائل من شمر تحت أمرته، وبقي الشيخ صفوك الزعيم القبلي غير المنازع على مشيخة شمر، في ذات الوقت الذي وقع فيه علي رضا باشا بالشرك الذي نصبه للشيخ صفوك[٧٢]، وذلك عندما استقدم قبائل عنزة لفك الحصار عن بغداد، لأن الباشا عندما شعر بزوال الخطر عن بغداد أوعز إلى زعماء عنزة بأنه لم يعد بحاجة لخدماتهم، ولكن شيوخ عنزة رفضوا العودة مع قبائلهم إلى ديارهم على الجانب الغربي لنهر الفرات. وأوضحوا للباشا أنهم أنجزوا ما طلب منهم وعلى الباشا علي رضا أن يقدم لهم ما وعدهم به من امتيازات وأموال، ولأجل دعم مطلبهم هذا عسكرت عنزة قرب بغداد وأخذ أفرادها يقطعون الطرق ويغيرون على القرى المجاورة لمعسكرهم. [٧٣]

كان علي رضا قد قام أثر تحرشات عنزة تلك، ولأجل تقوية مشيخة الشيخ شلاش العمر أمام الحكومة المركزية، فقد أمر الباشا الشيخ شلاش أن يقوم بمن معه من شمر بحماية القوافل عبر الصحراء بدلاً عن قبيلة العقيل، لمنع القبائل الأخرى من مهاجمة هذه القوافل، لكن الشيخ شلاش وشمر التي معه فشلوا في هذا الأمر، لأن أفراد قبائل عنزة المنتشرة حول بغداد وفي داخل الصحراء كانت تتعرض لهذه القوافل. مما اضطر الباشا إلى أن يعيد

---

(٧١) . شهرته لكرمه.
(٧٢) . نولر، آل محمد، ص ١٢٨.
(٧٣) . نفسه، ص ١٣٢-١٣٣.

هذه المهمة إلى قبيلة العقيل [٧٤]، وقام الاز بتجهيز حملة عسكرية كان يضمنها عدداً من المدافع لضرب عنزة، وأوعز إلى الشيخ شلاش أن يجهز من معه من فرسان ويلتحق بالحملة، لقد لبى الشيخ شلاش هذا الطلب على الفور، وفي هذه الأثناء كان الشيخ صفوك على إطلاع تام بما يجري حول بغداد، وهنا تبرز نخوة الشيخ العربي الأصيل وكرم أخلاقه. عندما لم يرض أن يخوض أبن عمه شلاش معركة غير متكافئة مع قبائل عنزة التي كان يزيد تعداد أفرادها عن ٣٥ ألف رجل [٧٥]، فطلب منه في البداية الانسحاب والالتحاق به في الشمال، ولكن الشيخ شلاش العمر رفض ذلك وتصلب في مواقفه، فأرسل اليه الشيخ صفوك رسالة جاء فيها: **"أنا وأنت عدوان متخاصمان ويمكننا أن نسوى النزاع بيننا في موسم مناسب، لكن شرف العشيرة في الوقت الحاضر قد تعرض للخطر ولا أستطيع السكوت على ذلك ما لم أقدم معونتي للمحافظة عليه".** [٧٦]

رفض الشيخ شلاش رسالة ابن عمه الشيخ صفوك، مما اضطر الفارس الشهم ذو النخوة العربية الأصيلة إلى إرسال ٢٠٠٠ فارس من فرسان شمر لمساندة الشيخ شلاش العمر[٧٧]، واعتبر أن هذا العدد كافيا لنصرة الشيخ شلاش ومن معه من شمر.

لم يكن إرسال هذا العدد من الفرسان نوعاً من الخذلان للشيخ شلاش أمام هذا العدد الضخم من عنزة، لكن الشيخ صفوك كان يثق بالقوات الحكومية التي مع علي رضا وبسلاحه الجيد، أمام هذه القبائل التي لم تمتلك سلاحاً جيداً، لكن واقع الحال سار على غير ما توقعه الشيخ صفوك، فقد انهزمت قوات الباشا في بداية المعركة التي حدثت في ٢٨ تشرين الأول من عام ١٨٣٤م. ووقع عدد من المدافع في يد قبائل عنزة، ودارت الدائرة على فرسان شمر الذين كانوا مع الشيخ شلاش العمر، فقتل عدد منهم و ذهب ضحيتها الشيخ شلاش نفسه، إذ قتل وقطع جسده إربا بعد أن تركت عنزة

---

(٧٤) . نوار، تاريخ العراق الحديث، ص ٦٥.

(٧٥) . نوار، آل محمد، ص ١٣٠-١٣٣، فريزر، مرجع سابق، ص ١٣٣، Williamson, Op. cit, p37.

(٧٦) . فريزر، مرجع سابق، ص ١٣٤، العزاوي، عشائر العراق، ج١، ص١٤٣

(٧٧) . فريزر، مرجع سابق، ص ١٣٤ -١٣٥.

القوات الحكومية وهاجمت شمر التي مع الشيخ شلاش، وهي تهوس: (خلي النظام واقتل الجربا)[٧٨]، وكان حدوث هذه المعركة في هورعقرقوف في الموقع المعروف (بأبي ثوب)[٧٩]، فاعتبرت عنزة أن نصرها كان على شمر لا على باشا بغداد وقواته.

لقد تألم الشيخ صفوك لما لحق شمر من ضحايا وخسائر وأخذ بإعادة تخيم قبيلته في المنطقة الغربية من سنجار، خاصة وانه على أبواب مواجهة شاملة مع العثمانيين، بعد أن نحي يحيى باشا الجليلي عن الموصل وارسل في منصب حكومي رفيع الى اسطنبول، واستعاد علي رضا عافيته السياسية بعد رحيل عنزة عن ضواحي بغداد، وتمكنه من إيقاع خسائر لا يستهان بها في شمر عدوته التي يحاول شيخها جاهداً القضاء على سلطته في بغداد، وسيطرة الدولة العثمانية على العراق.

كان لما أصاب شمر من هزيمة أمام عنزة عاملاً من العوامل التي مكنت القيادة العثمانية من توجيه ضربات قاصمة إلى الحليفين الكبيرين يحيى الجليلي والي الموصل الميال إلى المصريين، والشيخ صفوك المتعاون معهم، وكذلك القيام بتدمير القوى العراقية الميالة إليهم من أمثال أمير راوندوز محمد بك ميركور في شمال العراق. الذي كان قد كون تحالفاً قوياً مع الشيخ صفوك ضمن أواصر الأخوة العربية الكردية منذ بدء الاتصالات مع الجانب المصري لأجل تخليص العراق من السيطرة العثمانية. [٨٠]

تطلب واقع الحال من العثمانيين التخلص من المحزم أولا: خاصة وان اتفاق يحيى باشا الجليلي مع الشيخ صفوك الجربا ضد السلطة العثمانية في العراق وبلاد الشام، أمل البقية الباقية من مماليك بغداد في استعادة شيء من النفوذ، وتحقيق بعض من طموحاتهم في مكاسب إدارية مرموقة، فانضموا إلى هذا التحالف تحت زعامة آخر قائد مملوكي هو عنايت آغا، فضلا عن انضمام محمد بك مركور أمير راوندوز إلى هذا التحالف مع بدر خان البوتاني، وتم الاتفاق على الزحف نحو بغداد وطرد علي رضا منها،

---

(٧٨) . نفسه، ١٣٥.

(٧٩) . نفسه، ص ١٣٤ -١٣٥..

(٨٠) . نوار، ثورة عام ١٨٣٢، ص٢٥، لوريمر، مرجع سابق، ج٤، ص١٩٤٦.

ومما يؤكد هذا التحالف أن جميع المتحالفين كانت تجمعهم رغبة واحدة وهي التخلص من السيطرة العثمانية.

كانت فكرة التخلص من هذه الزعامات تدرس بعناية وعلى أعلى المستويات. فقد كانت السلطات الإنكليزية الدبلوماسية وغير الدبلوماسية تبذل جهوداً واسعةً لتقوية جانب الحكومة العثمانية في العراق، والقضاء على القوى المؤيدة للمصريين. (٨١)

وكان هناك أمام العثمانيين طريقتان للتخلص من الشيخ صفوك:

١- إرسال حملة كبيرة ضد قبائل شمر وإنزال الضربات المتتالية حتى ترغم على الخضوع للأوامر، وتضطر إلى تسليم الشيخ صفوك إلى والي بغداد تمهيداً لإسناد المشيخة لزعيم متفاهم مع الحكومة.

٢- تدبير مؤامرة توقع بالشيخ صفوك في قبضة رجال الحكومة.

لقد كان الطريق الأول وعراً وغير معروف النتائج، حيث أن الحكومة ومنذ زمن بعيد قد فشلت في السيطرة عسكرياً على أية قبيلة أو عشيرة بدوية، وكانت الحملات الحكومية ضد العشائر الكبرى لا تنتهي إلى انتصار حاسم، وغالباً ما كانت تنتهي بتفاهم بين الطرفين على أساس أن يتنازل كل طرف عن بعض ادعاءاته أو مطالبه، ولكن هذه الظروف الجديدة لم تكن تجدي معها الحلول الوسط، حيث أن وجود المحزم على رأس قبائل شمر كان كفيلاً بان يجعل حكومة بغداد في انزعاج دائم من التعاون بين الشيخ صفوك والقيادة المصرية في الشام. (٨٢)

كان علي رضا يدرك أنه من الضروري أن يتخلص من الشيخ صفوك بالذات. على اعتبار أن غيره من آل محمد (مشايخ شمر) ليس على كفاءته أو قدرته في التفاهم مع القيادة المصرية في الشام، وحيث أن طريق القوة كان لا يحقق أهداف علي رضا فقد عمد إلى أسلوب الخديعة والتآمر، وهو أسلوب مهر فيه علي رضا إلى حد كبير، وأستطاع بوساطته أن يحقق

---

(٨١) . نوار، آل محمد، ص ١٣٧-١٣٨.

(٨٢) . نفسه، ص ١٣٧-١٣٩.

نتائج هامة ما كانت الدولة تستطيع أن تحققها إلا بنفقات مالية كبيرة، وبإسالة دماء غزيرة.

كان القبض على كل من الشيخ صفوك وحليفه محمد بك والي راوندوز صورتين من صور تلك المؤامرات الناجحة التي ابتدأت بمراسلات ومفاوضات، وألوان من الخدع الدبلوماسية التي دبرها علي رضا ضد القوى الوطنية، ومن خلال تعاونه الوثيق مع القائد العثماني رشيد باشا الذي تحرك بقواته من ماردين إلى داخل أرض الجزيرة الفراتية، ومن ثم أعلن رشيد باشا أنه سيخلع على الشيخ صفوك في حفل يقام خصيصاً لذلك، ضمن خديعة مدبرة، وكان الشيخ صفوك في موقف لا يحسد عليه بعد مقتل ابن عمه الشيخ شلاش ومن معه من رجال شمر، وتوطين من عاد منهم، فكان في امس الحاجة إلى هدنة وتعاون مع حكومة بغداد، بعد عزل يحيى باشا الجليلي، وكما تم إلقاء القبض على محمد بك ميركور، ولأجل تضميد جراح شمر ويعيد اليها تماسكها خاصة أولئك الذين كانوا تحت إمرة الشيخ شلاش، بعد أن كسروا أمام قبائل عنزة ة [٨٣]، قبل الشيخ صفوك الدعوة، وما أن ذهب إلى مقر الاحتفال مع نفر قليل من أتباعه حتى القي القبض عليه [٨٤]، لقد كان القبض على الشيخ صفوك حلقة من سلسلة من الموأمرات العديدة المتشابهة التي أدت إلى القبض على محمد بك وعلى عدد من الزعماء الأكراد الوطنيين في حينه.

أرسل هؤلاء جميعاً إلى خربوط تحت حراسة مشددة عام ١٨٣٥م، وبعد وقت قصير نفذ حكم الإعدام في محمد بك، بينما نقل المحزم إلى اسطنبول، وعاش فيها منفياً هو وابنه فرحان ٣ سنوات، وهنا يجدر بنا أن نتساءل: هل كان للإنكليز دور في تلك المؤامرة التي أدت إلى القبض على الشيخ صفوك. [٨٥]

أن السبب الذي جعلنا نلقي بهذا التساؤل هو أنه كانت للدبلوماسي الإنكليزي النشط ريتشارد وود Rideshared Wood قنصل بريطانيا في

---

(٨٣) . نوار، تاريخ العراق الحديث، ص ٨٤.
(٨٤) . نوار، آل محمد، ص ١٣٧-١٣٩.
(٨٥) . نفسه، ص ١٤٠.

حلب [٨٦] دور كبير في إقناع محمد بك بالاستسلام للعثمانيين، وبعدم التمادي في الثورة ضد السلطان العثماني، وكان هدف الإنكليز من وراء ذلك هو تقوية قبضة الحكومة العثمانية على ما تحت يدها حتى تستطيع أن تركز جهودها بعد ذلك ضد الوجود المصري في الشام وشبه الجزيرة العربية، وليصبح ظهرها آمناً عندما يشتبك الجيش العثماني مع الجيش المصري في الشام في الجولة التالية المنتظرة.

لقد كانت لدى الإنكليز مصلحة كبرى في شد أزر الدولة العثمانية ضد الوجود المصري في الشام، أو في شبه الجزيرة العربية، ولهذا كانت السلطات البريطانية معنية كل العناية بان يكون ظهر الجيش العثماني آمناً عندما يخوض المعركة المقبلة ضد المصريين في الشام، هذا فضلاً عن أن تقوية قبضة الحكومة على قبائل شمر بالذات يعين الإنكليز على تنفيذ مشروعهم الكبير بشان استخدام العراق كطريق قصير للمواصلات بين الشرق والغرب، بوساطة تشغيل خط بواخر بين الموانئ الإنكليزية والساحل السوري، وبين أعالي نهر الفرات والخليج العربي والهند.

الملاحظ أن الإنكليز ركزوا في ذلك الوقت عنايتهم بشدة على طريق العراق للربط بين الشرق والغرب، واتجهت الحكومة البريطانية إلى إدخال مشروعها إلى حيز التنفيذ في أعقاب التوسع المصري في الشام، حيث أن هذا التوسع قد أدى إلى أن صار هذا الإقليم طريقاً للمواصلات بين الشرق والغرب عبر كل من الشام ومصر تحت سيطرة حكومة القاهرة، ومن ناحية أخرى كان المشروع الإنكليزي لربط الشرق بالغرب بوساطة خط بواخر يعمل في نهر الفرات لا يخدم هذه الأهداف فقط، بل كذلك كان يمكن الإنكليز من التصدي لأية قوة مصرية تحاول عبور نهر الفرات إلى العراق، حيث أن البواخر التي كانت معدة للعمل في نهر الفرات كانت بواخر مسلحة.

كان تنفيذ كل تلك المشروعات والأهداف الإنكليزية يتطلب الوصول إلى تفاهم مع العشائر الكبرى المسيطرة على الطريق بين الساحل السوري ونهر الفرات، حيث وضعت الخطة على أساس إرسال بواخر مفككة من

---

(٨٦) . نوار، تاريخ العراق الحديث، ص ١٠٥.

إنكلترا إلى الساحل السوري، ومنه إلى نهر الفرات، وهذه العملية لا يمكن لها أن تتم بنجاح إلا بعد الوصول إلى تفاهم مع قبائل شمر، وكذلك مع عنزة، ولهذا عندما أقترب موعد إرسال الباخرتين المعدتين للعمل في نهر الفرات إلى العراق، أرسلت السلطات الإنكليزية إلى العراق اثنين من رجالها العارفين بطبائع العشائر، وهما كريستيان رسام C. Rassam، والمستراليوت Eliot. الذي قال عن الأول قائد البعثة المكلفة باستخدام الباخرتين في نهر الفرات جسني: أنه ينحدر من سلالة عربية، إذ أنه ينتمي إلى عائلة نصرانية من مدينة الموصل، في حين أشار لايارد إلى انه من اصل ارمني، وقد عمل مترجما لدى جسني، وكانت له علاقات طيبة مع الجربا شيوخ شمر. (٨٧)

كل هذه الاستعدادات تؤكد لنا أن الإنكليز كانوا يفضلون وجود شيخ غير الشيخ صفوك على مشيخة شمر، ومن ثم كان القبض على المحزم في هوى الإنكليز، لأنه يزيح عن طريقهم زعيماً صعب المراس، قادراً على تهديد مشروعاتهم بخطورة.

كان الإنكليز في حاجة إلى تفاهم أكيد أيضاً مع عشائر عنزة، حيث أن إنهاء العداء بين هذه العشائر من جهة وقبائل شمر من جهة أخرى كان أمراً ضرورياً لنجاح المشروعات الملاحية الإنكليزية في الفرات، فهل كان من الممكن للإنكليز أن يتوصلوا إلى اتفاق يرضى عنه هذان الخصمان المتعاديان.

لقد كان ذلك عسيراً، ووجود الشيخ صفوك في المشيخة يجعل هذا الأمر أكثر تعقيداً وصعوبة، أما وجود شيخ آخر مكانه، يكون أقل حزما منه وأكثر ليونة، فإنه يمهد الطريق بسهولة أمام الإنكليز.

وكان المرشح الجديد لمشيخة شمر بعد إلقاء القبض على المحزم اخاه الشيخ محمد بن فارس الجربا على هذه الصفات التي تمناها الإنكليز أن يكون عليها، ولعل هذا الحال يفسر لنا جلياً نجاح المفاوضات التي دارت بين المسؤولين الإنكليز وشيخ شمر الجديد بشان عقد صلح دائم بين شمر وعنزة،

---

(٨٧) . نوري كوبي، الطريق إلى نينوى (بغداد: ١٩٩٨م) ص٩٦-٩٧.

فتحدثنا الوثائق الإنكليزية عن أن الإنكليز توصلوا إلى اتفاق يكفل لهم التنقل بين الساحل السوري ونهر الفرات دون أن يتعرضوا لأية هجمات من جانب العشائر، واستطاع جسني Chesney في رحلته على الباخرة الفرات (٨٨) في منتصف عام ١٨٣٦م داخل الأراضي العراقية، بعد غرق باخرته الأولى دجلة على بعد عدة أميال من دير الزور، أثر عاصفة هوجاء، كنتيجة حتمية للتفاهم الذي استطاع أن يحققه جسني مع قبائل شمر وعنزة بعدم التعرض لبواخره، خاصة وان بريطانيا كانت قد حصلت من السلطان العثماني محمود الثاني على فرمان منذ كانون الأول من العام ١٨٣٤م يسمح لها باستخدام نهر الفرات لأغراضها التجارية، فحقق جسني ما كانت تصبو إليه بريطانيا من مشاريع استعمارية في نهر الفرات.



---

(٨٨) . نوار، آل محمد، ص ١٣٦-١٣٨.

الشيخ صفوك ونشأة إمارة آل رشيد الشمرية في حائل

لقد مر بنا أن الشيخ مطلك الجربا الذي كان قد سادت مشيخته على شمر الجبل كلها قد غادر ارض الجبل عام ١٧٩١م، اثر معركة العدوة التي قتل فيها الشيخ مسلط الجربا، ثم الصراع المرير الذي خاضه مع آل سعود وأتباعهم الوهابيين الذين اجتاحوا ارض نجد، لقد بقيت قسم من قبائل شمر وأهل حائل في منطقة الجبل ولم يغادروا مع الشيخ مطلك، بل انضووا تحت راية الأمير سعود بن عبد العزيز الذي عين محمد بن عبد المحسن بن محمد بن عيسى بن علي الملقب بالسمن الرعابي من آل جعفر من عبدة أميرا على حائل ومنطقة الجبل، وبقي حاكماً عليها إلى أن دخلت القوات المصرية ارض نجد وأسقطت الدرعية وحكم آل سعود عام ١٨١٧م، ثم اغتيل محمد بن عبد المحسن من قبل احد رجال إبراهيم باشا[٨٩]، لأنه كان يشك في ولائه للمصريين، على الرغم من أن حائل ومنطقة الجبل لم يعاملها المصريون بقسوة مثلما فعلوا مع الدرعية وبعض مناطق تجد الأخرى، لان أهل الجبل وقفوا على الحياد ثم مالوا إلى المصرين.

صار صالح بن عبد المحسن بن علي حاكماً على حائل بمباركة المصريين، وفي هذه الفترة ظهر عبد الله وعبيد الرشيد من الخليل من آل علي على مسرح الأحداث في حائل، وتزوج عبد الله الرشيد من سلمى بنت محمد بن عبد المحسن، وأصبح عبد الله مسؤولا عن الحجيج الذي يمر في ارض حائل وجبل شمر، ثم حدثت المعارك بين شمر والعواجية من ولد سليمان من عنزة التي انتهت بمعركة ظفرة، التي انتصرت فيها شمر على العواجيه، و شارك فيها عبد الله الرشيد وأخيه عبيد دون موافقة حاكم حائل صالح بن عبد المحسن، مما اضطر عبد الله وعبيد الرشيد أن يخرجوا من حائل مع أختهم نورا بعد أن اشتد الخلاف مع حاكم حائل، الذي خاف على مركزه من هذه القوة الشابة المتمثلة بعبد الله وعبيد الرشيد، والتجأ الأخوان

---

(٨٩) . العريفي، مرجع سابق، ص٧١.

في البداية إلى منطقة جبة عند آل رخيص من شمر، الذي أكرم وفادتهم ثم اتجهوا بعد ذلك إلى العراق بعد أن سهل لهم ابن رخيص امور سفرهم[٩٠] وأرسل معهم الرسائل إلى الجربا شيوخ شمر.

وعند وصولهم إلى هيت على الفرات نزلوا ضيوفاً عند الشيخ سميط الفهد الجربا، لأن الشيخ فهد الجربا والد الشيخ سميط كان قد قاد معركة ظفرة ضد عنزة في نجد، وعبد الله وعبيد من المشاركين فيها، فثمة معرفة قوية كانت تجمع بينهم، فضلا عن كون الجربا بيت المشيخة على عموم شمر، فمكثا عنده فترة من الزمن، وتزوج الشيخ سميط من نورة أخت عبد الله وعبيد الرشيد[٩١]، ثم عاد بعدها عبيد الرشيد إلى جبل شمر في حين اتجه عبد الله إلى الشيخ صفوك الجربا، ومكث عنده فترة من الزمن، وشارك مع شمر في دخولها إلى بغداد، وعندما استحوذت شمر على خزينة السراي التابعة لداؤد باشا قام الشيخ صفوك بإعطاء عبد الله الرشيد كمية كبيرة من الأموال. وأمره أن يتوجه إلى حائل ويحاول أن يكون له سلطة فيها، في الوقت الذي قام فيه الشيخ صفوك بإعلام المصريين عن عبد الله وما ينوي القيام به، لان ارض نجد لازالت في هذا الوقت تحت السيادة المصرية.

عاد عبد الله الرشيد إلى ارض الجبل والتقى بأخيه عبيد ربما في جبه أيضا عند ابن رخيص، فأعلمه أن حائل أصبحت تحت أمرة عيسى بن عبد الله بن علي، وهو تابع للمصريين، وعلم أيضاً أن الأمير تركي بن عبد الله بن سعود الذي كان على الرياض، وهو مطلوب للسلطات المصرية قد قتل من قبل ابن عمه مشاري بن سعود و ذلك سنة ١٨٣٣م[٩٢]، فأتفق عبد الله وعبيد أن يتعاونوا مع الأمير فيصل بن تركي ضد ابن عمه مشاري، فاتجه عبد الله إلى الأمير فيصل وكان في أطراف القطيف، وأهداه قسماً من الأموال التي كان قد جاء بها من العراق، ثم سارا معا نحو الرياض وحاصراها، ثم استطاع عبد الله الرشيد أن يدخل قصر مشاري ويقتله بيده، ومن ثم فتح

---

(٩٠) . العريفي، مرجع سابق، ص٧٨، الرشيد، مرجع سابق، ص٨٨.

(٩١) . الظاهري، مرجع سابق، ص١٤٦، الرشيد، مرجع سابق، ص٦٣.

(٩٢) . احمد عبد الغفور العطار، صقر الجزيرة (مكة: ١٩٤٤م) ص٨٧.

أبواب القصر ودخل الأمير فيصل بن تركي الرياض يوم ١٨/٦/١٨٣٤م[٩٣]، بعد أن كان الأمير عبد الله قد حصل من الأمير فيصل بن تركي على كتاب خطي فيه تولية عبد الله الرشيد على حائل إذا ما استطاع أن يدخل قصر مشاري ويقتله، فتوجه عبد الله إلى حائل مع قوة من الجيش أرسلها معه الأمير فيصل بن تركي، بعد أن أجلسه عبد الله في قصر الرياض مكان أبيه.

وصل عبد الله إلى أطراف حائل فعلم به عيسى بن عبد الله وهدد باستخدام الحامية المصرية الموجودة في حائل، فخاف عبد الله على أهل حائل ودخل المدينة خفية واستطاع أن يأخذ معه زوجه سلمى بنت محمد بن عبد المحسن العلي، وخرج بها مع خادمه حسين الذي أمره عبد الله أن يحمل زوجه بنت العز والدلال على ظهره، لأنها لا تقوى على المسير، وقال عبد الله الرشيد لحسين هذه الأبيات:

ارم النعول لمغزل العين ياحسين واشلك لها من ردن ثوبك ليانه
يا حسين والله ما لها سبت رجلين يا حسين شيب بالضمير هكعانة
جنب حثاث الكاع واضرب لها اللين واقصر خطا رجليك ومشي مشيانة
وان شلتها يا حسين ترى ما بها شين حيث الخوي يا حسين مثل الأمانة[٩٤]

اتجه الأمير عبد الله إلى جبة عند آل رخيص ثانية الذين عرف آل رشيد فضلهم عليهم فيما بعد، وذلك بأن ابن رخيص كان لا يدفع الزكاة لأمير حائل من آل رشيد إلى أن انتهت أمارتهم، وهم معززون مكرمون إذا ما جاءوا إلى ديوان ابن رشيد. [٩٥]

جمع عبد الله وأخيه عبيد قوة كبيرة من شمر ودخلوا حائل عام١٨٣٥م وهرب حاكمها عيسى بن عبد الله متجهاً إلى المصريين في

---

(٩٣) . نفسه، الرشيد، مرجع سابق، ص٦٣، ٨٨، بيرين، مرجع سابق، ص٢٧٣، امين الريحاني، نجد وملحقاته (بيروت: ١٩٨١م) ص٩٣، الخضيري، مرجع سابق، ص٢١٣-٢١٤.

(٩٤) . الخريصي، مرجع سابق، ص٧٥-٧٦.

(٩٥) . نفسه، العريفي، مرجع سابق، ص٧٨.

المدينة المنورة، ليأتي بالقوات ضد عبد الله الرشيد وأخيه عبيد الذي كان له بالمرصاد، إذ لحق به وقتله في أطراف حائل.

استقر الأمير عبد الله على إمارة حائل. واخذ بمسايرة القوة المصرية الموجودة على ارض شبه الجزيرة العربية، وتبادل الرسائل مع خورشيد باشا وقدم للمصريين عام ١٨٣٧م أعدادا كبيرة من الجمال لنقل أحمال الجيش المصري(٩٦)، مما جعل خورشيد باشا الذي وثق بالأمير عبد الله عندما أكد له الأخير انه تحت الراية المصرية، ثم مجي الشيخ صفوك الجربا إلى خورشيد باشا عام ١٨٣٩م ووثق العلاقة بشكل اكبر بين آل رشيد والمصرين، فوضع خورشيد باسا للأمير عبد الله قوة من الجيش المصري مكونة من مئتي فرد كحامية مصرية في حائل، تعمل تحت إمرة الأمير عبد الله الرشيد، وقد بقيت هذه القوة عند ابن رشيد حتى بعد انسحاب القوات المصرية من نجد. (٩٧)

أخذ الأمير عبد الله من حائل يمد سلطانه على كل الأقاليم النجدية التي حوله، في حين أن الأمير فيصل بن تركي كان قد القي القبض عليه من قبل المصريين، وأرسلوه إلى مصر في السنة ذاتها التي أجلسه الأمير عبد الله في قصر الرياض، أي عام ١٨٣٤م، وبقي في مصر إلى العام ١٨٤١م عندما أفرج عنه المصريون، فأتجه إلى الأمير عبد الله في حائل، فسار معه الأمير عبد الله تحت رماح شمر وسيوفها ودخلا الرياض وأجلسه ثانية في قصر الإمارة لآل سعود (٩٨)، فكان للأمير عبد الله الرشيد وشمر الدور الأساس في إعادة الإمارة إلى آل سعود.

---

(٩٦) . لعريفي، مرجع سابق، ص٧٩.

(٩٧) . عبد الرحيم، وثائق شبه الجزيرةالعربية، ص٥٨١، ٦٣٩، بيرين، مرجع سابق، ص٢٨٦.

(٩٨) . دحلان، مرجع سابق، ص٣٤١-٣٥٥، بيرين، مرجع سابق، ص٢٧٣، الخضيري، مرجع سابق، ص٢٣١.

نفي الشيخ صفوك إلى اسطنبول

تم نفي الشيخ صفوك مع إبنه فرحان إلى الآستانة، وأصبح هذا الشيخ الشمري بعيداً عن مضارب شمر، وتحت نظر السلطان العثماني محمود الثاني، ووصف الشيخ صفوك الذي خاض المعارك والصراعات على أرض الجزيرة منذ عام ١٨١٨ م إلى عام ١٨٣٥ م وليمسن الكاتب الأمريكي بقوله: "خلال فترة سبعة عشر عاماً ارتفع الشيخ صفوك بن فارس من زعيم قليل الشأن في عام ١٨١٨م، إلى أن أصبح أقوى شيخ في الجزيرة عام ١٨٣٥م، وقد حكم الشيخ صفوك أجزاء من العراق وسوريا وتركيا الحالية، وكان يشار إليه بسلطان البر، وملك الصحراء، واسمه محل هيبة، وأي أمر له كان ينفذ، وكلمته كانت قانوناً.

لقد كان حامياً للعديد من القبائل العربية الصغيرة، وحليفا قويا لوالي الموصل، وجابي للضرائب في عدد لا يمكن حصره من القرى، والمسيطر على طرق القوافل، ومحارباً مشهوراً، لقد وصل الشيخ صفوك إلى عنفوان قوته بمساندة قبيلة متحدة تعتبره قائداً وشخصية مهيبة". (٩٩)

لقد كان العثمانيون بأمس الحاجة إلى قبائل شمر في صراعهم مع القيادة المصرية، فكان عليهم كسبها إلى جانبهم، ولو حدث أنهم أعدموا شيخها صفوك، فان ذلك سيؤدي إلى عداء مستحكم يمنع من أي تعاون قوي بعد ذلك مع السلطة العثمانية، أما الإبقاء على حياته وإعادته إلى منصبه، فالآمال في تعاونه مع السلطان تصبح محتملة التحقيق. (١٠٠)

وترجع أهمية شمر إلى أن اتصالاتها بالقيادة المصرية في الشام كانت مباشرة، حيث أن ارض الجزيرة العراقية تربط بين العراق والشام.، ومن ثم كان على العثمانيين الأ يثيروا حفيظة هذه العشائر في هذه الظروف، حتى لا تنضم قبائل شمر بأسرها إلى المصريين.، إذ أنه كان من المتعذر على

---

(99) . Williamson, Op. cit, p39-40.
(100) . Ibid, p40-41.

الحكومة العثمانية أن توجه ضربة حاسمة إلى شمر، على شاكلة تلك الضربة التي وجهتها إلى محمد بك ميركور، و إعدام المحزم سيعود بالمشكلات المعقدة، وبالتالي يكون تجنب إعدامه خير للحكومة العثمانية.

ومن ناحية أخرى كان الشيخ صفوك أكثر إدراكاً لمشكلات المنطقة عن غيره من شيوخ العشائر، ومن ثم كان كسبه لجانب السلطان يعطي الحكومة العثمانية إمكانات كبيرة سواءً من حيث الدفاع عن العراق أو الهجوم على الشام.

وإذا ما نجح العثمانيون في كسبه إلى جانبهم، وخاض المعركة المقبلة في صف الجيش العثماني، فان النفقات التي ستنفقها عليه الحكومة ستكون قليلة، حيث أن العشائر تتكفل بنفقات تحركاتها، خاصة وان ميدان المعركة المتوقعة ليس ببعيد جداً عن الجزيرة ومضارب شمر. [١٠١]

كان المسئولون العثمانيون يعتقدون أن إقامة المحزم صفوك فترة مناسبة في العاصمة العثمانية، ومشاهدته روائعها، وزيارته السراي السلطاني الفخم سيغير من نظرته نحو الأتراك العثمانيين، ولهذا كان من الأمور التي عني بها المسئولون الأتراك أن يرى الشيخ صفوك الجربا ما يجعله يحترم الدولة العثمانية، ويشعره بعظمتها، وأتساع ثرواتها، وقدراتها، وان يلقوا في قلبه الخضوع والطاعة للسلطان العثماني. فكان من بين الأماكن التي قام المحزم بزيارتها السراي السلطاني نفسه.

عندما ذهب الشيخ صفوك إلى هناك أبهرته الرياش ومظاهر العظمة والملك، وكان يتلفت يميناً ويساراً على عادة البدوي عندما يؤخذ بمثل هذه المظاهر[١٠٢]، فصار ذلك من دواعي دهشة أكابر رجال السراي، ولكنهم أخفوا مشاعرهم تلك لأنهم كانوا يسعون إلى كسب ثقة هذا الفارس العربي، ويبدو أن مناقشات عديدة دارت بين الشيخ صفوك الجربا والمسؤولين العثمانيين بشان موقفه في المستقبل من الصراع العثماني المصري. [١٠٣]

---

(١٠١) . نوار، آل محمد، ص ١٤٣-١٤٤.
(١٠٢) . العزاوي، عشائر العراق، ج١، ص ١٥٥.
(١٠٣) . الظاهري، مرجع سابق، ص٢٣٤-٢٣٥.

كان الشريف عبد المطلب بن عون شريف مكة قد اتجه منذ العام ١٨٣٠م نحو العراق وتجول في مدنه ومنها بغداد، ثم سافر إلى الشام ومنها إلى اسطنبول [١٠٤]، فكان له الدور الهام في إدخال الشيخ صفوك على السلطان محمود الثاني، وتوسط في إصلاح ذات البين وتقريب وجهات النظر بين الطرفين، والشيخ صفوك الذي كان في أمس الحاجة إلى هذا الصلح ليعود إلى

شمر ومشيخته عليها، وحسب اعتقادنا أن هذه العلاقة المتينة التي تكونت بين الشيخ صفوك والشريف عبد المطلب، تكونت عندما جاء الشريف عبد المطلب إلى العراق وتجول فيه، فربما زار الشيخ صفوك في مضاربه واعيد الماضي القريب من العلاقة الحسنة بين أولاد العمومة شرفاء مكة وال محمد الجربا.

كانت الفترة التي قضى فيها الشيخ صفوك إقامته في الآستانة ما بين ١٨٣٥إلى ١٨٣٨م عصيبة على شمر، تركت أثرها في حياتهم على أرض الجزيرة، وكانت فرصة سانحة لعلي رضا الاز كي يكون مسيطراً سيطرة تامة على شمر، فقام الباشا بتعيين أحد أفراد آل محمد شيخاً على قبائل شمر خلفاً لصفوك الجربا وهو الشيخ محمد الفارس أخو الشيخ صفوك،ولكن الشيخ محمد لم يكن ذا شخصية تماثل شخصية سلطان البر، لذلك لم يستطع أن يسيطر على قبائل شمر، وحدثت بعض الغزوات التي قامت بها بعض القبائل المجاورة ضد شمر، لكنها فشلت في كسر شوكة شمر وقوتها.



السلطان محمود الثاني

---

(١٠٤) . دحلان، مرجع سابق، ص٣٤٨، الظاهري، مرجع سابق، ص٢٣٤-٢٣٥.

حاول الشيخ محمد الفارس أن يعمل على التماسك الداخلي لشمر لحين عودة الشيخ صفوك وابنه فرحان من منفاهما في اسطنبول، واستطاع إلى حد كبير أن يحقق ذلك على الرغم من صغر سنه، وعدم تمكنه من جعل كل القبائل الشمرية تنضوي تحت رايته، وكانت كل من عبده وأسلم والعليان وزوبع تحت قيادة الشيخ محمد الفارس، وتحت لوائه حوالي أثني عشر ألف فارس[١٠٥]، في حين انضوت باقي قبائل شمر تحت راية الشيخ نجرس الزيدان

خلال هذه الفترة من حياة شمر على أرض الجزيرة حدثت غزوة هايس القعيط (أخو سعدة) من الخرصة، على العواجية من عنزة في قلب نجد من أرض الجزيرة العربية، وتعد هذه الغزوة من مآثر النخوة العربية والفروسية الخالدة في ذلك الوقت، إذ أن سعدون العواجي وولديه عقاب وحجاب كانا من فرسان عنزة المشهود لهم في نجد، وصادف أن وقع أحد الشمامرة أسيراً لديهم هو هذلول الشويهري، فأخذ هذا الأسير ينتخي بالجربا شيوخ شمر وفرسانهم، ووصل الخبر إلى هايس القعيط وهو في شمال غرب الجزيرة الفراتية عند منطقة بحرة الهول قرب سنجار، فتجهز هو وابن أخيه كنعان مع ثلة من فرسان الخرصة، وجهز معه الجمال الخاصة لحمل الماء والمتاع (الزماميل)، ويعدون فوق الخمسين واتجه بهم نحو نجد، وهو شيخ كبير، وعند وصوله إلى منازل العواجية من عنزة، وقع في أيدي هايس وفرسانه أحد الشمامرة الذي كان قد التجأ إلى العواجية، فأطلق سراحه بعد أن أخذ عليه العهد أن لا يبلغ العواجية بقدوم شمر، ولكن هذا الشمري أفهم العواجية بقدوم شمر من خلال هذين البيتين عندما أنشدهما في مجلس سعدون العواجي:

يا عقاب بدل ديرتك له ديرة　　إرحل وخلي اللجف ما به مصاريف
يأتيك طيرن من طيور الجزيرة　　قبلك اليا داجن على الشيخ ما شيف[١٠٦]

---

(105) . Williamson, Op. cit, p40-41.

(١٠٦) . من التراث الشعري الشمري.

علمت العواجية من عنزة أن شمر قد جاءتهم غازية، فتجهز عقاب وحجاب مع جمعهم من ولد سليمان ولحقوا بفرسان شمر، وعندما تقابل الفريقان علم هايس القعيط أن الفرسان الذين معه لا قبل لهم بمن مع العواجية من عنزة، فترك جمال المتاع (الزماميل) وابتعد مع فرسانه، فقامت عنزة بأخذ المتاع وقتل الرجال الذين كانوا مع الجمال، ثم لحق عقاب وحجاب مع فرسانهم بهايس وفرسانه من شمر، فحدثت معركة ضارية استمرت لبضعة أيام في طراد بينهم كان النصر في نهايتها لشمر مع هايس، بعد أن قتل عقاب وحجاب وهما من خيرة فرسان عنزة، وأخذ هايس بثأر الشمري الأسير هذلول الشويهري الذي قتله العواجية، وعاد إلى أرض الجزيرة الفراتية منتصراً، وأصبحت هذه المعركة مضرب المثل عند أهل البادية في النخوة والفروسية.

وأرخها التبيناوي من قواصيد البدو بهذه الأبيات:

عودن عدا بس بالزماميل والخيل ... يدور مقاتيص بغرات ألأجناب
بأول زمانه عذب الكنس الحيل ... وخبط بيمناه البحر عقب ما شاب
راح النذير وفزع النزل بالليل ... والخيل ركبت ما جلا يبها ألأداب
وتوافقوا بالطعن بحد الغراميل ... متكاظبين مثل ابا زيد وذياب
غربي زبارا وريج مثل الهماليل ... وانشبت احراب القوم بكطي ألأصحاب
وتعاودوا للهوش ربعن مثاجيل ... حماية الساكة عريبين ألأنساب
وردو صادو فارسٍ يرعب الخيل ... يوي صيده يوم جابته ألأسباب
جان نوت تزعجٍ الصوت بالحيل ... لعيون هيفا نردع الشيخ بحجاب
حريمهم تصرخ صريخ المحاحيل ... جاهن عليمن بأول الخيل ما طاب
وحريمنا لجن بزين الهلاهيل ... متوكدات من شلعة الحر لعقاب
يا ضبيب لو ذبحت كل الزماميل ... ذبحت دخيل البيت ما تفتح الباب
اربع ليالي ما لقوه المراسيل ... عليت خدٍ كوح العصر بتراب
دنياك هذه يالعواجي غرابيل ... من شق جيب للناس شقوله اجياب[١٠٧]

---

(١٠٧) . نفسه.

الصدام العثماني المصري وعودة الشيخ صفوك

أفرج العثمانيون عن الشيخ صفوك قبيل وقوع معركة نزيب عام ١٨٣٨م وعاد الى مشيخته. بعد أن وافق عن مضض على الدخول في المعركة إلى جانب العثمانيين، فقام بإعداد رجاله للمشاركة في المعركة المقبلة. والمعروف أنه في أوائل ١٨٣٩م كان الجيش العثماني قد أخذ يستفز القوات المصرية في شمال الشام، ثم عبرت القوات العثمانية نهر الفرات، وأصبح من الضروري خوض معركة حاسمة بين الطرفين، وأضحى الشيخ صفوك من اكبر زعماء القبائل الذين يساندون العثمانيين في معركتهم ضد الجيش المصري.

كان من الطبيعي أن تراقب القيادة المصرية كل تلك التحركات. وغيرها من التحركات التي تهدد الجيش المصري في الشام، وكانت التهديدات الموجهة إلى المصريين قوية من جانب العراق، فقد كان والي الموصل العثماني (محمد أنجه بيرقدار) على رأس بعض الكتائب التي عبرت نهر الفرات إلى ضفته الغربية، كما كانت هناك الشائعات القوية التي تردد أن علي رضا باشا سيقود قوة كبيرة ينضم بها مع الجيش العثماني الذي كان بقيادة حافظ باشا.

جاءت الأنباء إلى القيادة المصرية أن قبائل شمر بقيادة الشيخ صفوك ستنتشر على طول المنطقة الممتدة بين حماة ودير الزور، ولو القينا نظرة سريعة على هذه المنطقة التي قيل أن الشيخ صفوك سيتولى أمرها، لوجدناها تلائم حرب الصحراء التي كانت تتقنها قبائل شمر، وأغلب الظن أن الخطة العثمانية وضعت على أساس أن تعمل العشائر العربية وراء خطوط مواصلات الجيش المصري منطلقة من قواعدها الصحراوية.

يبدو أن القيادة العثمانية كانت قد عولت كثيراً على ما سيقدمه الشيخ صفوك من مجهودات عسكرية، حيث أن حافظ باشا القائد العام للجيش العثماني بعث ابنه ليكون مع الشيخ صفوك الجربا في تلك الجهات.

وتشير التقارير العديدة التي تلقتها القيادة المصرية عن تحركات قوات شمر، إلى أن هذه القيادة كانت قد أولت عناية كبيرة جداً لتحركات شمر، وهذا يرجع إلى أن عيون المصريين في العراق كتبوا يقولون أن هذه القوات العشائرية هي أخطر ما في العراق من القوات الضاربة، وان ما لدى علي رضا باشا والي بغداد من قوات ليست سوى قوات من المرتزقة (الباشيورق)، أما شمر فكانت كثيرة العدد سريعة الحركة، قادرة على إنزال خسائر كبيرة في الجيش المصري وسط الشام، في الوقت الذي يكون فيه الجيش المصري منشغلاً بالمعركة، وقد وصفت القيادة المصرية خطورة التحركات الشمرية بشكل دقيق عندما قالت: أن تلك العشائر لو انطلقت من نهر الفرات صوب الشام فإنها ستحول المنطقة الممتدة من المعرة إلى الشام خراباً. (١٠٨)

إن هذا التحول في موقف الشيخ صفوك من القيادة المصرية كان ظاهريا. لأنه بعد أن عاد في نهاية عام ١٨٣٨م (١٠٩) كان بحاجة إلى أن يسايس العثمانيين، فقام بهذه التحركات ضد القيادة المصرية التي كان حليفا لها في يوم من الأيام، وتخلت عنه ولم تفِ بوعودها في تحرير العراق من السيطرة العثمانية، ومساندة الشيخ صفوك في خلافه مع علي رضا باشا قبل اعتقاله.

لقد كان انتقال القوات الشمرية من الجزيرة العراقية إلى ضفاف نهر الفرات أمراً يسيراً، حيث أنها كانت تسير في طرق صحراوية اعتادت على مثيلاتها، ولكن لكي تنتقل هذه القوات إلى الضفة الغربية عبر نهر الفرات كان لا بد لها من استخدام عدد من السفن، فطلب الشيخ صفوك من حافظ باشا القائد العام القوات العثمانية أن يزوده بالسفن اللازمة لنقل قواته، ولكن حافظ باشا اعتذر له بان جميع السفن التي كانت تحت يده منهمكة في نقل الجيش الرئيس من ضفة نهر الفرات الشرقية إلى ضفته الغربية، فأضطر الشيخ صفوك إلى الانتظار بعض الوقت حتى يتمكن من نقل قواته إلى الضفة الأخرى للنهر.

---

(108) . Williamson, Op. cit, p40-41.

(١٠٩) . عبد الرحيم، من وثائق شبه الجزيرة العربية، ص ٦٣٨ – ٦٣٩.

كان على القيادة المصرية في الشام أن تواجه قوات شمر بقوة كافية لردها إذا ما هاجمت منطقة حماة، وكان في حماة حين ذاك لوائين من الفرسان، وبسبب توقع هجوم شمري على حماة فقد تقرر عدم اشتراك هذين اللوائين في المعركة المقبلة. بل صدرت إليهما الأوامر بعدم التحرك من حماة والدفاع عنها.

وحيث أن التقارير الواردة إلى القيادة المصرية عن تحركات شمر كانت مضطربة، وكانت هناك إشاعات عن أن الشيخ صفوك قد لا يشترك في المعركة المقبلة، فان المسئولين في القاهرة تباطؤا في إرسال القوات التي طلبها إبراهيم. باشا، ثم لم تلبث التقارير وأكدت أن الشيخ صفوك عبر نهر الفرات بقواته صوب نصيبين، وأصبح على المسؤولين في القاهرة تدارك الأمر بسرعة، فأرسلوا على جناح السرعة اللواء الحادي والثلاثين إلى الشام ومعه بطاريتي مدافع وقوات عشائرية مصرية. (١١٠)

جاءت هذه التعزيزات على اثر ما جاء في نص فرمان سلطاني أرسله السلطان محمود الثاني إلى واليه على الشام وفيه: **أن الشيخ صفوك الجربا وصل الخابور جامعاً جموعاً كالجراد منتشرة، قد ملأ الفضاء والبر، وجمع هذه القوات التي تربوا على اربعين ألف مقاتل لنصرت القوات العثمانية ضد القوات المصرية.** (١١١)

وعلى أي حال كانت قبائل شمر أداة من أدوات تشتيت المجهودات الحربية المصرية، ولكن المعركة الحاسمة التي كانت ستقرر مصير المنطقة هي تلك التي كان يستعد لها الجيشان المصري والعثماني بالقرب من نزيب، ولقد دارت المعركة فعلاً في ٩ حزيران ١٨٣٩م وانتهت باندحار شامل للجيش العثماني ونصر حاسم للقوات المصرية.

وخلال هذه المعركة كانت قبائل شمر قد أصبحت على مقربة منها، وشاهد رجال شمر الذين ألبِسوا الطرابيش الحمر ليظهروا وكأنهم جزء من

---

(١١٠) . نولر، آل محمد، ص ١٤٤.

(١١١) . نفسه، ص ١٤٤-١٤٦.

الجيش العثماني، مع قبائل السبعة والفدعان من عنزة. [112] كيف نزلت الهزيمة الحاسمة بالعثمانيين، وأغلب الظن أن الشيخ صفوك لم يلق بقواته في المعركة لموقفه المبدئي من العثمانيين، وللتعاون السابق له مع القيادة المصرية، ولكن موقفه بعدها أصبح حرجاً، فهو من وجهة نظر القيادة المصرية المنتصرة كان مع جيش العدو، ومن ثم فيجب مطاردته هو الآخر، وفعلاً وجهت القيادة المصرية ضد شمر قوة من العشائر التي جاءت من مصر لغرض مقاتلة العشائر الموالية للعثمانيين..

كان الشيخ صفوك قد أدرك أن لا قبل له بالتصدي للجيش المصري المنتصر، فأنسحب بقواته مسرعاً تاركاً دواب شمر لدى بعض العشائر المخلصة له، ولما لم تجد القوات المصرية أثراً لشمر أنزلت العقاب بالعشائر التي أخفت دواب شمر لديها، وكان طبيعياً أن تكون المطاردة محدودة الأهداف حيث أن الحكومة المصرية كانت لا تفكر في مد سيطرتها على العراق، مما اضطر الشيخ صفوك للذهاب إلى خورشيد باشا بن محمد علي وواليه على الجزيرة العربية، والتقى به في شهر آب من عام ١٩٣٩م وأزال اللبس الذي صار لدى القيادة المصرية تجاهه وتجاه شمر التي تحت إمرته. [113]، كما أن الشيخ صغوك أعاد الهجوم على العشائر المصرية من قبائل الهنادي واعاد منها اموال شمر التي كانت نهبتها، وذلك في عام ١٨٤٠م ودفع بهذه العشائر إلى شمال الاراضي السورية. [114]

تعتبر الفترة الواقعة ما بين ١٨٣٩و١٨٤٢ م فترة تحول خطيرة في تأريخ المشرق العربي، فقد أدت هزيمة العثمانيين في نزيب إلى إقناع الحكومة العثمانية بأنها لن تستطيع التغلب على المصريين إلا بالتعاون مع القوى الأوربية الكبرى، وكانت إنكلترا مستعدة للتدخل لصالح السلطان العثماني ضد مصالح مصر الفتية، حتى تضمن لنفسها اليد العليا في المشرق العربي، وفعلاً تدخلت الدول الكبرى بتوجيه من إنكلترا وفرضت على مصر الانسحاب من الشام، ومن شبه الجزيرة العربية، وترتب على انسحاب

---

(١١٢) . نوار، تاريخ العراق الحديث، ص ٢٠٦.

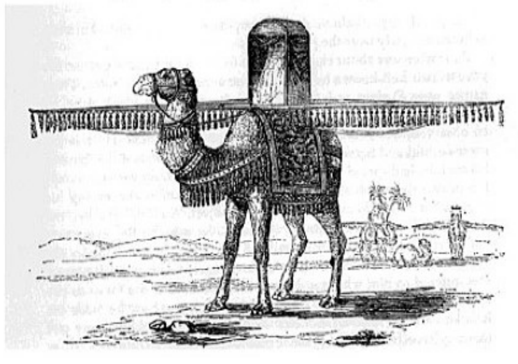
(١١٣) . عبد الرحيم، وثائق شبه الجزيرة، ص٦٣٩.

(١١٤) . لوبنهايم، رحلتي، ج٢، ص٨٥.

المصريين من المشرق العربي أن تفرغت الحكومة العثمانية إلى حد كبير لتحقيق سيطرتها على ولاياتها العربية عن طريق القضاء على العصبيات المحلية فيها، وتولى تنفيذ هذه السياسة في العراق نجيب باشا والي بغداد الذي خلف علي رضا الاز في عام ١٨٤٢م وأستمر متعاقبا على هذا المنصب حتى العام ١٨٤٧م. (١١٥)

عندما عاد الشيخ صفوك إلى شمر والزعامة لها في نهاية عام ١٨٣٨م، لم يجد تلك القبيلة الموحدة التي تركها في بداية عام ١٨٣٥م، عاد الشيخ صفوك إلى شمر تحت الراية السلطانية في مواجهة القوات المصرية التي فقد الشيخ صفوك ثقته بها، لأنه رأى فيها أنها لم تكن صادقة في الأهداف التي نادت بها، ولم تتوجه لتخليص العراق من السيطرة العثمانية، بعد أن قضى في الآستانة حوالي ثلاث سنوات، واتفق مع العثمانيين أن يقدم لهم ثمانية آلاف جمل، وألف رأس من الخيل للمجهود الحربي العثماني لمقاومة المصريين، ولكن الشيخ صفوك في الحقيقة لم يستطع أن يقدم كل هذا العدد للقيادة العثمانية. (١١٦)

عاد الشيخ الجليل إلى شمر مع ابنه فرحان الذي أثرت فيه حياة المدنية، وتعلم التركية. وذهب إلى المدارس العثمانية، واصبح شغوفاً بالحياة المدنية ومحاولاً أن يزاوج بينها وبين حياة البداوة التي عاشها مع شمر، التي سوف تترك أثرها على سياسته عندما تصير المشيخة إليه بعد وفاة والده كما سيمر بنا.



عطفة شمر كما رسمها لايارد

(١١٥) . نولر، آل محمد، ص١٤٤-١٤٥.

(١١٦) . عبد الرحيم، من وثائق شبه الجزيرة العربية، ص ٦٣٩.

السلطات العثمانية وشمر ١٨٤٠-١٨٤٥م

خلال السنوات القليلة التالية تراوحت علاقات شمّر والحكومة بين الصداقة الأكيدة والعداء الصريح، فقد حاول الشيخ صفوك بين ١٨٤٠ و١٨٤٥م، أن يستعيد مكانته السابقة كأقوى زعيم قبلي في الجزيرة التي اهتز مركزها إقامته الإجبارية في اسطنبول وما رافق عودته من أحداث، ولكن وبمرور الوقت واجه هذا الزعيم العربي صعوبة متزايدةً في السيطرة على هذا التجمع القبلي الذي كان عدد أفراده ما بين ٣٥ و٥٠ ألف نسمة، وما انضوى تحت لواء شمر من قبائل بدوية وريفية حوالي ٦٥ ألف نسمة [١١٧]، وفي استخدام نفوذه المعتاد لدى الحكومة المركزية.

ساهمت ثلاثة عوامل في إضعاف السلطة المطلقة والجاذبية الشخصية لزعيم شمر الأكبر ولو بشكل محدود:

أولا: أن الشيخ صفوك لم يستطع الاستمرار كزعيم لشمر قوي السلطة بلا منازع، فقد ظهرت زعامات من داخل آل محمد نافسته على الرئاسة المتمثلة بمشيخة الشيخ نجرس الزيدان (راعي درعه).

ثانيا: حصلت مجاعة شديدة لشمر بين عامي ١٨٤٥و١٨٤٦ م، بشكل عام، استنزفت الثروة الشخصية للشيخ صفوك، مما تركت أثرا واضحاً على الوضع المادي للشيخ صفوك.

ثالثاً: ازدياد القوة العسكرية للدولة العثمانية. وما حاولت أن تمارسه حكومة بغداد للسيطرة على شمر، ولعل ما قام به الوالي نجيب باشا من تدخل في شؤون القبائل مثالاً على قوة العثمانيين المتزايدة في الجزيرة [١١٨]، ورغم انشغال شمر في غارات ثانوية بين عامي ١٨٤٠و١٨٤٣م إلا أن الشيخ صفوك ظل عموماً خارج التيار الرئيس للشؤون الإقليمية، وقد أسهم

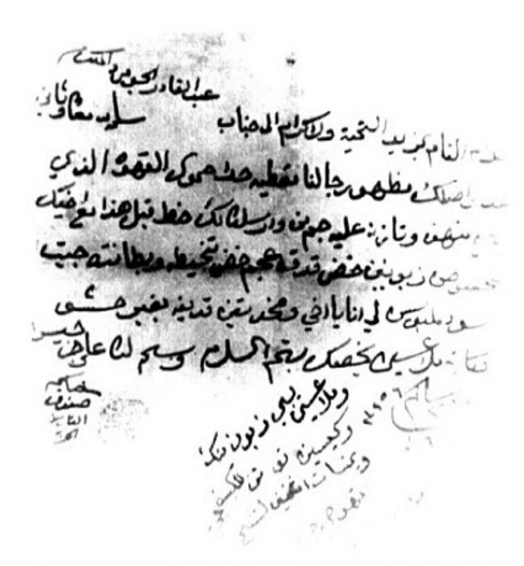
---

(١١٧) . نوار، تاريخ العراق الحديث، ص ١٥٠.

(118) . Williamson, Op. cit, p44-45.

التآمر السياسي بين باشوات بغداد والموصل كثيراً في التوتر المتزايد في علاقات الحكومة وشمر.

بدأت المتاعب بين علي رضا باشا الاز في بغداد، وباشا الموصل حول مسألة السماح للشيخ صفوك بان يستمر في حكم منطقة عانة على نهر الفرات، من عدمه، وكان الشيخ صفوك في الأصل قد أعطي عانة كمكافأة له على موقفه المشرف من الغزو الإيراني القاجاري لأرض العراق أيام داؤد باشا، إذ حاول باشا الموصل احتجاز الشيخ صفوك في الموصل واعتقاله، لإرغامه على التخلي عن عانه، لكن الشيخ صفوك تمكن من الخروج من الموصل في نفس أليلة. إذ قام التاجر عبد القادر الجومرد وأولاده الذين كانت لهم نسابة مع عمر آغا التفكجي المسؤول عن الشرطة بمعاونة الشيخ صفوك، واستطاعوا أن ينزلونه لبلاً من على سور المدينة قرب باب سنجار، بعد أن كانوا قد هيؤا له حصاناً سبوقا خارج السور، واستطاع الشيخ صفوك الفرار بوساطته.



رسالة الشيخ صفوك إلى التاجر عبد القادر الجومرد عام ١٨٤٠م

جاءت معاونة آل الجومرد للشيخ صفوك للعلاقة القوية بينهم كما بينت الرسالة في أدناه المرسلة من الشيخ صفوك الجربا إلى التاجر عبد القادر الجومرد، الذي كانت علاقته بالشيخ صفوك قد بدأت عندما كان الجومرد قادماً من حلب ومعه تجارة كبيرة، وأراد قطاع الطرق التعرض لها، فكان أن تواجد الشيخ صفوك مع جمع من شمر في مكان تواجد القافلة، فقام الشيخ صفوك على الفور بحماية القافلة التي كانت تحمل من ضمن أحمالها كمية من الذهب، وأرسل خمسين فارساً لحمايتها حتى وصلت سالمة إلى الموصل. (١١٩)

كان علي رضا باشا قد وافق مرغما أن يترك للشيخ صفوك وظيفة إدارةعانه، إلا أن باشا الموصل الذي كان يريد عانة لنفسه أحتج بشدة ضد هذا القرار، وبعد مناقشة طويلة أقنع علي رضا الشيخ صفوك في نهاية عام ١٨٤١ أو أوائل ١٨٤٢م بترك إدارة عانة، وأعطي بدلا منها أراضي على نهر الدجيل(١٢٠)، ورداً على ذلك قام الشيخ صفوك بشن غارات عديدة قرب نهر الخابور، كما وواجه زعيم شمر صعوبات أخرى بمحاولة عدة قبائل تابعة له أن تتهرب من دفع الخوه لشمر، كما أرسل الشيخ فرحان إلى بغداد ليصل إلى تسوية مع نجيب باشا الوالي الجديد على بغداد أملاً منه في الاحتفاظ بولاء هذه القبائل، ثم عاد إلى منطقة الموصل ليلتقي مع تلك القبائل ويعمل على ضبطها، وفي تشرين الثاني من عام ١٨٤٣م جدد نامق باشا الحاكم الجديد لولاية بغداد تعيين الشيخ صفوك زعيماً أكبر لشمر امام السلطة العثمانية.

قاد المحزم حملة ناجحة ضد عنزة بالقرب من حران في آيار ١٨٤٤م ضمن الصراع الطويل بين الفريقين على الغنيمة والطمع في مراعي وحمى شمر، وبقيت شمر مستبسلة في الدفاع عن مراعيها وحماها، في الوقت الذي وقفت الحكومة موقفاً عدائياً من الشيخ صفوك، ففي عام ١٨٤٤م عين نامق باشا رسميا شيخاً منافساً للشيخ صفوك هو الشيخ نجرس الزيدان الذي كان قد

---

(١١٩) . د عبد الجبار الجومرد، مذكرات الدكتور عبد الجبار الجومرد، مخطوط لدى ولده الدكتور جزيل الجومرد، اطلع عليها الباحث، ورقة ١٠.

(١٢٠) . لوريمر، مرجع سابق، ج١، ص١٩٤٠.

أعلن نفسه شيخا على شمر منذ أن نفي الشيخ صفوك إلى استنبول، وبذلك نقض والي بغداد تعهده للشيخ صفوك، فحاول المحزم أن ينهي هذا التحدي لمكانته كقائد لشمر بان يعيد إقامة علاقات الصداقة مع حاكم بغداد[١٢١]، وهذا الأسلوب ليس جديدا على الحكام العثمانيين في بث الفرقة داخل شمر من خلال خلق زعامات داخل بيت المشيخة، ليكونوا منافسين للزعيم الذي انتخبته شمر لنفسها، عندما لا يكون الزعيم على هوى الساسة العثمانيين على الدوام أمثال الشيخ صفوك الجربا.

لم يمض وقت طويل حتى حانت الفرصة لزعيم شمر الراغب في استعادة مساندة الحكومة له، ففي صيف ١٨٤٤م قامت عنزة التي اضطرت إلى مغادرة ديارها نتيجة لحريق مدمر، بمحاولة غزو الجزيرة بحثاً عن أراضي للرعي، وبعد أن وجدت الحشائش اللازمة لحيواناتها، بدأت تقوم بغارات فيما بين بغداد والموصل، وطلب كل من نجيب باشا ومحمد شريف باشا حاكم الموصل المساعدة من شمر لوقف غارات عنزة، فوافق الشيخ صفوك على عرض الحكومة. وذهب إلى القتال ومعه ألف من محاربي شمر، وأخيراً واجهت شمر قوة من عنزة تقدر ٢٠ ألف محارب، تحت قيادة الشيخ دهام بن غبين إلى الشمال الغربي من الموصل.، وبمساعدة عدد من الفرسان الأكراد بقيادة بدر خان بك البوتاني (١٨٠٣-١٨٦٩م) التي كانت في تحالف قوي مع شمر، استطاعت شمر أن تهزم عنزة وتدفع بقوتها الأكثر عدداً نحو الجنوب في اتجاه تلعفر وأسكي موصل.

بعد سلسلة من الاتصالات حاول خلالها دهام بن غبين أن يحسن من علاقاته مع حاكم الموصل، استؤنف القتال بين قبائل عنزة وشمر في خريف عام١٨٤٤م. وبعد عدة معارك حاسمة لصالح شمر وشيخها صفوك عادت عنزة إلى نهب المنطقة الريفية المحيطة بالموصل في نهاية عام ١٨٤٤م وأوائل عام ١٨٤٥م، شعر بعدها دهام بن غبين أن قبيلته تواجه نزاعات أكبر منها، فوافق على شروط الصلح مع الحكومة التي قضت بعودة عنزة إلى الصحراء السورية، وبدفع إتاوة تتكون من ١٥ ألف رأس من الغنم، وما يزيد عن ٣ آلاف جمل و٨ آلاف فرس.

---

(121) . Williamson, Op. cit, p44-45.

لكن اتفاقية السلام هذه لم تنه الصراع الطويل الأمد بين شمر وعنزة، لان هذا الاتفاق لا يحكم قوانين الصحراء ونظام الغزو القبلي، وعليه فقد هاجمت شمر عنزة أثناء عبورها نهر الفرات، واستولت على ٧ آلاف من أغنامها، فرد دهام بن غبين على هذه الهزيمة التي منيت بها عنزة التي باركها العثمانيون، بالقيام بغارات على امتداد نهر الزاب الأصغر، وأخيراً قامت شمر بعد معارك طاحنة بدفع عنزة من ولاية بغداد إلى الصحراء السورية في نهاية عام ١٨٤٥م، بعد أن حققت عليها انتصارا حاسما. (١٢٢)

لقد كانت هذه المعارك بين شمر وعنزة من صدامات الغزو الفاصلة التي سجلها التأريخ القبلي في الجزيرة، وتعرف أحداثها بين البدو (بالسبع أكوان) أي المعارك السبعة، وارخ القصيد البدوي بطولات شمر وشيخها صفوك من خلال العديد من القصائد والأبيات الشعرية، ومنها قصيدة لردهان بن عنكا في السبع كوان:

دن الرحايل وأرتحل يا أبن كيشون	ذودك مع المسبوك مثل الجلابه
ومن الحفا خلى عبيده يتصاكون	والحقهم ابن كويخ تدعك ارجابه
وشرب المعجل جنهم شرب غليون	والآ اهل الحرة نهبهم انهابه
وأكفى جما الهزير يمشي على الهون	كثرحنين الخلج وشتت اذهابه
من فوك حمرا جنها عين مجنون	تزهى بجديد اللبس ما هي هلابه
خريصات عوجان الطلايب يعيون	جبيلهم منهم يعاف الطلابه
أمضى من المصري على الحرب يمضون	واقطع من الهندي دلك من اكرابه
وان روحوا من عقب طاعن ومطعون	عي الردي منهم يوري صوابه(١٢٣)

(122) . Ibid, p42 -43.

(١٢٣) . من التراث الشعري الشمري.

ومما قاله ردهان بن عنكا في الشيخ صفوك:

يــا راكــبن ملحــا طــويلن ســنامه	اليــا شــف بــالي مــن طــويلات ألأبــواع
يــا راكبــة كــرب عليهــا المســاما	مــع جربــة مــاء علــى الكبــد نقــاع
ملفــاك أبــو فرحــان عــز الجهامــه	الشــيخ الــي للمخاســير فــداع
شــمر جــزورن والســيافا ســنامه	عــزي الشــيخٍ فاختــه ذيــب ألأقطــاع
يــامن خبــر شــيخن يفلــش احزامــه	يبيــع تســع اجمــوع بحصــان هــزاع
لا يعجبــك شــمران قلــب النعامــه	وحيــدن مــا ينفعــك اليــا جــاك فــزاع
هــايس بعيــد العلــم حــامي الجهامــه	يفــرح بــه المضــيوم اليــا جــا و فــزاع[١٢٤]



---

(١٢٤) . نفسه.

العثمانيون ومقتل الشيخ صفوك

أنشغل الشيخ صفوك وشمر في أوائل ١٨٤٦م في عدة غزوات وقعت أخطرها في تلال سنجار، حيث قتلت شمر زعيماً يزيدياً مع ٨ من محاربيه، بالرغم من متانة العلاقة بين شمر والطائفة اليزيدية. خاصة على عهد الشيخ صفوك، ويبدو أن المحزم استخدم هذه الغارات لتوكيد سلطته المطلقة على ارض الجزيرة الفراتية، وليؤكد لجميع الأطراف الذين حوله انه الزعيم القوي المهاب لشمر، ومن يتبعها من القبائل، ومع ذلك، ففي خلال ١٢ شهراً التالية كان زعيم الصحراء الذي لا يزال قوياً يرقد مقتولاً غدرا على يد قائد عثماني مأجور.

وسنحاول في السطور الأتية توضيح ما حدث للشيخ صفوك، وكنقطة بداية فقد كان شيخ شمر رجلاً يقدر نفسه تقديراً عالياً جداً، ويعد نفسه شخصيةً قوية وهامة، وعمل على الاحتفاظ بالمكانة التي تمتع بها في العشرينات والثلاثينات من القرن التاسع عشر، ويبدو أيضاً أنه كان يستاء طبعا من أي تعد على امتيازاته الشخصية كزعيم بدوي، وتمشياً مع ذلك رفض أن يخضع سواءً لرغبات قبيلته التي كانت لا تتماشى مع مثلها وقيمها أو للحكومة. وقد نشأ هذا الرفض بلاشك من حقيقة أن الشيخ صفوك كان يقدر بوضوح القوة التي كانت عليها شمر كسيدة للجزيرة بلا منازع، وبالتالي لم يستطع المحزم أن يتكيف مع تدخل الحكومة في شؤون القبائل.

خاصة وأنه كان يقود تجمعاً قبلياً أبى أن يكون تحت سلطة آل سعود عندما كان في نجد، وكذلك أبى أن تتدخل السلطات العثمانية عندما رحلت شمر إلى ارض الجزيرة الفراتية، وكانت قبائل شمر تتكاتف دائماً ضد التدخلات العثمانية في شؤونها الداخلية، ووجد الشيخ صفوك في التوسع المصري فرصة لتحقيق هدفه للاستقلال بتلك الجهات، ولكن تفوقت

الدبلوماسية العثمانية على الخطط السريعة التي كان يضعها وينفذها الشيخ صفوك لتنفيذ حلمه النبيل. [١٢٥]

أصبحت حقائق الحياة في الجزيرة في عام١٨٤٦م لا تتلائم مع مفهوم الشيخ صفوك عن قوة شمر ودوره هو بالذات كزعيم أكبر للقبيلة، وتغيرت الظروف السياسية والاقتصادية في الجزيرة في العشرينات والثلاثينات، ويأتي في مقدمة هذه التغيرات الوجود الإداري العثماني المتزايد الذي زاد من الضرائب على سكان الريف والحضر والبدو في الجزيرة، [١٢٦]وصاحبها زيادة في الرشاوي والعقوبات الإدارية، وقد منعت هذه النفقات المرتفعة الشيخ صفوك من الحفاظ على أسلوب حياته المعتاد كزعيم بدوي عظيم، لأنه كان عليه أن يدفع ما يتوجب عليه وعلى شمر من ضرائب للدولة، وبالتالي تأثرنفوذه بين قبائل شمر المختلفة نوعا ما نتيجة لهذه الضرائب، فضلا عن محاولات السلطة العثمانية المتكررة لتقويض سلطة الشيخ صفوك من خلال خلق المنافس له الواحد تلو الأخر على رئاسة شمر من داخل بيت آل محمد.

خلال الأربعينات من القرن التاسع عشر مارس الجيش العثماني نفوذاً متزايداً في اقليم الجزيرة، من خلال حملاته الفعالة ضد الدويلات الكردية شرق الموصل، وعلى الرغم من انه لم يكن أبداً هدفاً مباشراً لهذه القوة الجديدة، إلا أن الشيخ صفوك كان يخشى بوضوح نموها، وسعى إلى تدميرها بغزواته المتفرقة عليها أو على من بحمايتها من القبائل في الأعوام ١٨٤٦و١٨٤٧م، محاولا بذكائه المعهود إبقاء شمر خارج سطوة العصا العثمانية

كانت مجاعة عام ١٨٤٤م الشديدة التي دامت سنتين، قد أعاقت الشيخ صفوك عن تحقيق طموحاته وتقوية سلطاته، لقد حرمت المجاعة الشيخ من ثروته الضخمة التي كان يملكها، واضطرته هذه المجاعة التي ضربت ارض العراق وبلاد الشام. ومنها بالطبع ارض الجزيرة الفراتية إلى بيع مجوهرات نسائه الخاصة وماشيته كما ذكر ذلك لايارد كي يشتري الحبوب والطعام لهذا

---

(١٢٥) . نوار، تاريخ العراق الحديث، ص ٤٧١.

(126) . Williamson, Op. cit, p42-43.

التجمع القبلي الضخم(١٢٧)، مع بيعه لعدد من خيوله الأصيلة إذ انه كان يملك سلالة الصقلاوي من هذه الخيل (١٢٨)، وهذه من أنبل صفات هذا المحمدي الكريم الذي أبت نفسه الكريمة أن يترك أعداءه عنزة في هذه المحنة العصيبة، فضلا عن أهله شمر، ولعل ما قاله العنزي الذي أتاه مع جموع من عنزة وقد ضاقت بهم السبل، وكاد الجوع يقضي عليه وعلى من معه، بعد أن طرقوا أبواب شيوخ عنزة ولم يلقوا عندهم ما يشبع جوعهم وجوع عيالهم، أتوا إلى الشيخ صفوك الذي اكتال لهم حتى أشبعهم، فقال فيه هذه الأبيات: (١٢٩)

جينا من النكره نبي خشم سنجار وجيناك يا عز الغريب المجنا
ياطير يالي لبرك الريش عفار دونك اديارك منتوين وطنا
يا مجيل تسع اجموع بالموسم الحار يومن مير اشيوخنا دس عنا
من عند رجل اشيج أليا مصفط الكار ترى ما بقى به موجد النار منا
مار المسعدة آللي بين فردة والمرار وهذاك اللي بحياته تهنا

فضلاً عما كان يمثله الشيخ نجرس الزيدان راعي درعه شيخ شمر المنافس، والذي ساندته الحكومة من شوكة في الظهر، وتحدياً قوياً للشيخ صفوك في ظل هذه الظروف العصيبة على شمر وشيخها. (١٣٠)

خلال شهر نيسان من عام ١٨٤٦م قام جراح المقيمية البريطانية في بغداد لايارد بزيارة إلى مضارب الشيخ صفوك، وذلك عندما كان لايارد يقوم بالتنقيب عن الآثار في منطقة النمرود، مع عدد من أصدقائه ومن بينهم كرستيان وهرمز رسام، وعدد من تجار الموصل، وقد بلغ موكبه ٤٠ شخصا الذين أتى بهم إلى الشيخ صفوك، ونزلوا ضيوفا عند المحزم الذي عاملهم بأعلى درجات الاحترام والكرم، كما اشار إلى ذلك لايارد نفسه، وهذا ليس

(127) . Ibid, p44.

(١٢٨) بلنت، قبائل الفرات، ص٢٢٢.

(١٢٩) . من التراث الشعري الشمري.

(130) . Williamson, Op. cit, p44.

غريبا على هذا البيت الكريم، على الرغم من الظرف المالي الصعب الذي كان يمر به الشيخ صفوك، نتيجة المجاعة الشديدة التي فتكت بهذه المنطقة من أراضي الدولة العثمانية منذ العام١٨٤٤م، كيف والشيخ صفوك مضرب المثل في سخاء اليد وسعة الكرم، حتى أصبح كرمه مثلا عند العامة، فإذا ما تحدث شخص ما عن كرمه وما قدمه لضيوفه ردوا عليه بقولهم: (والله لوك صفوك) أي والله لا تبلغ هذا الوصف إلا لو كنت الشيخ صفوك. [١٣١]

وصف لنا لايارد منزل شمر التي مع الشيخ صفوك الذين كانوا في رحيل الذي المستمر منذ الفجر حتى العصر من يوم وصول لايارد إلى مضارب شمر، كما وصف لنا شخصية الشيخ صفوك ودماثة خلقه، وكياسة ملقاه لضيوفه، وما يتمتع به من طول القامة، وجمال الوجه، وأناقة الثياب العربية التي كان يرتديها من كوفية بيضاء وعقال موشى بالذهب، ودمير مزركش ينم عن علو المنزلة وطيب حال.

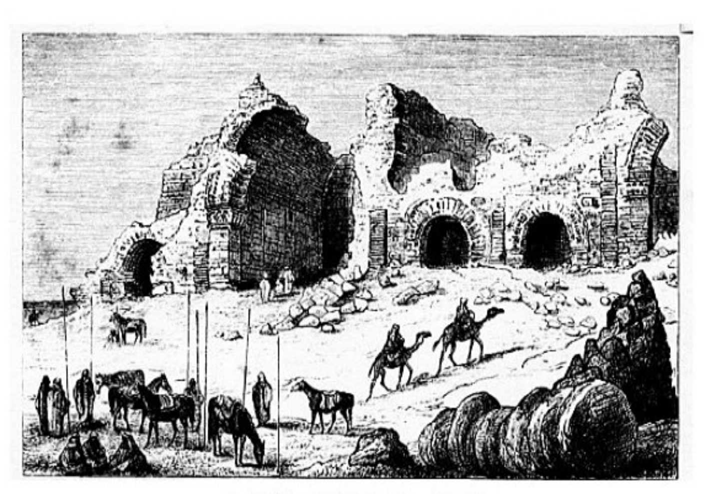
كما وصف لنا الشيخة عمشة لحسين أم الشيخ عبد الكريم، وما كانت تتمتع به من كونها السيدة الأولى بين نساء الشيخ صفوك، ومكانتها المميزة بين نساء الشيخ الآخريات، وأعطانا صورة واضحة عن اكبر أولاد الشيخ صفوك الشيخ فرحان، وما كان يتمتع به من مكانة مميزة لدى والده ولدى شمر، و تميزه بذكاء واسع، وخلق عظيم، ورأي نافذ عند والده الشيخ صفوك وعند عموم شمر.

كان هدف لايارد من هذه الزيارة حماية نفسه وموقع تنقيباته في النمرود، عن طريق الشيخ صفوك وشمر من عمليات السلب والنهب التي ربما ظن انه سينعرض لها، لولا هذه الحماية التي أرادها وحصل عليها من قبل الشيخ صفوك، كما وانه أراد زيارة أثار الحضر التي هي ضمن حمى شمر، ولا يجرؤ أي أجنبي على الوصول إليها دون موافقة وحماية شيخ شمر، وقد زارها فعلا بعد أن أرسل معه الشيخ صفوك اثنين من رجاله المخلصين كان من بينهم فارسه الخاص داثان، ويعد ما دونه لايارد عن

---

(١٣١) . الظاهري، مرجع سابق، ١٣٥-١٣٦.

شخص المحزم ومضارب شمر بمنازلها وترحالها من أجمل ما دون في هذا الجانب الحياتي عن شمر وشيوخها الجربا. [١٣٢]



الحضر كما شاهدها لايارد

أظهرت أعمال الشيخ صفوك في السنة التي تلت أيلول ١٨٤٦م بأنه مصمم على الإبقاء على قوته واتساع سلطانه، ففي خريف ١٨٤٦م، تحركت شمر من شمال بغداد نحو منطقة الموصل الهادئة، فتغيرت الأحوال بسرعة عندما ظهر المحزم في شمال العراق، إذ بدأت شمر في ضبط القبائل الخاضعة لها جنوب حمام العليل، وأوقفت الحركة في نهر دجلة، وأغارت على القوافل في طريق حلب الموصل. نتيجة للضغط المتزايد عليها من قبل سلطات بغداد والموصل العثمانية، دخل الشيخ صفوك مملكة بدرخان بك البوتاني، الزعيم الكردي الثائرعلى السلطة العثمانية بالقرب من جزيرة أبن عمر،من خلال تحالف قوي ومنظم ضد السلطة العثمانية، وفي مناورة ذكيه

---

(١٣٢) . كوبي، مرجع سابق، ص٢٧٥-٢٧٦،
Henry Layard,Nineveh and its remains (london: 1948) p111-124

من الشيخ صفوك بعث بابنه فرحان الذي كان محملاً بهدايا قليلة وبوعدٍ بالمزيد منها مستقبلاً ليتفاوض مع نجيب باشا في بغداد، مبيناً لباشا بغداد أن شمر ليست في خصام مع سلطات بغداد، ولا مناصرة لبدر خان في تمرده على الدولة، وقد حاول الشيخ فرحان في إقناع الحاكم بإبقاء الاعتراف بالمحزم زعيماً أكبر لشمر رسمياً أمام الحكومة في بغداد، فأستجاب نجيب باشا لطلب الشيخ الشاب، ولكنه قلد المنصب لفرحان، فأكد نجيب باشا عملياً اعترافه بقيادة الشيخ صفوك لشمر من خلال اعترافه بالشيخ فرحان.

لقد نتج عن إعادة التعيين الرسمي هذا أن فقد الشيخ نجرس الزيدان المساندة الحكومية الرسمية له، كما وعد نجيب باشا أيضاً بإرسال قوات عسكرية للمساعدة في الحفاظ على النظام في الجزيرة، وتحت نظر شمر وشيخها، على الرغم من الغرابة إلى حد ما في موقف نجيب باشا هذا تجاه عدوه المتشدد الشيخ صفوكالذي يعلم جيداً انه لا يمكن هزيمته في مواجهة عسكريه[١٣٣]، ولكن يمكن تفسير ما فعله بسهولة أن حاكم بغداد أراد أن يقر السلام في الجزيرة، وأختار أن يتعامل مع شمر ذات السطوة القوية على أساس أنه وحده بإمكانه إحلال السلام بين القبائل العربية من جانب، ومن جانب آخر كان نجيب باشا يهيء الأرض لما سوف ينفذه من غدر بالمحزم فيما بعد، خاصة وان نجيب باشا هذا من الولاة الذين نجحوا في القضاء على جميع الزعامات الوطنية التي حالت دون تقوية قبضة الحكومة العثمانية على أجزاء هامة من البلاد، فقد غدر بالشيخ صفوك مثلما فعل مع سليمان بن غنام شيخ العقيل الذي اغتيل عام ١٨٤٠م، ومن قبل مع محمد بك ميركور أمير راوندوز.[١٣٤]

يبدو أن المشاكل التي واجهت الشيخ صفوك في خريف ١٨٤٦م كانت أكثر تعقيداً من تلك التي واجهت نجيب باشا في تعامله مع شمر، إذ كان عليه في البدء أن يحل مشكلة الوحدة القبلية، وموقف الشيخ نجرس الزيدان ومن معه، أستخدم الشيخ صفوك كل السبل الدبلوماسية المناسبة لحل هذه المعضلة التي واجهتها شمر، في الوقت الذي كان يجب على الشيخ صفوك أن يحتفظ

---

(133) . Williamson, Op. cit, p46.

(١٣٤) . نوار، تاريخ العراق الحديث، ص ٤٧١.

بعلاقات طيبة مع مختلف كبار الموظفين العثمانيين، لأنه بدون مساندتهم كان عليه أن يواجه ليس فقط غضبهم عليه، بل وأيضاً فقدانه للأمن والاستقرار لشمر.

إجمالاً كانت السنتان ١٨٤٦ و ١٨٤٧م من السنوات المحرجة للغاية بالنسبة إلى شمر على ارض الجزيرة الفراتية، ونتيجة لانجذابها بين الحياة البدوية التقليدية والنفوذ الجديد لسيطرة الحكومة المركزية المتزايدة، سعت شمر إلى تحقيق التكيفات الضرورية لبقائها كقوةٍ موحدة متماسكة وقوية، ودار جوهر القضية حول مسألة إذا كان من الممكن لشيخ بدوي تقليدي مثل الشيخ صفوك أن يحتفظ بمكانته كقائد لشمر دون منافس، ولكن الإجابة على هذا السؤال كما أظهرت الأحداث التالية كانت ايجابية إلى حد كبير، لولا تدخلات باشوية بغداد في شؤون شمر الداخلية، إذ قرر الشيخ صفوك مرة أخرى والذي كان يتمتع بحماية حليفه بدر خان بك كظهير له، أن يعيد توحيد القبيلة تحت سيطرته. بغض النظر عن النتائج. التي قد تحدث، وكذلك ما سببت علاقاته بالقائد الكردي بدر خان بك. الذي كان قد اسس امارته الكردية البوتانية في حصن كيفا [١٣٥] من الحرج لنجيب باشا، الذي كان الباب العالي قد وجه إليه اللوم الشديد رسمياً لاعترافه بفرحان الزعيم الرسمي لشمر.

كان المحزم يأمل في كسب ود العثمانيين، وان لا يدخل معهم في نزاع مسلح، وشمر تمر بهذه الظروف الصعبة، وبان يعاملهم بود واحترام، وبطلب المساعدة العسكرية منهم إذا ما احتاج إلى ذلك، وفي محاولة منه لتوحيد الكلمة داخل شمر دعا الشيخ صفوك الشيخ نجرس للحضور إلى مضيفه لمناقشة قيادتهما المشتركة للقبيلة، رفض الشيخ نجرس هذا العرض.، وأملاً في التغلب على تردد الشيخ نجرس، أرسل الشيخ صفوك ابنه فرحان لكي يدعو شخصياً الشيخ نجرس إلى المضيف، بعدها زار فرحان الشيخ نجرس وقدم إليه وعده الشخصي بالأمان إذا قام الأخير بزيارة الشيخ صفوك، وبين الشيخ فرحان للشيخ نجرس بأن هناك خلاف عائلي بين الشيخ نجرس

---

(١٣٥) . لوبنهايم، البدو، ج١، ص٢٣٩.

وأولاد عمومته ليس له علاقة بمنصب المشيخة على شمر يريد الشيخ صفوك ان ينهيه.

جاء الشيخ نجرس ودخل المضيف وأستقبل من قبل الشيخ صفوك ببرود، وأخذ الاثنان بالحديث حول زعامة شمر وموضوع الخلاف العائلي، وأوضح الشيخ صفوك الأخطاء التي وقع فيها الشيخ نجرس عندما نافس المحزم على المشيخة، وانتهى الحوار بينهما وقام الشيخ نجرس بترك المجلس وخرج من المضيف، بعد أن شعر بأن خطرا ما يتهدده، فلحقه اثنان من أولاد عمومته، هما الشيخان سميط الفهد وهجر العمر وقاما بقتله عند باب بيت الشيخة عمشة زوج الشيخ صفوك لخلاف عائلي قديم بينهم. (١٣٦)

نقمت قسم من قبائل شمر على شيخها صفوك واتهموه أن له يد في التخطيط لقتل الشيخ نجرس، ومن أجل أن يقفوا في وجه المحزم، انتخبوا الشيخ عيادة من الزيدان شيخا لهم بدل الشيخ صفوك، وكانت قبائل شمر التي ساندت الشيخ نجرس الزيدان قد تفرقت في كل اتجاه مباشرةً بعد حادثة القتل هذه (١٣٧)، ورغم ذلك وبعد انتخاب عيادة كشيخٍ للقبيلة تجمعت هذه القبائل عند الزيدان بالقرب من ماردين لمحاربة الشيخ صفوك، وخوفاً على وحدة شمر ولأجل ضبط قبائلها المتمردة حاول الشيخ صفوك أن يحمي نفسه بالتحالف مع السلطة العثمانية، وتوطيد علاقات الصداقة مع نجيب باشا وآخرين من كبار الموظفين العثمانيين.

حاول الشيخ عيادة ان يقوي مركزه مع السلطات العثمانية في ولاية كردستان، إذ عرض على مشير الجيش العثماني فيه رغبته في ان يكون على مشيخة شمر امام السلطات العثمانية في هذه الولاية، و يكون يدهم الضاربة فيها بمن معه من شمر التي شيختهه، وارسل رسالة بذلك جاء نصها:

أضطر الشيخ صفوك إلى الاعتماد على المساندة التركية له وتراجع في اتجاه الشمال الغربي إلى ديرك وديار بكر، وسرعان ما تحققت المساعدة الحكومية عندما أرسل مشير ماردين ٦٠٠ جندي لمساعدة الشيخ فرحان في

---

(١٣٦) . نولر، آل محمد، ص ١٤٧.
(١٣٧) . نفسه.

إخضاع قبائل شمر المتمردة، فغضب الشيخ عياده من مساندة الحكومة للشيخ صفوك فبدأ مع محاربيه في شن غارات في كل اتجاه، ووقعت تلعفر في غرب الموصل ضحيةً لهجومهم، وأمتد نشاط هذا القسم من شمر إلى الشرق، فقام بغارات خاطفة على شهرويان ومدن أخرى، وقاموا بسد وقطع معظم طرق الصحراء المؤدية إلى الغرب، وتسبب الشيخ عياده في إحداث فوضى واسعة جداً. حتى أن الشيخ صفوك طلب المساعدة من نجيب باشا كي يوقف تمرد الشيخ عيادة، فوافق الحاكم العثماني على إرسال كتيبة من الجند إلى الشيخ صفوك. الذي كان قد جاء إلى الشمال من بغداد مع من معه من شمر ليعد العدة لضبط الشيخ عيادة ومن معه من شمر. (١٣٨)

غادرت الفرقة العثمانية بغداد تحت قيادة إبراهيم أغا في نهاية تشرين أول ١٨٤٧م، والتقت بالمحزم في مضاربه بعد ساعات قليلة خارج بغداد، واتجهت القوة المشتركة شمالاً استعدادا للتخلص من الشيخ عياده المثير للشغب، وبدأ كل شيء جاهزاً مع ذهاب محاربي شمر لاستطلاع الطرق وتأمينها، بينما ظل الشيخ صفوك في المؤخرة تحت حماية بعض من أفراد شمر، وبقى إبراهيم أغا قائد القوات العثمانية في المؤخرة، بزعم مساعدة الشيخ صفوك في حالة أية متاعب، وبينما كان فرحان والجزء الرئيس من شمر في طريقهم للقاء الشيخ عياده، سنحت الفرصة لإبراهيم أغا لتنفيذ أوامر نجيب باشا السرية، وعند صدور إشارة متفق عليها أطلق جندي عثماني النار على ظهر الشيخ صفوك، وقام إبراهيم اغا بقطع رأسه بأسم السلطان العثماني، وخلال ساعات كان نجيب باشا يمسك برأس سيد الصحراء. (١٣٩)

كان إبراهيم أغا هذا من ضباط السلطان الخاصين، وهو شركسي مسيحي، ثم أسلم وأشتهر بتنفيذ مؤامرات ناجحة ضد الزعماء الوطنيين والمعادين الثائرين على السلطان العثماني، كان ماهراً في التخلص منهم بطريقته الخاصة، وأسلوبه في الاحتيال والوصول إلى مجلس الأمير الثائر، بأسلوب ذكي، ومن ثم ينقض على ضحيته ويصرعه بضربة من سيفه أو

---

(138) . Williamson, Op cit, p47.
(139) . Ibid.

بإطلاق الرصاص عليه فينتهي أمره بسرعة فائقة، ثم يعلن أن ذلك قد تم بأمر السلطان العثماني، ويأخذ رأس الضحية إلى مسؤوليه.

تلك كانت مهارة إبراهيم أغا وهذا هو تاريخه، لكن الشيخ صفوك كان لا يعلم عنه شيئاً، إذ أنه عقد العزم عليه في بعض العمليات التي كان ينوي القيام بها، في الوقت الذي كان فيه إبراهيم أغا يتحين الفرصة للقضاء على الشيخ صفوك الجربا. (١٤٠)

ومن الجدير بالذكر ملاحظة طبيعة التدخل العثماني في شؤون شمر، إن حاكم بغداد لم يكن في قدرته أن يتحدى القبيلة عسكرياً في عام ١٨٤٧م، بعد بقائها في الجزيرة لما يقرب من ٥٠ سنة، فسعى إلى إضعاف قوة شمر بأساليب غير مباشرة.، ومن أجل تحقيق هذا الهدف تبنى نجيب باشا مظهراً من مظاهر السياسة العثمانية القبلية، ونفذها بحذافيرها حينما زرع الخلاف داخل بيت الزعامة على شمر، واستغل الظروف الأخيرة التي ألت إليها أوضاع الزعامة على شمر أحسن استغلال. للقضاء على الشيخ صفوك وزعامته على شمر.

ربما أعتقد الوالي نجيب باشا أنه باغتيال الشيخ صفوك سيحل مشكلة شمر وقوة الزعامة فيها، وفي الواقع فقد أثبت الشيخ صفوك أنه آخر شيخ من شمر في القرن التاسع عشر أحتل مكانةً لا ينافسه فيها أحد كسيد للصحراء.، ففي ظل قيادته وصلت شمر إلى ذروة قوتها العسكرية، ولسوء حظ شمر تسبب عدم معرفة الشيخ صفوك بنوايا إبراهيم أغا إلى مصرعه. (١٤١)

لاشك أن الشيخ صفوك الجربا على الرغم من بداوته من معدن فريد بين شيوخ العشائر، فكان واسع الأفق والثقافة البدوية، وما اكتسبه من خلال احتكاكه بمن حوله من القرى والمدن، قاد شمر بصدق وطني خالص، وشعر بقيمة العراق. وبذل الكثير من أجله، واعتبر الشيخ صفوك مع شمر أقوى قوة

---

(140) . Ibid

نوار، آل محمد، ص ١٤٩.

(١٤١) . نوار، آل محمد، ص ١٤٩.

عربية بدوية ضاربة ظهرت في القرن التاسع عشر بوجه العثمانيين على هذه الأرض العربية. [١٤٢]

كان لمصرع الشيخ صفوك على هذه الصورة أن جعل منه أسطورة البادية. إذا ما أضيف إلى تأريخه الطويل، كما أن مصرعه عمق الهوة بين آل محمد الجربا وشمر وبين العثمانيين،

لقد ترك الشيخ صفوك العديد من الأبناء الذين لعبوا دوراً في تأريخ العراق وسوريا الحديث وهم.

١- فرحان: له عقب (الفرحان).

٢- عبد الكريم: له عقب (العبد الكريم).

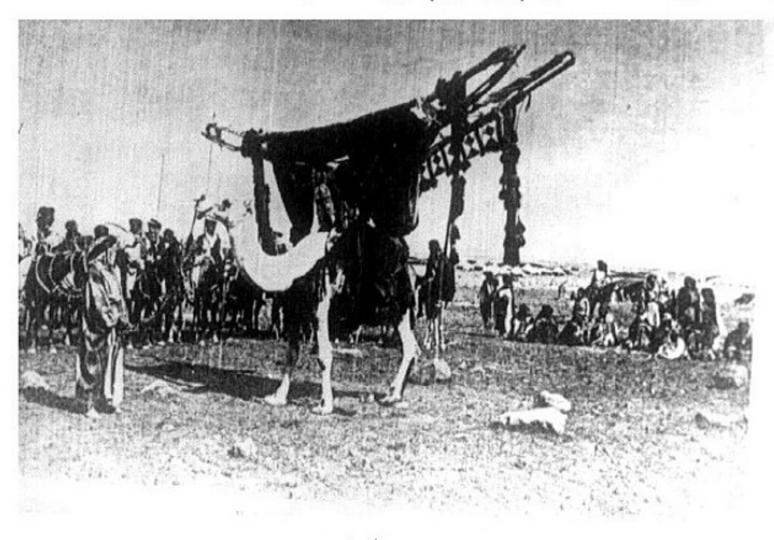
٣- فارس: له عقب (الفارس).

٤- عبد الرزاق: له عقب (العبد الرزاق).

(٢-٤: العمشات)

٥- عبد الرحمن: له عقب (العتوية).

٦- معجون: له عقب (برجس) ليس له عقب.



الجتب

---

(١٤٢) . نوار، تاريخ العراق الحديث، ص٤٥٥.

ورثي الشيخ صفوك بالعديد من الأبيات والقصائد الشعرية من قبل شعراء البادية، الذين تغنوا ببطولاته ومآثر جود يده، ومنها ما قاله فيه الشاعر ردهان بن عتكا: (١٤٣)

قال الذي ما تاجر بجيله ولا بيعه وقت الغلا بالتفاليس
بيوت من طرف الغرايب نشيله أما على الحسرات والا النواميس
ويا ونةٍ ونيتها جنح ليله وهنيتكم يا نايمين مفانيس
ما ونة إلي غادين عن صميله بالكيض وأفخت موميات المراميس
أفخت عن الوعاد ماينثي له وظلت تصفج به هبوب النسانيس
قالوا يأتي قلت ولا أنا مشيله ولا ظنتي ياتي بعيد المكانيص
أمشطرٍ موسه يدور الغليله ومشطر موسه يقص المنافيس
وويل جيل صفوك وطول ويله ويلن بموس بسرت القلب تمويس
أكفى مع الجلاد يومي شليله ورد وخابر بالشريعة كوانيص
لحجوه على العير القصيم الجميلة صادوه زعران العيون الطماميس
ليت الفجيدة بالجهامة وخيله وخمسة من ألأمار وخمس التخاميس
بس أنت ياحرز القلوب العليلة اليا ضاعت الشوفات وصارت لواليس
من غبت عنا يا أبن اخي سبيله غاب السعد عن نزلنا والنواميس
نرتع رتيع الصيد ونجفل جفيله وصرنا مثل فرز المواعز بلا تيس
ودسنا السهل من عقب رأس الطويلة وذقنا الحفى من عقب لين المداسيس
ولد اللويزي جنب الزمل شيله النت خابر ما يفك العرانيس
إبكيك وانا مقطعي من اغفيله بكوت عجوزن وقفت بالمتاريس
لقت ولدها طايحٍ مع حليله وعقب الطرب جن بدلت بالهداريس

---

(١٤٣) . من التراث الشعري الشمري.

الفصل الخامس

الشيخ الباشا

الشيخ فرحان باشا

تم إقرار الشيخ فرحان باشا بن صفوك شيخاً لمشايخ شمر من قبل العثمانيين منذ عام ١٨٤٦م، أي في حياة أبيه صفوك كما بينا سابقا، فكان لمقتل أبيه على يد القوة العثمانية التي أرسلها نجيب باشا اثر بليغ عليه وعلى من معه من قبائل شمر، الذين كانوا معه، دون الشيخ عيادة ومن تمرد معه من شمر على سلطة الشيخ صفوك، وحفاظا على من معه من شمر الذين هبطت معنوياتهم عند وصول خبر مصرع سلطان البر إليهم، وخوف الشيخ فرحان من عدم قدرتهم على مواجهة قبائل عنزة التي كانت تهيئ لغزو كبير على شمر. عندما شعرت بالوضع الغير مستقر لشمر.

وكذلك ازدياد مخاوف الشيخ الشاب الذي كان لا يتجاوز عمره ٢٥ عاما من السلطة العثمانية، التي كان يعلم عن خططها ودسائسها الكثير، لذا نراه يبتعد بمن معه من شمر عن مركز الدولة في بغداد، وتوجه بهم إلى الجنوب صوب الهندية عند حليف والده وادي بك بن شفلح الشلال شيخ زبيد، ومعهم وسائط ركوبهم فقط، بعد أن بقي أولاد الشيخ صفوك الذين كانوا لا يزالون صغارا فترة من الوقت عند بدر الكعيط من الخرصة، وتحت رعايته، فأحسن الشيخ وادي إكرامهم وأنزلهم في منازل تليق بمكانة كل منهم، وأعطاهم ما يحتاجون من زاد وأثاث.

مكث الشيخ فرحان وفرسانه عند الشيخ وادي فترة من الزمن إلى أن هدأت الأوضاع في مضارب شمر، بعد خسارتها مع الشيخ عيادة في مناخ الأحمدي مع قبائل عنزة، والذي قتل فيه الشيخ عيادة وعدد ممن كان معه من أفراد شمر، نتيجةً لانسحاب القوات الحكومية التي كانت معها كعادتها من أرض المعركة، وهذا في الحقيقة مخالف لما ذهب إليه بعض الكتاب المعتمدين على الأخبار التي تناقلها القناصل الإنكليز من أن الشيخ فرحان التجأ إلى عدوته اللدودة عنزة عند مصرع المحزم.[١]

---

(١). نوار، ال محمد، ص١٥٠، Williamson. op. cit,p49.

لقد عرفت شمر صنيع الشيخ وادي معها في محنتها. فقرروا أن يردوا الجميل لشيخ زبيد، وان يكون له فضل في أعناقهم. فاختاروا حلفان يقسمون به كدليل صدق على أعمالهم، وإكراما للشيخ وادي ولزبيد عامة، فكانوا ومازالوا يحلفون (**بحياة زبيد وال منهم وادي**) [٢]، في الوقت الذي كان فيه نجيب باشا قد أقر الشيخ عيادة على مشيخة شمر قبل مقتله وعزل الشيخ فرحان كما بينت الوثائق العثمانية.

تعهد خطي من الشيخ عيادة من مشايخ شمر على الاستيطان داخل حدود ايالة كردستان، ومعاونة الدولة العثمانية على حماية المنطقة الممتدة من الجزيرة الى حدود مدينة اورفة، مقابل توجيه مقام المشيخة له على عشيرته:

باعث تحرير المستند هو انه:

انا الشيخ عيادة من مشايخ شمر، قد اعطيت القرار التام بأني مع عشيرتي الذين تحت يدي، اون في خدمة الدولة العلية، وأستخدم في خدمة الذوات المأمورين في محافظة تلك الأطراف، اعني بهم جناب علي باشا المقيم في ناحية (جل اغا) وجناب حسين باشا المقيم في سيروك، المأمورين من اوردوي همايون مشيري (مشير الجيش الهمايوني) حضرة المشير الأفخم ومعاونه جناب الحاج سليمان اغا المأمور من كردستان مشيري حضرة افندينا اسعد باشا المفخم.

وقد تعهدت ان اكون داخل حدود ايالة الكردستان مع عشيرتي الذين تحت يدي، ولا اخرج خارجا من داخل حدود الأيالة المذكورة، بل اكون مستخدما في محافظة الطرقات البرية والنواحي والقرى من حد الجزيرة (المنطقة الواقعة بين نهري دجلة والفرات شمالي بغداد) الى حد اورفة.

فعلى هذا القرار قد جعلوني شيخا على عشيرتي المذكورة، وإن خالفت شيا وخرجت من حدود الأيالة المذكورة، اكون متنزلا ومعزولا من المشيخة التي انا منصوب بها على عشيرتي الذين تحت يدي.

---

(٢). هذا الحلفان مشهور لدى شمر وخاصة عند كبار السن منهم.

وعلى هذا النوع صار القرار والرابطة، وقد اعطيت هذا السند من طرفي ومهري في ختمي، يبقى محفوظا في قلم ايالة كردستان لحين الحاجة.

حرر وجرى في ثالث يوم من شهر شوال الشريف سنة ستة وستين وماتين والف.

المقر بما فيه

الشيخ عيادة، من مشايخ شمر[٣]

BOA.İrd.M .Val, 5520, 3 Şevval 1266 (1849).

باعث تحرير السند هو انه

انا الشيخ عباده من مشايخ شمر قد اعطيت القرار التام باني مع عشيرتي الذين تحت يدي اكون في خدمة الدولة ال[illegible]
واستخدم في معاونة الذوات المأمورين في محافظة تلك الاطراف اعني بهم جناب علي باشا المقيم في ناحية جبل [illegible] وجناب
صبحه باشا المقيم في سورك المأمورين [illegible] حضرة المشير [illegible] ومعاونة جناب الحاج [illegible]
من كردستانه مشيري حضرة افندينا اسعد باشا المفخم وقد تعهدت ان اكون داخل حدود ايالة الكردستان مع عشيرتي الذين
تحت يدي ولا اخرج خارجا من داخل حدود ايالة المذكورة بل اكون مستخدما في محافظة الطرقات والبرية والنواحي
والقرى من حد الجزيرة الى حد اورفه فعلى هذا القرار قد جعلني شيخا على عشيرتي المذكورة وان خالفت شيئا
او خرجت من حدود ايالة المذكورة اكون منزولا ومعزولا من المشيخة التي انا منصوبا بها على عشيرة الذين
تحت يدي وعلى هذا النوع صار القرار والرابطة وقد اعطيت هذا السند من طرفي ومهرته في ختمي يبقى
محفوظا في قلم ايالة الكردستان لحين الحاجة حرر وجرى في ثالث يوم من شهر شوال الشريف سنة ستة وستين
ومائتين والف

المقر بما فيه
شيخ عباده
من مشايخ
شمر

رسالة الشيخ عيادة

(٣). د. سنان معروف، احوال العراق السياسية والأجتماعية خلال العهد العثماني (لندن: ١٩٩٦م) ص٦٠، وتاريخ هذه الرسالة هو عام ١٨٥٠م.

استمر الوضع غير المستقر لشمر حتى بداية عام ١٨٥٠م عندما أعاد نجيب باشا الاعتراف بفرحان كشيخ اكبر لمشايخ شمر، وسحب اعترافه بالشيخ عيادة بعد مقتله، وتأكد الوالي نجيب أن التوازن السياسي في الجزيرة لا يمكنه الاستمرار إلا إذا قاد شمر احد أبناء الشيخ صفوك، ويجب أن يكون هذا القائد ذا شخصية قوية وثقافة سياسية عالية، تؤهله للتعاون والتعامل بشكل أفضل مع الحكومة في بغداد والسلطات العثمانية في اسطنبول. (٤)

ولكننا عند تحليل العلاقة بين شمر والعثمانيين خلال العشرين سنة التالية، يتضح أن مقتل الشيخ صفوك ونجاح نجيب باشا في ذلك، لم يوفر للعثمانيين الانتصار الكامل الذي كانوا يسعون إليه في السيطرة على اكبر تجمع قبلي في ارض الجزيرة الفراتية، بل على العكس من ذلك فان قتل المحزم قد عمق هوة العداء بين شمر والعثمانيين (٥)، فعلى الرغم من موقف الزيدان ومن معهم من شمر من الشيخ صفوك أثر حادث مقتل الشيخ نجرس، لكنهم استنكروا بشدة ارتكاب نجيب باشا فعلة الغدر بالشيخ صفوك، وقابلها البدو باستياء شديد باعتبارها تعدٍ غير مسبوق وتجاوز غيرمشروع لحقوق شمر وشيخها صفوك. (٦)

أصبح الشيخ فرحان على رأس القيادة على شمر بشكل تام ودون منافس ذا شأن منذ العام١٨٥٠، وهو شخصية محبوبة من قبل عموم قبائل شمر، ذات صفات وتجارب جيدة في الحياة تجعله جديراً بالمشيخة سواء لدى الحكومة العثمانية في بغداد أو عند عشائره، فهو الأبن الأكبر للشيخ صفوك من بين اولاده الستة، ومن زوجه الحضرية. وقد شارك أباه سنوات النفي في استنبول ١٨٣٥-١٨٣٨م، ويبدو أن مظاهر الأبهة والعظمة التي شاهدها هناك جعلته يعتقد آن السلطة العثمانية لا تقهر، وأحس أنه من الضروري إيجاد أسس قوية للتفاهم مع الحكومة العثمانية في العراق، والعشائر الشمرية. (٧)

والشيخ فرحان هو صاحب دين وتقوى وعبادة، وقد أطلق عليه أبناء

---

(٤). لوريمر، مرجع سابق، ج٤، ص٢٠٠٩.

(5). Williamson. op. cit,49.

(6). Ibid.

(7). Ibid,p50.

نوار، آل محمد، ص١٥١

شمر (شهر البتول) لحسن طالعه ودينه، لذلك نراه يقف بحزم ضد غارات السلب والنهب التي كانت تقوم بها بعض القبائل الشمرية، كما انه ممن حاول أن يحد من ظاهرة الغزو التي كانت تتحكم في حياة البادية، كما أن الوالي نجيب باشا نفسه أيقن على الرغم من أسلوب إدارته الصعب في الحكم، الذي كان لا يتوانى فيه اتخاذ أي قرار حتى لو كان على حساب أهل ولايته، في سبيل توكيد السيطرة العثمانية، وتطبيق تعليمات الباب العالي. أن الشيخ فرحان هو خير من يمكن التعامل معه من آل محمد الجربا[٨]، وقد مهر الشيخ فرحان باشا في توكيد هذا الرأي إلى ابعد الحدود، واستطاع أن يحافظ من خلال مشيخته التي امتدت من عام ١٨٤٧م إلى عام ١٨٩٠م على كيان شمر ومكانتها المميزة على ارض الجزيرة الفراتية، ويمنع كثيرا من التصرفات غير المرغوب فيها من قبل الأتراك، كي لا يقع في مواجهة غير متكافئة مع الدولة العثمانية وقواتها.



ولقد كان جيشهم منظماً وتحركاتهم منضبطة في النزوح وفي العودة

(٨). لوريمر، مرجع سابق، ج٤، ص٢٠٠٧.

شمر والعثمانيون ١٨٤٨ - ١٨٦٠م

استلم الشيخ فرحان مشيخة شمر في وضع لا يحسد عليه، فقد كان تمرد الشيخ عيادة قبل أن يقتل في مناخ الأحمدي وموقف الزيدان منه، ومقتل المحزم قد فكك وحدة شمر إلى حد ما. في الوقت الذي عبرت فيه عنزة غربي الفرات مع اثنين من شيوخها هما دهام بن غبين وابن هذال، واستطاع الأخير أن يشن بعض الغارات على قبائل شمر شمال الفرات، طمعا في النيل من شمر وكسرها، وهي في هذا الظرف الصعب من حال قيادتها، أملا في الاستحواذ على أراضي شمر وحماها الخصبة في ارض الجزيرة الفراتية، كما أن الوضع الحياتي للشيخ فرحان (المادي) لم يكن في حالٍ جيد، فضلا عن الفقر والتمزق الذي كانت عليه شمر بعد المجاعة التي حدثت خلال السنوات القليلة الماضية، وما خلفه قتل الشيخ نجرس وتمرد عيادة من تمزق داخل التجمع القبلي لشمر، في ظل هذه الظروف كانت قيادة هذا الفارس الشاب لشمر الذي اثبت لمن حوله انه جدير بهذه القيادة، كما أثبتت لنا السنين التي قضاها من حياته في قيادة شمر.

كان الدخل المالي للشيخ فرحان ولشمر يتم الحصول عليه من عدة مصادر اقتصادية تمثلت في:

١- بيع الإبل والجياد والصوف.

٢- إتاوات ممن تعبر أراضيها من القوافل (الكودة).

٣- إتاوات بسيطة على حماية بعض المدن والقرى الصغيرة.

٤- غنائم الغزو.

٥- ما تدفعه قبيلة عقيل من مبالغ لشيوخ شمر لضمان سلامة القوافل المارة في الأراضي الشمرية (الباج).

٦- إتاوات الحماية التي تدفعها العشائر الواقعة تحت حماية الجربا (الخوه).

٧- المساعدات التي تصل في بعض الأحيان من الحكومة العثمانية لصد قبائل عنزة، وللحفاظ على الأمن والهدوء في ارض الجزيرة الفراتية. [٩]

لقد تأثرت هذه الموارد المادية بالأوضاع غير المستقرة التي عاشتها شمر في أواخر عهد الشيخ صفوك، وعندما تولى الشيخ فرحان نظر العثمانيون إلى تقوية هذا الرجل ماديا لكي يستطيع التعاون معهم في ضبط الجزيرة وقبائل شمر، فخصص له راتبا شهريا يتقاضاه من ولاية بغداد قدره ٢٥٠ ليرة، وذلك في العام ١٨٥٥م، ووصف لنا الشيخ فرحان هذا الراتب بقوله: إنه لا يسد المبلغ الذي يدفعه لشراء القهوة العربية لضيوفه [١٠]، كما تغاضى العثمانيون عن ضريبة المرور التي كآن فرحان باشا يجمعها من القوافل المارة في أراضي شمر [١١].

وإذا ما عدنا إلى الوجه الثاني في مشيخة الشيخ فرحان أوائل أعوامها، فقد تمرد احد أبناء الشيخ محمد الفارس وهو نايف أبو انجور على سلطة أبن عمه فرحان، وأراد المشيخة لنفسه، ولكن (أبو انجور) ومن تبعه لم يشكلوا خطراً كبيراً على سلطة الشيخ فرحان وهيبته بين شمر، ومن ثم انسحب بعد مدة وجيزة وحسم هذا الخلاف وسكن الشيخ نايف ولم يعد يشكل أي تهديد لسلطة ابن عمه فرحان ومشيخته على قبائل شمر.

استطاع الشيخ فرحان أن يوحد القبائل الشمرية تحت سلطانه، ويقيم علاقات قوية بينه وبين ولاة بغداد، حتى سنحت الفرصة لاختبار قدرة هذا الشيخ في التعاون مع العثمانيين، والسيطرة على عشيرته. عندما طلب عبدي باشا قائد الفيلق السادس في بغداد وواليها عام ١٨٥٠م من الشيخ فرحان و شمر بالتوجه الى جنوب بغداد، ومساعدة القوات العثمانية في القضاء على ثورة بعض العشائر في الهندية، وما حولها من مناطق الفرات الأوسط. [١٢]

لبى الشيخ هذه الدعوة ليبين للعثمانيين انه في تعاون تام معهم، كما أن شمر كانت بحاجة لهذه الحملة، لغنى هذه الأراضي بمواردها ومراعيها،

---

(٩). نوار، تاريخ العراق الحديث، ص١٥١، لوريمر، مرجع سابق، ج٤، ص٢٠٠٩.
(١٠). لوريمر، مرجع سابق، ج٤، ص٢٠٠٩.
(١١). نوار، تاريخ العراق الحديث، ص١٧٠.
(12). Williamson. op. cit,p55.

ولكن واقع الحال قد تغير عند وصول شمر إلى المناطق الجنوبية من بغداد، إذ أن العثمانيين لم يوفروا المؤن للبدو والأعلاف لحيواناتهم، كما أن الجيش العثماني لم ينظر إلى القوة الشمرية بعين الرضا، مما حدا بهذه القوة بان تثور على الأتراك، وتهجم على مخازن الحبوب التابعة للجيش العثماني وتقوم بنهبها، فضلا عن نشر الذعر والخوف في المناطق التي تواجدت فيها، فأصبحت طرق المواصلات غير مأمونة بين بغداد وكوت الأمارة، لذا طلب عبدي باشا من الشيخ فرحان أن يمنع إتباعه من مثل هذه الأعمال، وبالانسحاب إلى المناطق الشمالية من بغداد. (١٣)

لقد أعطت هذه التجربة في استخدام القوات البدوية غير المنظمة لمساندة القوات العسكرية العثمانية في حملاتها درساً عسكرياً كبيراً لعبدي باشا، حيث أنه إذ ما أراد استخدام مثل هذه القوات مستقبلا فيجب عليه أن لا يسمح لعوائل هذه القوات أن ترافقها في حملتها، ويوفر المؤن اللازمة لها لمنع حدوث التمرد على قواته (١٤).

كما أوضحت هذه الحملة للشيخ فرحان أنه لا يمكنه أن يكون سوطا بيد السلطة الحاكمة في بغداد، تستخدمه ضد الثوار من القبائل الأخرى، كما وإنه ليس ذا سيطرة تامة على من معه من شمر، فدفعه هذا إلى إعادة النظر في سياسته تجاه شمر وجعلها في قبضة سلطته بشكل أقوى، وفي وعي تام بسياسات حكام بغداد ومطالبهم منه ومن شمر، و لمعاقبة الشيخ فرحان على تصرفات شمر أثناء الحملة العسكرية، فقد عزل عبدي باشا الشيخ فرحان عن المشيخة وولى مكانه الشيخ هجر العمر في شهر آب من عام ١٨٥١م، وخصص له راتبا شهريا قدره ٢٠٠٠ قرش. (١٥)

كان لتعيين الشيخ هجر العمر في هذا المنصب من قبل عبدي باشا ليزيد الخلافات داخل بيت المشيخة، ويجعل الجربان يقتتلون فيما بينهم،

(13). Ibid,

لوريمر، مرجع سابق، ج٤، ص٢٠٠٩

(14). Williamson. op. cit,p55-56.

(15). T. C Basbakamlak,oMosul-Kerkuk ileilgli Arsiv BelgeleriK 1525K 1919 (Ankara: 1993) p107.

خاصة وان الشيخ هجر متهم بقتل الشيخ نجرس الزيدان، وهذا ما حدث بالفعل إذ جد الزيدان في ملاحقة الشيخ هجر حتى استطاع نجم الزيدان من قتل الشيخ هجر العمر في نفس عام تعينه، أي ١٨٥١م (١٦)، وقد القى العثمانيون القبض عليه وحبسوه، والشيخ هجر جواد كريم وصفه احد الشعراء بقوله: (١٧)

جنب كريم الصيد وقت الشنين واعنز هجر حيث على الكود صبار
وجدع يدك من عرض هاك الأيدين على فكارٍ دب الأيام بيسار
واليا ثقل حمله عتب بعتبين يشدى اهديب الشام شيال الأقطار
عين عوج ما ينقضب باليدين الين من الماهود واقطع من النار

بعد مقتل الشيخ هجر قام نامق باشا والي بغداد الجديد وأعاد الاعتراف بالشيخ فرحان على مشيخة شمر رسميا، وفي عام ١٨٥٢م حدثت ثورة كبيرة في وسط العراق قادها وادي بك بن شفلّح الشلال ضد سلطة والي بغداد الجديد نامق باشا، الذي هو الأخر طلب المساعدة من الشيخ فرحان لقمع الثورة، وقد ساندت وادي في ثورته هذه على السلطات العثمانية العديد من القبائل ومنها عنزة، إذ نشروا الخراب في وسط وجنوب العراق، وهنا نرى الشيخ فرحان لم يقف ذلك الموقف الذي وقفه مع عبدي باشا لعدة أسباب: لعل في مقدمتها موقف شمر الحليف لوادي الشفلح لكرمه وموقفه الذي لا ينسى من الشيخ فرحان وشمر بعد مقتل الشيخ صفوك، وثانيهما أن الشيخ فرحان لم يرغب بالاصطدام مع العشائر العربية الثائرة، واراد ترك الأمر بين سلطات بغداد الحاكمة وبينها، كي لا يقع في المأزق القيادي الذي حدث لشمر وله عام ١٨٥٠م، لذلك لم يشارك سوى بألفي فارس قادهم بنفسه، لكنه لم يدخل في مناوشات جادة مع الثوار، وتمكن من إيجاد التبريرات المقنعة لسلطات بغداد عن عدم المشاركة في القتال، وعاد إلى مركزه في الشمال عند الفرحاتية التي

(16). Hormuz Rassam,Asshur and The land to Nimrod (New york (1897) p88,

العزاوي، العراق بين لحتلالين، ج٧، ص٩٠-٩١.

(١٧). الخريصي، مرجع سابق، ص٤١.

كانت قد أقطعت لوالده، ووضع العثمانيون فيها حامية عسكرية لمساعدته مع قيادات شمر التي سارت معه. (١٨)

شهدت الأعوام ١٨٥٣-١٨٥٦م تدهوراً خطيراً في سيطرة القوات العثمانية على أقاليم العراق المختلفة، نتيجة لضعف هذه القوات أمام التحركات العشائرية في العراق، وقلة عددها، لأن قسماً كبيراً من هذه القوات كان قد ذهب إلى حرب القرم التي اندلعت بين الدولة العثمانية وروسيا القيصرية.

وصف لنا رحالة بريطاني أوضاع شمر في العراق عام ١٨٥٣م بقوله: "ان شمر يمثلون الرعب بالنسبة للسلطات التركية، ويعيشون في البرية والقفار،والمناطق التي تبدو غير مأهولة، ولا ترغب السلطات التركية في الاستحواذ عليها، حيث ينطلقون منها في أعمال الغزو حتى يصلوا في بعض الأحيان إلى أبواب مدينة بغداد، ولما عجزت السلطات العثمانية عن صدهم فقد رضيت في الأخير أن تعطي زعيمهم فرحان باشا راتبا شهريا، وهو ما حدث منذ العام ١٨٥٥م لكي يضمنوا ولاءه، وليعمل على منع أعمال السلب والنهب التي كان يقوم بها بعض من أفراد شمر، ولكن وبالرغم من تلك الاتفاقية حصل في بعض الأحيان أعمال سلب ونهب". (١٩)

كانت هذه الأوضاع بالنسبة لشمر الفرصة الذهبية إذا ما أرادت أن تخلص العراق من السيطرة العثمانية، وربما تؤسس حكماً عربياً فيه لو أن الشيخ صفوك الجربا على قيد الحياة، ولكن واقع الحال كان غير ذلك لان الشيخ فرحان كان على مشيخة شمر في هذه الظروف، وهو يختلف عن أبيه في حنكته السياسية، بل انه كان لا يريد أن يدخل في مواجهة مع القوات العثمانية، كما أن شمر لم تكن متوحدة مثلما كانت عليه في عهد أبيه، في الوقت الذي ظهر فيه (أخوه أبو خوذة) الشيخ عبد الكريم الجربا منافسا له وقد تبعته عدد من قبائل شمر.

---

(١٨). نوار، تاريخ العراق الحديث، ص ١٧٠.

(١٩). الظاهري، مرجع سابق، ص١٩٠.

على الرغم من هذه الظروف والأوضاع المؤاتية التي كانت أمام الشيخ فرحان. لكنه لم يستغل هذه الفرصة التاريخية لتحقيق حلم الشيخ صفوك في تخليص العراق من السيطرة العثمانية، فبقي الشيخ فرحان على علاقته مع ولاة بغداد والموصل، وحاول في بعض الأحيان أن يحاسب بعض القبائل الشمرية التي شنت بعض الغارات، وأعاد ما سلبته إلى السلطة العثمانية والقبائل التي تعرضت للغارات [٢٠]، كما شهد العام ١٨٥٥م إطلاق سراح فارس بن عجيل السعدون شيخ المنتفك من قبل الوالي رشيد باشا الكوزلكي، فألتجاء إلى الشيخ فرحان خوفا من ابن عمه منصور باشا السعدون، وقد رحب به الشيخ فرحان وبقي عنده مدة من الزمان[٢١]، وبالغ الشيخ فرحان في إكرامه والحفاوة به رغم ما بين شمر والمنتفك من خصومات. وهذه هي خصال الجربا شيوخ شمر وعاداتهم النبيلة التي سطرت لهم هذا التاريخ المجيد،يضاف إلى ذلك ان الشيخ سمير الزيدان ناصب الشيخ فرحان العداء بين الأعوام ١٨٥٨-١٨٦٢م وحاول اخذ المشيخة من الشيخ فرحان بمساعدة العثمانيين عام ١٨٦٠م ولو لفترة قصيرة لتعاد المشيخة ثانية إلى الشيخ فرحان من قبل العثمانيين. [٢٢]

يعد عام ١٨٥٦م وما بعده نقطة تحول في موقف السلطة العثمانية في العراق تجاه البدو والسيطرة على غاراتهم بشكل عام وليس شمر فقط، فبعد أن عادت القوات العثمانية من القرم: قام باشوات بغداد ومنهم رشيد باشا الكوزلكي على سبيل المثال بالحد من غارات عنزة على الفرات، وذلك من خلال تقوية الحاميات في كل من دير الزور على طريق القوافل بين بغداد وحلب، فضلا عن استخدام الزوارق النهرية المسلحة وزيادتها، لحماية طرق النقل النهرية في دجلة والفرات من غارات عنزة وشمر، وكذلك إعادة تنظيم القوات النظامية بما يناسب وتطور الجيش العثماني تكنولوجيا، ففي هذه الحقبة إستخدم الجيش وسيلة جديدة منذ عام ١٨٦١م والسنوات التي تلتها،

(20). Williamson, Op. cit, p. 50

(٢١). سركيس، مرجع سابق، ج١، ص٤٠٣.

(٢٢). سارة شيلدز،الأغنام البدو والإتجار في الموصل،ترجمة يحيى صديق يحيى،بحث منضد (الموصل: ٢٠١٣م) ص٦٦.

وهو البرق كوسيلة حديثة للاتصالات، مما كان له أثره في إمكانية تهيئة قوات من عدة أقاليم مجاورة في مدة قصيرة جدا للحد من غزوات البدو، أو لشن حملات عسكرية على القبائل العربية المتمردة.

إذن واجهت شمر في نهاية الخمسينيات ليس فقط عزماً أقوى للسيطرة على تحركاتها من قبل السلطة العثمانية، ولكن أيضا تحديا من جيش منظم يمتلك أسلحة ووسائل اتصالات متطورة تحت تصرفه (٢٣)،في الوقت ذاته أي ما بين عامي ٥٧ و١٨٦٠م: حاول العثمانيون من جانب ثانٍ أن لا يقعوا في احتكاك عسكري مباشر مع شمر، لاسيما واليا بغداد محمد رشيد باشا وعمر باشا على التعاقب، فقد دعا محمد رشيد باشا عام ١٨٥٧م الشيخ فرحان إلى زيارة بغداد، وناقش معه شؤون شمر وأحوالها، وعقد معه الشيخ فرحان اتفاقا اقر فيه للشيخ فرحان مسئولا اكبر عن شمر أمام الحكومة، وان يكون هناك تعاونا وثيقا بينهما لضمان الأمن والنظام وسير القوافل في إقليم الجزيرة.

لقد جند العثمانيون للشيخ فرحان ٥٠٠ فارس تدفع رواتبهم الحكومة العثمانية من شباب شمر، كقوة خاصة للشيخ، يستطيع بها أن يعالج أي اضطراب يقع في منطقة سيطرته، وان يمتنع الشيخ فرحان عن جمع الخوة والإتاوات من القوافل والقرى التي تقع ضمن حمى شمر وباقي القبائل، كما زاد رشيد باشا الراتب الشهري للشيخ فرحان لتعويضه عن النقص المادي الذي سوف يلحق به عند تنفيذ الاتفاقية.

عزز عمر باشا الذي جاء بعد محمد رشيد باشا على ولاية بغداد هذا الاتفاق. بان أضاف إلى الشيخ فرحان ٣٠٠ فارس أيضا من شباب شمر مع معداتهم، وجعلت نفقاتهم ورواتبهم على خزانة ولاية بغداد، لتعزيز قوة الشيخ فرحان وسيطرته على الأمن والنظام في إقليم الجزيرة، ولمنع الغارات التي كانت تقوم بها بعض القبائل الشمرية على القرى والقبائل المجاورة من التي تتقاعس عن دفع الخوة لها. (٢٤).

---

(23). Williamson. op. cit,p60-62.
(24). Ibid, p62

عززت هذه الإجراءات من قوة التعاون بين شيخ شمر الأكبر فرحان باشا وبين السلطات العثمانية الحاكمة في بغداد والموصل، وأصبح باشا شمر منفذاً لسياسة الحكومة العثمانية في إقليم الجزيرة بشكل أو بأخر. في مجال حفظ الأمن والنظام، ومنع السلب والنهب، وسير القوافل التجارية بأمان، وعد من رجال السلطة المعتمد عليهم، مما سيكون له أثره في وضعه على راس المشيخة لشمر في الستينيات من ذلك القرن. [٢٥]

استمر التعاون بين الشيخ فرحان والسلطات العثمانية بعد اتفاقية عام ١٨٥٧م، إذ أنيط إليه بالإضافة إلى مسؤوليته السابقة حماية الخط البرقي الذي انشأ عام ١٨٦١م. والممتد بين حلب وبغداد، واخذ بالعمل منذ ربيع هذا العام[٢٦]، وأصبح الخط الممتد من الخابور إلى نهر الزاب الأكبر المار بديار شمر ضمن مسؤولية الشيخ فرحان، وتحت نظر رجاله، وأصبحت للباشا منحة شهرية تقدر ٣٥٠ قرشاً، أي رواتب ٣٠ فارساً غير نظامي نظير حماية الشيخ لهذا الخط المار في اراضي شمر.



قوة من الجيش العثماني في الجزيرة عام ١٩١١م بعدسة مس بيل

(25). Ibid

(٢٦). د محمد عصفور سلمان، العراق في عهد مدحت باشا (بغداد: ٢٠٠٧م)، ص٤٧.

العلاقات العثمانية الشمرية ١٨٦٠-١٨٦٨م

إن كل ما قام به العثمانيون في نهاية الخمسينات من اصلاحات عسكرية وتسيير القوارب المسلحة في دجلة، ونظام البرق للاتصالات، وتحسين قوات بغداد النظامية، وما تم الاتفاق عليه مع الشيخ فرحان من إقرار النظام في إقليم الجزيرة. لم يكن مختبراً على ارض الواقع، إذ لم يحدث تماس مباشر بين القوات العثمانية وشمر، في الوقت الذي لم يكن فيه الشيخ فرحان يسيطر سيطرة تامة على قبائل شمر،لأن قسماً من القبائل الشمرية لم ترض عن هذه الصيغة من التعاون بين شيخها والحكومة، كما أن عادة الغزو التي مارسها البدو منذ أجيال لا يمكن وقفها. لأنها تمثل إحدى الرياضات القتالية المحببة عندهم، فهي تمثل القدرة والقوة والشجاعة التي يثبتها الفرسان في ساحات القتال أثناء الغزوة، كما أن البدوي في طبعه لا يمكنه أن يكون تحت سلطة الحكومة وقواتها، وهو الذي قضى حياته كلها في الفلاة حراً، لا يحد سلطته وحركته إلا عرف قبلي، ورجل شجاع يقوده نحو الأفضل في حياته الصحراوية، هو شيخ القبيلة، كما أن الغزو كان يمثل موردا اقتصاديا هاما للبدوي يعمل بشكل أو بأخر من خلال الغنائم التي يتم الحصول عليها على إدامة الحياة في مثل هذه الظروف القاسية.

وفي ذات الوقت واجه الشيخ فرحان قوة شابة قوية من داخل بيته اخذ نجمها يعلو هو أخوه الشيخ عبد الكريم، الذي لم يرض لأخيه أن تكون له هذه العلاقة مع السلطة العثمانية التي قتلت اباهما صفوك، فكان في نقاش دائم واعتراض على سياسة الشيخ فرحان مع العثمانيين، كل هذه العناصر والأسباب كانت ذات طابع هش سوف تظهر نتائجها عند أول احتكاك مباشر بين سلطة بغداد والشيخ فرحان و شمر.

هذا ما حدث بالفعل عند تولي نامق باشا ولاية بغداد عام ١٨٦٠م، وفي العام التالي أي ١٨٦١م حدث العارض الذي اختبرت العلاقات العثمانية الشمرية فيه، عندما طلب متصرف كركوك من الشيخ فرحان وعبد الكريم

بمن معهما من شمر مساعدته ضد تمرد قبيلة العبيد التي كانت لها عداوة قديمة مع شمر، سارع الشيخ فرحان بقواته نحو كركوك، ولكن العبيد عندما علموا بقدوم شمر سارعوا بقبول الصلح بالشروط التي اقرها عليهم حاكم كركوك. لكن الحال لم ينته عند هذا الحد لأن الشيخ فرحان طلب من قبيلة الثابت التي كانت قد التجأت إلى العبيد بعد خلاف حدث بينها وبين باقي قبائل شمر، العودة إلى مضارب شمر، لكن رئيسها رفض ذلك. فقاد الشيخ عبد الكريم القوات الشمرية نحو الثابت التي احتشدت للمعركة التي قتل فيها رئيسها خليف الحدب، قامت الثابت على اثر ذلك بعبور نهر دجلة وأخذت بنهب القرى بين الموصل وبغداد، وأسفرت أعمالها عن نهب أكثر من ٣٠ قرية في عام ١٨٦٢ م. (٢٧)

كانت هذه الحرب الشمرية الداخلية الحجة والذريعة التي كان يبحث عنها نامق باشا والي بغداد، ليفرض سلطانه السياسي والعسكري الكامل على شمر، فما أن وقعت هذه الأحداث حتى باشر والي بغداد في جمع قوات الجيش النظامي من بغداد والموصل واورفة والمناطق الأخرى، فضلا عن قوات غير نظامية من قبائل العبيد والزبيد والمنتفك، وانطلقت الحملة نحو ديار شمر من الموصل في آذار عام ١٨٦٢م، تحت قيادة كل من تقي الدين باشا، وشبلي باشا، وموفق باشا مع مجموعة من القوات تقدر بـ ١٦ ألف مقاتل. كان هدفها الأساس هو أجلاء شمر قاطبة عن ارض الجزيرة الفراتية. (٢٨)

لم تكن شمر تحت قيادة الشيخ فرحان وأخيه عبد الكريم غريبة العهد عن مثل هذه الحملات الضخمة، فأتبعت شمر تكتيكاً عسكرياً بالانسحاب نحو الشمال باتجاه السهول الواقعة غرب وشمال غرب نهر الخابور، وذلك لعدم الاصطدام بقوات منظمة ومسلحة تسليحاً جيداً، بل عملت على اتعاب هذا الحشد من القوات الثقيلة الحركة، في حين تتمتع القوات الشمرية بسرعة الحركة وخفة الأحمال، ولجعل هذه القوات تعاني من حرارة الطقس في مثل هذه الأراضي التي التجأت إليها شمر، وهو بالفعل ما حدث. حيث أن هذه

(27. (Williamson. op. cit, p62-63.
(28). Ibid, p63.

القوات لم تستطع أن تتحمل هذا المسير الطويل، ولا حرارة المناخ في مثل هذه الأراضي، فضلا عن الخلافات التي أخذت تظهر بين قادة الحملة الثلاثة، الذين أخذ كل واحد منهم يبحث له عن نصر لنفسه على حساب الآخرين، مما آل بالحملة في النهاية إلى الفشل والخذلان، وعادت القوات إلى ثكناتها دونما تحقيق أي نصر على شمر.

أثبتت هذه الحملة طبيعة العلاقة الهشة بين السلطة العثمانية وشمر بقائدها الشيخ فرحان، كما وأثبتت الحملة أن التطورات التكنولوجية التي أدخلتها الدولة العثمانية على قواتها ومواصلاتها كي تسهل عليها السيطرة على العشائر المتمردة لم تنفع مع شمر. (٢٩)

لم يكن فشل الحملة العثمانية نصراً كبيراً لشمر، لأن الشيخ فرحان ومعه رؤساء عشائره شعروا بان الدولة العثمانية ركزت اهتمامها بشكل مباشر على شمر، وأن هذه الحملة كانت جادة في محاولة إخراج شمر عن ارض الجزيرة الفراتية، فكان من الأسلم لشمر أن تدخل في مفاوضات سلام مع العثمانيين، خاصة وان شمر في هذا الإقليم عانت من حرارة الصيف ونقص الحبوب، لأن والي بغداد نامق باشا كان قد سد على رجال شمر المنافذ إلى المدن الكبيرة للتسوق وشراء الحبوب، فقرر الشيخ فرحان أن يرسل مندوباً عنه إلى نامق باشا لغرض التفاوض في حل الخلاف بين ولاية بغداد وشمر، فذهب الشيخ سميط الفهد المطلك مفاوضاً عن شمر، وعقدت مباحثات ومناقشات في بغداد بينه وبين نامق باشا. كان من نتائجها أن سافر الشيخ فرحان بنفسه إلى بغداد في نفس العام وعقد اتفاقاً كان باهض التكاليف على شمر، إذ طلب والي بغداد غرامة تقدر ب٥٠ ألف رأس غنم و٣ آلاف جمل و٢٠٠ رأس من الخيل لعقد السلام بين الطرفين. (٣٠)

إن هذه الاتفاقية لم ترق للشيخ عبد الكريم ولكثير من رؤساء شمر، إذ اعتبروها ابتزازاً من قبل الحكومة، وانتقاصا من هيبة شمر ورجالها، فلم

---

(29). Ibid, p66.

(30). Ibid,p67 العزاوي، العراق بين احتلالين، ج٦، ص١٤٠-١٤١.

يستطع الشيخ فرحان حتى نيسان من عام ١٨٦٣م أن يجمع إلا ٣٣٥٠ رأس غنم و١٩٣١ جملاً.

لقد كانت الأعوام ما بين ١٨٦٣-١٨٦٨م سنوات هادئة بالنسبة لشمر. سوى ما كان يشكله الشيخ عبد الكريم وبعض العشائر التي معه من قوة معارضة داخلية، والغزوات التي حدثت بين شمر وعنزة مابين الأعوام ١٨٦٥و١٨٦٨م في الأراضي الواقعة غرب بغداد، التي كانت الغلبة فيها لشمر. [٣١]



البريد الخارج من الموصل في بدايات القرن العشرين

(31). Williamson, Op. cit.

الشيخ عبد الكريم الجربا

أن الحديث عن الشيخ عبد الكريم الجربا وبطولاته ومآثره عند البدو أضحى في أيامنا هذه كمن يتحدث عن الزير سالم، وعنترة بن شداد، وأبي زيد الهلالي، بحيث اتخذ هذا الفارس المحمدي النجيب مكانة له بين هؤلاء الأبطال الملحميين في التراث الشعبي البدوي، وحيزا واسعا في أشعارهم [٣٢]، وأضحى (أبو الجود)، و(أبو خوذة) عند بدو نجد وبادية العراق في عصرنا الراهن. مثالاً للرجل الجواد، الشجاع، الكريم، حامي الحمى الذي لا يسكت عن ظلم، وينصر المستغيث والملهوف، يرعى حق الجار، وصاحب الكرم العربي الأصيل، فأصبح بحق مثلاً يقتدى وقدوة عند البدو في نجد وبادية العراق.

عبد الكريم هذا هو الشيخ عبد الكريم بن الشيخ صفوك المحزم، واخو الشيخ فرحان من أبيه، لان أم الشيخ فرحان حضرية شمرية الأصل. فهي الشيخة لطيفة بنت عبد الله بن نايف بن عبد الله بن محمد الملقب بالكود، من آل رمال [٣٣]، بغدادية الموطن، وأمها من المشاهدة القريبة من كاظمية بغداد، وهنا نود أن نشير إلى رواية ذكرها العزاوي في كتابه عشائر العراق، أن الشيخ فرحان زار أهل المشاهدة وسأل أهلها لماذا لا يمارسوا الغزو ؟فأجابه أهلها أنهم لا يعرفون الغزو،فقال لهم: اغزوا الأضعف منكم، وهذه الرواية ضعيفة لأن أهل هذه المنطقة من السادة، وهم أخوال والدته، والشيخ فرحان ممن لا يحبون الغزو، فلا يمكن أن يتكلم معهم الشيخ فرحان بهذا الأسلوب. [٣٤]

---

(٣٢). بلنت، قبائل الفرات، ص٢٩١.

(٣٣). الشيخ حروش سالم عبدالعزيز الجربا، شمر وقبائلها، مخطوط بخط مؤلفه ونسخته لديه، ص٦٣،اطلع عليه الباحث في حياة مؤلفه.

(٣٤). العزاوي،عشائر العراق، ج١،ص ٤٥.

أما الشيخ عبد الكريم الجربا فأمه الشيخة عمشة الحسين بنت حسين العبد الله العساف شيخ طي العراق وأميرها، تربت على حب الصحراء وحياتها، وطباع البادية [٣٥]، كان الشيخ صفوك قد تزوجها في الثلاثينات من القرن التاسع عشر، بعد آن خطبها من أبيها وعقد قرانه عليها، وأمتنع بعد ذلك شيخ طي من تزويج عمشة لصفوك، لكن شاء القدر آن تكون هذه المرآة النجيبة لهذا الرجل الكريم. إذ رسم القدر خطة ووقع ابن أمير طي أسيرا وهو في رحلة صيد بيد بعض أفراد شمر، فجاؤا به إلى الشيخ صفوك وقالوا له: قد جاءت عمشة الحسين، فقال كيف: قالوا: لا نرد هذا الفارس إلى أبيه حتى تزف عمشة إليك، وأرسل بذلك إلى أمير طي، فزفت عمشة الحسين إلى الشيخ صفوك مع خدمها وأحمالها معززة مكرمة، ورد الفتى إلى أهله معززاً مكرماً.

ونحن إذ نذكر هذه القصة نود أن نصحح ما ذكره د. عبد العزيز نوار في بحثه حينما يذكر أن الشيخ صفوك تزوج عمشة غصباً [٣٦]، وهذا في الحقيقة ليس من طباع المحزم. وهذه هي قصة زواجه من الشيخة عمشة ام الشيخ عبد الكريم الجربا، التي أصبحت بما تحمل من أخلاق بدوية عالية، وذكاء عربي أصيل. سيدة البيت الأولى عند الشيخ صفوك بين نسائه. [٣٧]

وثمة سبب أخر جعل أمير طي يوافق على تزويج الشيخة عمشة من المحزم هو: أن يحفظ لطي مكانتها بمصاهرة الجربا شيوخ شمر، كي يعفو طي من الخوة التي كانت القبائل تدفعها لشمر، وهو ما حدث بالفعل بعد زواج الشيخة عمشة من الشيخ صفوك، الذي حفظ لها مكانة خاصة عنده ولدى عموم شمر، ولقد ذاع صيتها بين قبائل البادية، واستطاعت الشيخة عمشة لحسين أن تكتب لها تأريخا حافلا مع ابنيها عبد الكريم وفارس. [٣٨]

كان مولد الشيخ عبد الكريم في حدود عام ١٨٣٥م، ونشأ في كنف المحزم مع باقي أخوته، وعند مقتل المحزم عام ١٨٤٧م كان الشيخ عبد

(٣٥). نوار، تاريخ العراق، ص٤٧٢

(٣٦). العزاوي، عشائر العراق، ج١، ص. ٤٥.

(٣٧). نوار، تاريخ العراق، ص٤٧٢.

(٣٨). زكريا، مرجع سابق، ج٢، ص٦٣٨،

الكريم في بداية شبابه، ولم يرض عن الموقف الذي اتخذه الباشا فرحان من مقتل أبيه، والموقف السياسي الحكيم الذي تعامل به مع العثمانيين، فبقي الشيخ عبد الكريم يكن العداوة والبغضاء للقوات العثمانية، ولكل ما هو تركي، ثم أخذ بالتصدي لبعض القرارات التي كان الشيخ فرحان يتخذها ضمن محاولاته لمسايسة السلطة العثمانية، لأجل الحفاظ على شمر وأرضها وقوتها، ومكانتها المميزة بين القبائل الأخرى في هذا الإقليم، وأصبح الشيخ عبد الكريم في الخمسينات من القرن التاسع عشر قوة بمن معه من شمر لا يستهان بها، لها كلمتها في ديوان الباشا، لتبرز هذه القوة بشكل جلي بعد فشل الحملة العثمانية على شمر عام ١٨٦٢م، إذ نراه يقف موقفاً حاسماً في وجه الشيخ فرحان، فرفض تقديم التعويضات إلى السلطة العثمانية، وساندته في هذا الأمر بعض قبائل شمر، وأخذ في الثأر لمقتل أبيه ولكل ما لحق شمر من أذى على أيدي العثمانيين، فقام بحركة عصيان مسلح على السلطة العثمانية، متعرضاً للقواتها ومخافرها المنتشرة على أطراف الصحراء، من جنوب تركيا الحالية إلى جنوب بغداد. في انتفاضة استمرت حوالي سنتين وصلت ذروتها عام١٨٧١م، وكانت شديدة الوطأةِ على السلطة العثمانية في اسطنبول وبغداد، وكلفت الدولة العثمانية مبالغ هائلة، وأعداداً كبيرةً من الرجال، لصد هذا الفارس الشمري الشجاع.



من مآثر الشيخ عبد الكريم الجربا

أشارت لنا بعض المصادر إلى الدمار الذي ألحقه الشيخ عبد الكريم (ابو خوذة) بالقرى والمخافر التركية الواقعة في الأطراف الشرقية للجزيرة الفراتية، شمال الموصل إلى جنوب بغداد قد قارب ٤٠٠ قرية ومخفر. [٣٩] أثناء ثورته التي سنتحدث عنها فيما بعد، وقد حاول العثمانيون بشتى الطرق استمالة الشيخ عبد الكريم، وأرسلوا له الوفود تلو الوفود. دونما رد ايجابي من قبل هذا الفارس الشجاع، الذي شبهته الرحالة الليدي آن بلنت بشخصية صلاح الدين الأيوبي، [٤٠]، بل على العكس من ذلك كان الشيخ عبد الكريم لا يتورع عن إهانة هؤلاء المندوبين، وتوجيه الكلام القاسي لهم[٤١]، وإظهارهم بمظهر المحتل الذي لا يمت إلى العروبة والبداوة بصلة.

وهنالك حادثة لأحد المبعوثين الأتراك الذي جاء إلى الشيخ عبد الكريم،فأعجب بأحد خيول الشيخ، وطلب منه أن يعطيه إياه، وهو من السلالات الأصيلة فنرى الشيخ يرفض أن يقدم له هذه الفرس (الكحيلة) ورد عليه بقصيدة هي بحق من روائع قصائد الفرسان هذه أبياتها: [٤٢]



---

(39). Lady Anne Blunt,Edouin Tribes of the uphrates (london (1878) vol. 2. p 124-125.

(40). Ibid.

(41). Ibid.

(٤٢). من التراث الشعري الشمري.

دزيت لي يابيه خطنٍ يروع ... تطلب عذاب مشاتلات الصروع
أبغي اليا ما ضبضبن الفزوع ... أقصر اخطاها والسبايا حمايا
بزود عمري قصرته بالجليلة ... بين الكمين وبين تالي المغيرة
يابيه جنها ردة المستديرة ... الله يفكها من عطيب الهوايا
يابيه والله مانسوك الكحيلة ... ولا تفاختن يا بيه ولو ربع ليلة
أبي اليا حدرن مع طويلة ... أبري عليها جدعة للطنايا
يابيه ما هي شلغم بالصحون ... ولا الباميا يا بيه بوسط اللكون
هذه كحيلة مثل عنز البدون ... طلابها يابيه مالو عنايا
أنا أذكر والله يوم تقلب حذاها ... نجوم تقطع دون عاليا سماها
يابيه ما أعطي بها ولا أبيع ... ولا همني يابيه كثر المطاميع
أبي اليا من جلعن بالمداريع ... أصير مثل الحبس خلف الونايا
يابيه مخطي كيف تطلب سبوقي ... واليا اخفتن موميات العلوكي
أبي إن جان السعد صار فوقي ... بخودي عليها جن لوذ الرعايا
يابيه ما هي قيمرن بالبواطي ... بحذية قصقيص لب القواطي
أبي اليا جو رفوف السواطي ... أوردها يابيه حوض المنايا
يابيه أنا مطلوب وهي طريفة ... من كثر ما افخت ولفن عن وليفة
يابيه ورخم الطوابير كفت ... والخيل بشناق العجمان ترفة
ابغن عليها قطتن للحمادي ... بيومن على الويلان ناخذ رعايا
ما هو أنا يابيه تطلب جوادي ... يعاد أنا أمير سبع البوادي
قبلك حاربنا الخالدي والشريف ... أماركل حملن علينا خفيف
عند الزعل ما نعطي عدال الرغيف ... واليا جاء الرضا حنا كبار العطايا

في حين نرى الشيخ عبد الكريم الجربا وكما أوردت آن بلنت أنه في إحدى معاركه مع الفدعان من عنزة التقى بجدعان بن مهيد شيخ الفدعان، رفيق الصبا والخصم فيما بعد [٤٣]، والشيخ جدعان هو ابن خالة الشيخ عبد الكريم، مع ٥٠ من الخيالة وقت الغروب، ومن عادة البدو أن لا يكون بينهم

(٤٣). بلنت، قبائل الفرات، ص٣٤١.

قتال في الليل، بقي الشيخ جدعان بن مهيد مع فرسانه في انتظار الصباح ليخوض معركة خاسرة مع شمر والشيخ عبد الكريم، وفي الليل جاء إلى الشيخ جدعان فارس راكباً فرساً أبيض سبوق. من أفضل خيول شمر، ومعه رسالة من الشيخ عبد الكريم يقول له فيها: انه أهدى إليه فرسه هذه كي ينسحب عليها، لأنه لا يريد أن يقع الشيخ جدعان في الأسر إكراما له ولمكانته، وفي الصباح قاتل الشيخ جدعان على هذه الفرس البيضاء ثم انسحب عليها وغاب عن وجه الشيخ عبدالبكريم، ولم يقع في أسره، ووقع من معه في قبضة الشيخ عبد الكريم. ثم أطلق سراحهم إكراما للشيخ جدعان. [٤٤]

وهذه الشهامة والأخلاق العربية الأصيلة ليست إلا النزر القليل مما يروى عن أبو خوذة. الذي جاءت هذه التسمية لكرمه وجوده الموصوف به، والذي تغنى به الشعراء وأطالوا في وصفه، ومما قالوه في الشيخ عبد الكريم وكرمه: ما قصد فيه الشاعر خلف أبو ازويد، وهو من آل رخيص من شمر فقال:

عبد الكريم الله على الناس بداه ... رقا سنام بالمجد ماله لطيم
يمشي بثوب العز والرب مشاه ... عطوه من الذي راضين به رحيم
من جية حوا لازم لليوم لاقاه ... ماشفت مثله بالوادم كريم
بالفعل مشكور سطيرن بيمناه ... معبدٍ للجود وبالسياسة فهيم
يدوس خبات المدارس بمثلاه ... خواض خبات المدارس عزيم
نفل بقول خوذه للي تنصاه ... عليه من تلحين موسى الكليم
وقبلٍ يقولن حبسهن بالملاكاه ... فجحان ألي يعوقن للجريم
أل ذلوله ماتونى بممشاه ... فرز الوغا نقاض ذات الخصيم
عبد الكريم إل جلالٍ عطاياه ... يعطي ارجاب ومحصنات الرهيم
شهدوله الحكام والترك بحماه ... الو مازالك بصيص وحكيم[٤٥]

---

(44). Blunt. op. cit,p 125.

(٤٥). من التراث الشعري الشمري.

وقصد الشاعر فجحان الفراوي المطيري في آل محمد وبالشيخ عبد الكريم:

أَخذت لي من بين الاثنين سجه — مابين ابو بندر وولد الإمام
من عقبهم ناخذ على الهجن هجه — لديار سمحِين الوجيه الكرام
لمشاهد الجربان فرضٍ وحجه — ما هم بناىَ الشَعر والخيام
اما ألكرم مافيه صجه ولجه — ومحمد يغالطهم جنوبٍ وشام
منصاي هو ملفاي يوم اتوجه — عبدالكريم اللبث غاية مرامي
كَم واحدٍ جاه من بعيدٍ يسجه — يبي يشوفِك يابعيد العلام
وكم مرةٍ خلى على الضد عجه — بنمراً يجره مثل لون التهام
تلقى بقلب اللي يعادِيهِ رجه — من خوفته يحرم عليه المنام
وشلفا توسع بالأَباهر مفجه — وحدب السيوف اللي تقص العظام
على مهار يرعب القلب عجه — فرسان يكدون العدو بالزحام
آخر كلامِي لبو خوذة موجه — شط الفرات إلى حدتك الضوامي
ياالله يا والي المقادير نجِه — حيثن كريم ومن موارث كرام(٤٦)

وللفراوي في الشيخ عبد الكريم ايضا:

عبد الكريم اليا ركب يعبوبه — لاكن رجله عند الأقفا عايبه
جده من امه من مواريث حاتم — وابوه شيال الحمول النوايبه
حامي الرمك معطي الرمك — له هدة تكثر بها الجنايبه
لو يقضب الياقوت ما عيا به — تلقى الندى بين الحجاجين رايبه(٤٧)

وقصد الشليمي الضفيري في الشيخ عبد الكريم الجربا طالباً إبلا له كانت أخذت من قبل شمر. فردها اليه ابو الجود وأكرمه قائلاً: (٤٨)

(٤٦). نفسه.
(٤٧). نفسه.
(٤٨). نفسه.

ياراكــب مـــن فـــوق حثـــات الأوبـــار	فـــج انحـــورٍ اليـــا انتـــوى كـــل نـــاوي
حمـــرن ركـــب بظهـــورهن كـــل مغـــوار	عيـــرات مـــن هـــز المطـــارج ســـعاوي
مثـــل القطـــا عـــن واهـــج الكـــيض عبـــار	اليـــاجن يـــنهش مـــن قفـــاهن ضـــراوي
حـــيلن زهـــا بظهـــورهن دشـــن الأكـــوار	متنحـــرات اديـــار عطبـــا الهـــاوي
ومـــدن مـــن الـــداير علـــى شـــبة النـــار	والعصـــر بـــالمرفوع عشـــرٍ نضـــاوي
أرقـــب رقيبـــتهن بطـــراف ســـنجار	تطلـــع الجربـــان بهكـــا الحـــراوي
شـــاف بيـــوتن كـــأنهن زومـــة الطـــار	اكبـــار صـــحون امـــزبنين الجـــلاوي
واليـــا ازبـــن ببيـــوتهم مالـــه الثـــار	محـــد عليـــه مـــن المعـــادين قـــاوي
يامـــا عطـــوا مـــن ســـابجن كـــز قنطـــار	ويامـــا اغتنـــى بســـبايهم مـــن فـــداوي
ترثـــت اصـــفوك الـــي تعرفـــه بالأذكـــار	يامـــا تمنـــى قـــربهم مـــن خـــلاوي
ادنـــى بـــالأدنى كـــان للربـــع تختـــار	عبـــد الكـــريم اليـــا بلتـــك الـــبلاوي
يرجـــع لنـــا شـــكحى بـــأول الـــذود معطـــار	تشـــوش اليـــا ســـمعت نديـــة النـــداوي
شـــواي ســـيف الهنـــد بـــي موقـــد النـــار	مـــن الـــزو جنـــه بوســـط البيـــر داوي
يـــرده الّـــي للطـــوابير كســـار	جـــان الشـــليمي للبويضـــة رجـــاوي
ماطـــاع بالجـــارات عمســـين الاشـــوار	رد الســـلف هـــو والجهامـــة خـــلاوي
نفســـه خفيفـــة مامشـــى درب الأنكـــار	حـــرن غلـــب عشـــه بحقـــن قصـــاوي
الله يبـــيض وجهكـــم عـــد مـــا صـــار	أبـــيض مـــن قطـــن العفـــر عنـــد راوي



وقال فيه الشاعر ردهان ابن عنكا: (٤٩)

يـــاراكبين موميـــات الســـفايف	حمـــرٍ وتكـــل جاســـينٍ ذرعـــانهن خـــام
متحـــيلات عقـــب مـــاهن عســـايف	ســـودن الربـــع عـــام بـــأثر عـــام
يبـــدي كلامـــن مـــن دمـــاغي طرايـــف	مـــن راس عـــودن صـــايبه غـــش وهيـــام
يلفـــن علـــى عبـــد الكـــريم ابـــو نـــايف	ياعـــل عـــزه دايـــم دب الأيـــام
ياشـــيخ يـــاللي للمحـــزم خلايـــف	ياشـــبه زملـــوق الثريـــا إليـــا زام
يالولـــب الحكـــام وافـــي الكلايـــف	لـــولا عليـــك مـــن المثـــاليم مـــثلام
بصـــغات راسِـــك يـــم راعـــي غرايِـــف	لاقاعـــدِين عـــزك براســـه ولاقـــام
حطـــاط قـــيح بـــالقلوب النظـــايف	عجلـــن علـــى نقـــل المشـــاخيت مـــيلام
وعســـكركم الـــي مـــا يـــدور العلايـــف	حقـــن لكـــم مـــن دور فـــارس وزكّـــام
أشـــوف غـــرب زملهـــم مـــنكم خـــايف	وش علمكـــم يامدلهـــة كـــل مـــرزام
ثـــلاث جمـــوعٍ عـــايزات الوصـــايف	مِتنحِـــرين ديـــار جـــدعان وإدهـــام
مـــاكن تراهـــا ماتفيـــد الحســـايف	ألـــي يفـــوت البارحـــة جنـــه العـــام
وأقطـــن الكســـرن مـــا تضـــبه ســـنايف	كســـرٍ كبيـــر ولا يواليـــه حـــزام

ومما قاله الشاعر عيد الزوميلي في الشيخ عبدالكريم الجربا حينما جاءه الخبر وهو في مضارب عنزة بوفاة أبو خوذة، ثم تبين له أن الخبر غير صحيح فأنشد: (٥٠)



(٤٩). نفسه.

(٥٠). نفسه.

علمن لفاني مقدم الراس شابي أحس منه قلبي يتكارش ربيعة
أدوي دوي الذيب ولحد درى بي من واهج بالكبد مثل الخليعة
ودمعي جما السيل تحدر مع سحابي مع بارج مثل المشاعل لميعه
قالوا غدا معطي الفرس وعذابي ياعين يلي ما يبطل دميعة
نشدت ابكار درهمن بالجنابي قالن أكذب وحكي العرب لا تطيعة
وسألت أمهارن جربن بالحزامي وقالوا غدية من المباغيض شيعة
الياما لفى راعي الكعود الذياب جياب شخاليل العلوم الوجيعة
ونشدته بمفتاح بابه وبابي قال أرجهن ما طب كبده فجيعة
لو هو صحيح كان بان الخرابي وحتى القمر والشمس يكسف شعيعة
وأمسى الضحى نطيت أنا راس نابي رجم الحصى بديار غالي المبيعة
وطالعت أنا بيتن طايفن بالسراب مع أيمن البستان غربي منيعة
منوة سفيح الزاد وكث الغيابي راعيه قطاع الفجوج الوسيعة
أمير حلوين المحازم أحبابي اللي لهم كل القبائل مطيعة
عجيد قومن اليا ومر بالذهابي لفى النذر لمار بشر جميعة
ما سرحوا للحمض طوال الرقابي ويصبح راعي المال كبده وجيعة
من ضرب حر الياعدا مايهابي مضراب كفه بالحباري شنيعة
جم خفرة شققت جديد الثياب صاحت عليه وراح عنها جفيعه
شيخ وبعض المشايخ أحسابي معطي يعابيب المهار المنيعة

ولعل علاقة الشيخ عبد الكريم الجربا بأحد الشعراء المشهورين من عنزة، (محدى الهبداني) دليل آخر على مآثر هذا الشيخ في الكرم والجود وحسن الضيافة، إذ أن هذا الشاعر كان قد ترك الفدعان وشيخها جدعان بن مهيد. والتجأ إلى الشيخ عبد الكريم، بعد أن وصف سبب التجائه عند أبو خوذة بأبيات من الشعر قال فيها: (٥١)

---

(٥١). السديري، ابطال من الصحراء (الرياض: ١٩٧٨م٠)، ص٢٢٥-٢٢٦.

يـــا لله يـــاخلاق صـــبح بثـــر ليـــل	بأذنـــك عســـى تســـمع لعبـــدك ســـواله
تفـــزع لمضـــهود وطـــا راســـه الشـــيل	مـــا بـــين كـــاف ونـــون تـــنعش احوالـــه
يادارنـــا عفنـــاك مـــن زايـــد الميـــل	عيفـــة عـــديم شـــاف نقـــص الجلالـــه
يـــادار يـــادار الخطـــا والتهاويـــل	حقـــق لمقلـــول الرفاقـــة نوالـــه
يـــادار مـــا يســـكن بـــك إلا قـــوي حيـــل	يقضـــي لحاجاتـــه بســـيفه لحالـــه
يـــا ربعنـــا هيـــا نوينـــا المحاويـــل	نـــروح عـــن دار العيـــا والضـــلاله
ســـموا وطيعـــوني علـــى الزمـــل ونشـــيل	لعبـــد الكـــريم اللـــي تـــذكر فعالـــه
للشـــيخ نطـــاح الوجيـــه المقابيـــل	ومـــن صـــكته غبـــر الليـــالي عنالـــه
الـــدار دار وكـــل دار بهـــا كيـــل	والـــرزق عنـــد اللـــي عظـــيم جلالـــه

ومما يروى عن محدى الهبداني والشيخ عبد الكريم، أن الشاعرمحدى كان جالساً ذات يوم في مضيف الشيخ عبد الكريم، وأهدي لأبو خوذة جواداً عربياً أصيلا، فقام الشيخ عبد الكريم بإهدائه إلى الشاعر محدى الهبداني، وكان هذا الجواد من خيرة الخيول العربية، فقام احد الحاضرين من شمر وسأل محدى الهبداني قائلاً: أسألك بالله يا محدى أن تخبرني أياً من عبد الكريم الجربا وجدعان بن مهيد أحب إلى نفسك. فقال محدى الهبداني: ويحك لا تسألني بالله عليك، ولكن الشمري ألح في سؤاله والحاضرون والشيخ عبد الكريم جلوس، فرد محدى في جوابه للسائل أن (غليون) جدعان بن مهيد عندما ينفث منه الدخان، ويعطيني لأخذه وامزه يساوي عندي كل ما أعطاني إياه الشيخ عبد الكريم الجربا.

عندما سمع الشيخ عبد الكريم هذا ثارت ثائرته على الشمري، وطرده من ديار شمر، واقسم أن رآه في ديار شمر ليفصل رأسه عن جسده، ثم التفت إلى ضيفه محدى الهبداني وشكره على حفظه لكرامة أهله وشيوخه وقال: لو أنك قلت غير ذلك لاستهجنتك، وطلب من رجاله أن يعطوا محدى خمس عشرة ناقة من الإبل الوضح (البيض) تقديراً له [٥٢]، وهذه بعض مآثر وأعطيات هذا الشيخ الشمري الشجاع.

---

(٥٢). نفسه، ص٢٢٧.

كان الشاعر محدى الهبداني في غزوة مع الشيخ عبد الكريم على الفدعان، فتذكر أهله ودياره وهو لاجيء عند أبو خوذه، فقال هذه الأبيات الواجدة، وفيها يمدح الشيخ عبد الكريم الجربا: [53]

يا دار وين إلي بك العام كاليوم   وما جن مرك عقب خيري أنجوعي
خالجنا بك بس ينعي بك اليوم   ما كن وقف بك من الناس دوعي
شفت الرسوم وصار بالقلب مثلوم   وهلت من العبره غرايب دموعي
وين الجهام إلي بك العام مردوم   وضعون مع جدوة سلفهم تزوعي
أهل الرباع مزبنة كل مضيوم   واهل الرماح مظافرين الدروعي
راحوا لنا عدوان وحنا لهم قوم   ولا ظنتي عقب التفرق رجوعي
وان صاح صياح من الضد مزحوم   تجيك دقلات السبايا فزوعي
يرجب عليهن بالقا كل شغموم   فريس والله ما تهاب الجموعي
خيالهم ينطح من الخيل حثلوم   يوم الأسنة باالنشامى شروعي
ياشيخ أنا عندك معزز ومحشوم   ويمضي علي الحول كنه أسبوعي
ياشيخ قلبي بالوفى صار ماسوم   لربعى ولا أنا ياشيخ منهم جزوعي
وعيني لشوف الحيف ماتقبل النوم   والقلب يجزع يبن هدف الضلوعي
وياشيخ أنا أوصفك يامغني القوم   ياصاطي القطاع وحسن الطبوعي
حلياك حرٍ يفني الصيد ملحوم   متفهج الجنحان حرٍ كطوعي
حرٍ علم بالصيد من غير تعلوم   يودع بدايد الريش شتٍ مزوعي[54]

وبعد سماع الشيخ عبد الكريم هذه الأبيات من الشاعر محدى، عدل عن غزو عنزة إكراما لصديقه الشاعر محدى الهبداني.

ومما يروى عن علاقة الشاعر محدى الهبداني بالشيخ عبد الكريم. انه في ذات يوم كان الشيخ عبد الكريم في غزوة من غزواته على عنزة أهل محدى الذي كان يرافقه فيها، وأثناء سيرهم جاء الشيخ عبد الكريم البشير بولادة مولود له، فقال من كان مع الشيخ عبد الكريم للبشير: اذهب وبشر

---

(٥٣). نفسه، ص٢٢٩-٢٣١.

(٥٤). من التراث الشعري الشمري.

محدى الهبداني صديق الشيخ، فجاء البشير إليه وبشره. فرد عليه محدى: لا بشرك الله، واسأل الله آن المولود الذي بشرتني به لا يبلغ سن الفطام، فقال له البشير: ويحك لماذا تقول هذا في ابن الشيخ عبد الكريم، فقال: أقول ذلك لأنني أخشى آن يترعرع هذا الطفل وينمو، وتكتمل رجولته، ثم يكون مثل أبيه فيقضي على البقية الباقية من عنزة، فضحك القوم من كلام الشاعر محدى الهبداني، وعندما سمع الشيخ عبد الكريم كلام محدى قال: ما يقوله محدى مقبول عندي. (٥٥)

إن لفظة (خوذة) قد جاءت الشيخ عبد الكريم من موقف كريم له، إذ أنه في إحدى الليالي وبينما كان الشيخ عبد الكريم نائماً في فراشه، أحس بأن أحداً ما يتحرك حول مضيفه، فخرج ورأى أحد الشمامرة يسير نحو قبائل عنزة للحوف (للسرقة)، فناداه الشيخ عبد الكريم وقال له: أريد منك أن تعلمني كيف تحوف (تسرق) الإبل منهم، فقام وجلب أحد جمال الشيخ فقال له (خوذة)، وأتى له بثانٍ وثالث ورابع وهو يقول له خوذة، فسارت هذه العبارة وصفاً للشيخ عبد الكريم. ومقترنةً باسمه لكثرة ما كان يرددها في اعطياته لضيوفه وطلاب الحاجة إليه.

ولعل هذا النص الذي أورده الرحالة الفرنسي ليجان عام١٨٦٦م، في رحلته إلى العراق عن الشيخ عبد الكريم، لدليل أخر على كرمه وعدم مبالاته لما يعطيه من أموال، وعدم رغبته في التعاون مع السلطة العثمانية، وما حاولت به هذه الدولة من التقرب إليه إذ يقول: "أن شيخ شمر الحالي شاب يحكم عشيرته بيد من حديد، ورغم ذلك فهو يتمتع بشعبية بين أتباعه، لأنه حسب التعبير الشعبي يده مفتوحة، فهو يأخذ من هنا وهناك ليقدمه باليد الأخرى لمن يحتاج إليه، ولقد حاولت الدولة العثمانية قبل بضع سنوات كسب ود هذا الشيخ، فأرسلت إليه البراءة السلطانية مع النيشان العثماني المجيدي، وجاء رسول يحمل الأنعام السامي بأسم والي بغداد، فأستقبل الشيخ الشاب هذه المكرمة بلامبالاة. ولم يعرها اهتمامه، وأثناء وصول الهدية إلى خيمته دخل على الشيخ عبد الكريم احد الشمامرة الذي يسميه ليجان

---

(٥٥). السديري، مرجع سابق، ص٢٢٨.

(علـي الأعـور) فنظـر إلـى النيشـان الـذي تحـيط بـه أحجـار المـاس، وكـان موضـوعاً فـي صـدر الخيمـة، أعجب بـه وتقدم منـه وأخـذه دون تـردد بعد أن طلب من الشيخ عبد الكريم أن يعطيه لـه، فتركه الشيخ عبد الكريم ولـم يتكلم معه، فأخذه. رأى الشيخ عبد الكريم آن الأمر طبيعـي بالنسبة لـه، لأن العادة بين أهل الباديـة إذا أبدى احدهم إعجابـه بشـيء فلا يليق بصـاحبه منعـه عن أخـذه، خاصـة آن كـان هـذا الشـخص موصـوفا بـالكرم واشـتهر عنه آن يـده مفتوحـة، أرسـل الشـيخ عبـد الكـريم البـراءة السـلطانية لأمـه الشـيخة عمشـة الحسين وطلب آن يقرأ نصها عليها، فاستغربت عندما رأت آن ابنهـا لا يحمل الوسام، فاستفسرت عن السبب. فأجابها ببساطة انه لم يعد معه، وانه وهبه إلـى احد الشمامرة الذي كان قد أعجب به، فلامته أمه على عمله هذا كون النيشـان من السلطان العثماني، وكما سمته الباديشاه عبد المجيد". [٥٦]



مدحت باشا والي بغداد

(٥٦). بطرس حداد، رحلة ليجان الى العراق عام١٨٦٦م، مجلة المورد، بغداد، ١٩٨٣م، مجلد١٢، ١٣، ص٨٠.

الأنتفاضة ونهاية الفارس

شكلت انتفاضة الشيخ عبد الكريم الجربا ما بين عامي ١٨٧٠-١٨٧١م قلقاً كبيراً للسلطة العثمانية في ولايتي بغداد والموصل، إذ أخذ الشيخ عبد الكريم بالإغارة على المخافر العثمانية المنتشرة على أطراف الجزيرة بين ماردين و الموصل، وسدد لها ضربات موجعة، فضلا عن قيامه في كثير من الأحيان بقطع طرق المواصلات بين بغداد والموصل، وضرب العشائر التي تتحالف مع السلطة العثمانية ضده، وكانت الشرارة الأولى لإنتفاضته عندما اعلن الشيخ عبد الكريم ان مشير ماردين قد وجه اهانة له وعامله بإزدراء.

قام الشيخ عبد الكريم بإرسال الرسل من قبله إلى العشائر القاطنة ارض الشامية وخاصة عنزة، وعقد اجتماعا بين الشيخ عبد الكريم وشيوخ عنزة في ارض الشامية، اتفقوا معه أن يعاونوه في انتفاضته ضد الأتراك، أو يكونوا على الحياد، ولا يتعاونوا مع السلطات العثمانية ضده، ولكن مع قيام الشيخ عبد الكريم بالأنتفاضة نرى أن شيوخ عنزة ينضمون الى الأتراك، وكانوا مع الجيش الذي أرسله مدحت باشا لمحاربة الشيخ عبد الكريم وشمر التي معه.

استمر هذا الفارس بإنتفاضته التي أطلق عليها العثمانيون (خراب عبد الكريم) مدة سنتين لاقت فيها السلطة العثمانية في العراق الكثير من فرسان شمر، في الوقت الذي كان فيه الشيخ فرحان باشا قد أتبع سياسة حكيمة مع العثمانيين، ومع أخيه عبد الكريم، بحيث انه لم يشارك في إنتفاضة الشيخ أبو خوذة، لكنه لم يحاول منع الشيخ عبد الكريم من القيام بها، أو الدخول في صراع عسكري ضده لقمع إنتفاضته، في الوقت نفسه الذي أظهر فيه الشيخ الباشا للعثمانيين بأنه ليس مع أخيه، وأنه يحاول كبح جماح هذه الأنتفاضة. ويعمل على حماية طرق المواصلات بين بغداد واسطنبول عبر الموصل، وكذلك بين الموصل وحلب.

استخدم الأتراك قبل هذه الأحداث السياسة القديمة التي اعتادوا عليها عندما لا يستطيعون أن يقفوا في وجه شمر، أو يحدوا من قوتها، فأوعزوا إلى القبيلة الند لشمر وهي عنزة بالنزوح عن الشامية إلى الجزيرة، والاصطدام مع شمر، وبالفعل تحركت عنزة نحو ضفاف الفرات باتجاه الجزيرة فواجهها الشيخ عبد الكريم بقواته مابين عامي ١٨٦٥-١٨٦٨م بعدة غزوات كان من نتيجتها أن انسحبت عنزة إلى داخل الشامية [٥٧]، ولم تستطع كبح جماح هذا الفارس والقوة التي معه من شمر الذي واستطاع أن يهزمها، مما جعل السلطة العثمانية تجد في ملاحقة الشيخ عبد الكريم ومن معه للقبض عليه خاصة بعد أن جاء إلى بغداد والٍ عثماني قوي وذكي استطاع أن يضبط العراق بيد من حديد هو مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧٢م).

لقد جاء هدا الوالي التركي والإداري المتمرس إلى بغداد، وفي نيته تتريك العراق وجعله تحت السلطة المركزية المباشرة، وتنفيذ إصلاحات عديدة في هذا البلد تجعل منه أكثر ارتباطا بالسلطة العثمانية في اسطنبول. وتعزيز النفوذ والسيطرة التركية العثمانية عليه، من خلال سياسته التي عرفت بالتحديث، عبر الإصلاحات المالية والإدارية التي قام بها في ولاية بغداد خاصة. وعموم ما يعرف بالعراق اليوم عامة. [٥٨]

كان التمرد العشائري وعدم دفع الضرائب من قبل القبائل البدوية وعشائر الفرات، هو الهاجس القوي الذي حرك مدحت باشا للسيطرة على هذا الوضع الشاذ بالنسبة للإدارة العثمانية في العراق، فحاول في البدء أن يضرب بيد من حديد وبقسوة شديدة كل تمرد عشائري من جانب، ومن جانب آخر حاول استمالة شيوخ العشائر ورؤسائها من خلال الأعطيات والهبات الكبيرة التي قدمها لهم، والمساحات الواسعة من الأراضي الأميرية التابعة للدولة التي ملكها لهم كي يكونوا إلى جانب السلطة العثمانية ضد أي تمرد يحدث في مناطقهم، من جهة، ولكي يكونوا تحت طائلة السلطة الحاكمة عندما يستقرون في أراضٍ محددة لهم من جهة أخرى.

---

(57). williamson. op. cit,p67,

لوريمر، مرجع سابق، ج٤، ص ٢١١٩

(٥٨). نوار، تاريخ العراق، ص١٤٨.

كانت إنتفاضة الشيخ عبد الكريم الجربا أحدى المنغصات التي أقلقت حكم مدحت باشا، فكان عليه أن ينهي هذا التمرد بأي شكل من الإشكال، لذلك نراه يجهز قوات كبيرة للحاق بالشيخ عبد الكريم من جهة، ويحاول استمالة الشيخ فرحان ومن معه من شمر كي لا يساعد الشيخ عبد الكريم من جهة أخرى، فاستحصل للشيخ فرحان على لقب الباشوية، وحدد له راتباً شهرياً، واقتطعت له أرض واسعة عند الشرقاط جنوب الموصل [٥٩]،كي تكون مقراً دائماً له، كما وزعت الأراضي على شمر للاستقرار والزراعة في مقابل منع الغزو واعادة البضائع المنهوبة، وعدم التعاون مع الشيخ عبد الكريم في إنتفاضته ضد الحكومة. [٦٠]

اتخذ الشيخ عبد الكريم موقفاً واضحاً من السلطة العثمانية وبشكل جلي وواضح بإنتفاضته خلال الأعوام ١٨٧٠و١٨٧١م، عندما أخذ في التجول مع من معه من شمر الذين كان يربو عددهم على ٢٠ ألف فارس وراجل [٦١]، وأخذ في تخريب المخافر التركية ما بين ديار بكر والموصل، مما سبب قلقاً كبيراً للسلطة العثمانية ولوالِيي ديار بكر والموصل، وأخذا بالتجهيز والتحضير لمواجهة الشيخ عبد الكريم وقواته، وكانوا في ذات الوقت على اتصال دائم مع والي بغداد مدحت باشا. [٦٢]

حاول العثمانيون أن يجعلوا الشيخ عبد الكريم في هذه المدة شيخاً لمشايخ شمر على حساب أخيه فرحان باشا، فأصدر الباب العالي في اسطنبول أمراً بذلك [٦٣]، ولكن الشيخ عبد الكريم لم يكن على استعداد لقبول هذا المنصب، من قبل الذين قتلوا أباه، بل على العكس من ذلك بقي على ود وتفاهم وثيق مع الباشا فرحان، وحاول الشيخ فرحان أن يظهر للعثمانيين خلال السنين الأخيرة من حياة الشيخ عبد الكريم بأنه مع السلطة الشرعية العثمانية، في حين كان على اتصال دائم مع أخيه الشيخ عبد الكريم ويقدم له

---

(٥٩). نفسه.

(60). Williamson. op. cit,p74.

(٦١). بلنت، قبائل الفرات، ص٢١٨.

(٦٢). عباس العزاوي، العراق بين، ج٧، ص٢٦٢.

(٦٣). نفسه، ص٢٦٣.

ولشمر التي معه كل أنواع المساعدة ومنها نقل الأخبار عن التحركات العثمانية.

حاول الشيخ عبد الكريم أن ينهي التواجد العثماني على ارض الجزيرة الفراتية، وربما أراد أن يحقق حلم والده صفوك الجربا في تكوين كيان عربي خارج الحكم العثماني، وسعى إلى تحقيق ذلك بحيث أن أهل الموصل كانوا يخرجون إلى قوات الشيخ عبد الكريم المأكل والمشرب خفيةً في الليل، وتهيؤا لاستقباله مع قواته إذ ما دخل الموصل.

تحرك الشيخ عبد الكريم مع من معه من شمر في انتفاضة شاملة عام ١٨٧٠م[٦٤] بعد أن أصبح مشروع مدحت باشا في توزيع الأراضي على شمر قرب الشرقاط الفتيل الذي ألهب نار الثورة لديه، فضلا عن خلافه مع حاكم ماردين العثماني، إذ أحس بما ينوي مدحت الباشا الذي عزز التواجد العثماني على أطراف الصحراء، من جعل شمر تحت سلطة الحكومة وسيادتها، من خلال توطينها، ونبذ الحياة البدوية التي اعتبرها الشيخ عبد الكريم انتقاصاً بحق شمر وأخلاقها البدوية، فقام بالتوجه من اورفة إلى الموصل، ثم أعاد ضرب المخافر العثمانية بين الموصل وبغداد، في الوقت الذي كان فيه مدحت باشا مشغولاً بانتفاضة الفرات الأوسط في الحلة والديوانية، بما عرف بثورة الدغارة التي قادتها العشائر الشمرية في هذه المنطقة، حاول الثوار في هذه المناطق الاتصال مع الشيخ عبد الكريم لتوحيد القوى ضد التواجد العثماني في العراق، ولكن ثورة الفرات الأوسط فشلت قبل وصول الشيخ عبد الكريم إلى أطراف بغداد[٦٥]، في الوقت الذي كان فيه الشيخ عبد الكريم قد أوهم مدحت باشا أنه نازل من اورفة لمساندة القوات العثمانية ضد الثوار في الدغارة.

عاد بعدها الشيخ عبد الكريم إلى الشمال من بغداد، وأخذ بالاستعداد لمواجهة مدحت باشا والقوات العثمانية، وقسم قواته إلى ثلاثة أقسام تحركت باتجاه الموصل ودير الزور وبغداد، في الوقت الذي قام فيه أبوخوذه بإرسال

(64). Williamson. op. citp75..

(٦٥). العزاوي، العراق بين، ج٧، ص٢٦٢-٢٦٣.

الرسائل إلى شيوخ العشائر المجاورة لهذه المناطق للثورة على السلطة العثمانية. (٦٦)

في حين شرع مدحت باشا بالتحرك نحو الشيخ عبد الكريم بعد أن قضى على ثورة الفرات الأوسط (٦٧)، وقام بالاتصال بواليي ديار بكر والموصل لتجهيز القوات ضد الشيخ عبد الكريم، وأعلن في ذات الوقت عن مكافأة تبلغ ١٠ آلاف قرش لمن يقبض على الشيخ عبد الكريم ويسلمه حياً، وخمسة آلاف إذا سلم للسلطة العثمانية ميتاً

لم يكن التقسيم العسكري للقوات الذي اتخذه أبو خوذة ذا فائدة كبيرة بالنسبة له ولشمر، فقد تحرك والي ديار بكر إسماعيل باشا باتجاه الجنوب ومعه ٤ أفواج من القوات(٦٨)، وتوجه احمد باشا القائد العام للفيلق السادس من بغداد، وتحركت قوات أخرى من ديالى، والتقت القوات التركية بالشيخ عبد الكريم قرب الشرقاط(٦٩)، في معركة فاصلة وغير متكافئة في. (٧٠) العدة والعدد، نتيجة لقلة القوة التي كانت مع الشيخ عبد الكريم، وانهزام القوات التي كان قد أرسلها إلى بغداد ودير الزور، وابتعاد قسم من قبائل سنجارة عنه قبل قيامه بالأنتفاضة، كما يؤكد ذلك الشاعر التريباني في أبياته هذه(٧١):

البارحة ياشيخ أنا بتت بهموم	**من علةٍ باجي الملا ما دروبه**
أمشي بوسط نزولكم تكل مسموم	**تلعب بي الدنيا على غير بوبه**
ياراجب إلي فوكها تكل مرجوم	**محلى سبيب الذيل غاشي كعوبه**
تلفي لبيتٍ شامخ العصر بعلوم	**أنتم مفاتيحه ومغاليج بوبه**
أتحارب العمان وتصاحب الكوم	**يا شيخ حورانيتك وش ذنوبه**
إذخر هل الجدعا أليا جتك ازحوم	**اليا فتقت بكعا عليكم جيوبه**
يخلون عين المانعي تقبل النوم	**الياجنبت بعض الجهامة دروبه**

(66). Williamson. op. cit,p76..

(٦٧). العزاوي، العراق بين، ج٧، ص٢٦٣.

(٦٨). صديق الدملوجي، مدحت باشا (بغداد: دون تاريخ) ص٤٤.

(69). Williamson. op. cit,p76.

(70). op. cit,p77.

(٧١). من التراث الشعري الشمري.

أدى هذا الحال إلى خسارة القوات الشمرية في هذه المعركة الشرسة مع القوات العثمانية الضخمة، وسقط من شمر حوالي ٣٠٠ محارب، تحرك بعدها الشيخ عبد الكريم من مكمنه في وادي بعاجة قرب الشرقاط نحو الصحراء باتجاه وادي الثرثار، ولكن لسوء الحظ كان هذا الوادي قد جف فهلك العديد من أفراد شمر نتيجة العطش، في حين واصلت القوات العثمانية ومن معها من قبائل الدليم وعنزة بملاحقة الشيخ عبد الكريم ومن معه من شمر، وقتل في هذه المعارك الشيخ عبد الرزاق بن صفوك اخو الشيخ عبد الكريم من قبل قوات والي ماردين، في حين عبر أبو خوذة ومن تبقى معه من فرسان شمر الذين كان عددهم ٢٠٠ فارس نهر الفرات تجاه البادية الجنوبية (الشامية)، بعد ان رفض شيوخ العمارات من عنزة قرب النجف استقباله، خوفا من السلطات العثمانية [٧٢]، محاولاً في مسيره هذا الوصول إلى نجد عند آل رشيد أمراء حائل، في جو صيفي شديد الحرارة، لأجل تجميع قواته وإعداد شمر والمعاودة ثانيةً لمقارعة العثمانيين. [٧٣]

حاول مدحت باشا أن يمنع الشيخ عبد الكريم من الوصول إلى نجد، فأوعز برسالة شديدة اللهجة إلى الأمير محمد بن عبد الله الرشيد يأمره فيها آن يلقي القبض على الشيخ عبد الكريم إذا ما دخل ارض نجد، والا فسوف يقوم الوالي مدحت باشا بغزو حائل وإزالة إمارة آل رشيد، في الوقت نفسه أرسل الوالي رسالة أخرى إلى صديقه شيخ المنتفك ناصر بن راشد السعدون المعروف (بالأشقر)، الذي ما فتئ يسعى إلى تكوين علاقة طيبة مع الوالي مدحت باشا. بأن يحتال في القبض على الشيخ عبد الكريم أثناء تحركه في البادية، ومن ثم يرسله حياً إلى بغداد. [٧٤]

كان ناصر السعدون على استعداد تام لتنفيذ هذا الأمر، رغبةً منه في كسب ثقة الوالي به بشكل أوثق، وللحصول على ١٠ الآلف قرش مكافأة القبض على الشيخ عبد الكريم وإرساله حياً، أخذ شيخ المنتفك في التقصي عن

---

(٧٢). الدملوجي، مرجع سابق، ص٤٤، جرجيس، مرجع سابق، ص٥٣،
Williamson. op. cit,p74

(٧٣). لوبنهايم، البدو، ج١، ص٢٤٠.

(٧٤). سلمان، مرجع سابق، ص١٩١.

الشيخ عبد الكريم في أرجاء الشامية إلى آن جاءه الخبر بمكان منازل الشيخ عبد الكريم في ابو طير، [٧٥]، فأرسل إلى الشيخ أبو خوذه من يدعوه إلى وليمة أعدت لاستقباله، والحفاوة بقدومه عند شيخ المنتفك ناصر السعدون، وان الشيخ ناصر سيحاول أن يحصل له على عفو من السلطات التركية، في حين انه كان قد أخفى الجند الأتراك في بيته للقبض على الشيخ عبد الكريم.

حضر أبو خوذة إلى مكان الدعوة آمنا مطمئنا لعهود ومواثيق الشيخ ناصر السعدون التي قدمها له، وعند وصوله مع من معه، اعلم ناصر السعدون بذلك، فأمر أن يضاف الشيخ عبد الكريم في بيت احد معتمديه، وأمر معتمده أن يلقي القبض على الشيخ عبد الكريم على أية صورة كانت، فلما رأى الشيخ عبد الكريم نية الغدر به. أراد ركوب جواده ليقف في وجه أعداءه، فأحاط به المعتمد وأعوانه، وأثناء العراك معه جرح الشيخ عبد الكريم، واستطاع أعوان الشيخ ناصر السعدون الإمساك به، أمر الشيخ ناصر الأشقر أن يرسل الشيخ عبد الكريم إلى الوالي مدحت باشا عبر الباخرة الفرات [٧٦]، بعد أن كان الجند الأتراك قد شدوا وثاقه وأصبح هذا الصقر الجرناس تحت سلطتهم، وفي قبضة أعدائه، كما وأصبح هذا الغدر وخيانة العهد والميثاق عارا على الشيخ ناصر السعدون بين القبائل.

وعند إلقاء القبض على الشيخ عبد الكريم كانت الشيخة عمشة الحسين في بيت ناصر باشا مع أهله وعياله، فعلمت ما آل إليه حال ولدها، فخرجت فزعةً إلى ناصر السعدون، وصاحت فيه: غدرت بولدي. هلا أمسكت به على ظهور الخيل: لكنك تعلم ما يفعله بكم، والغدر شأنكم، فسل عليها سيفه وأراد ضربها به، فمنعته زوجه من ذلك وقالت له: آن الحق معها. غدرت بابنها وحملت العار بفعلتك هذه بين القبائل. [٧٧]

---

(٧٥). سلمان، مرجع سابق، ص١٩١.
(٧٦). نفسه، ص١٩٢
(٧٧). الشاوي، مرجع سابق، ص٧٦.

وقال احد الشعراء في ناصر السعدون وما فعله: [٧٨]

يــا ناصــر الســعدون لوانــت بيــده ما أعطاك لو يقضبون السما بيده

أجريت للشيخ عبد الكريم الجربا محاكمة في بغداد علناً أمام مجلس التمييز،وحكم عليه بالإعدام، ولما كان أبو خوذة من أصحاب الرتب. أرسل الوالي الأعلام والمضبطة إلى اسطنبول ليصدق الباب العالي على الحكم، ومن ثم أرسل الشيخ عبد الكريم الجربا مقيداً بحراسة مشددة إلى الموصل، وقد كتب مدحت باشا إلى واليها شبلي باشا آن يشنق الشيخ عبد الكريم عند وصوله إلى الموصل، لأن انتفاضته كانت على هذه الأرض، كي يكون عبرةً لغيره ممن يثورون على الدولة العثمانية. [٧٩]

عند وصول الشيخ عبد الكريم الموصل. وصل الأمر السلطاني كذلك بإعدامه، فتم شنق الشيخ عبد الكريم الجربا عند الأرض المقابلة لجسر الموصل الواقع على نهر دجلة، من جهة أطلال مدينة نينوى الأثرية في ٢٠/١١من عام ١٨٧١م [٨٠]، ودفن جثمانه عند مرقد النبي يونس بالموصل، بعد أن قام هذا الفارس النبيل بإنتفاضته ضد السلطة العثمانية، وسجل بشهامته وكرمه وفروسيته أعلى معاني الإباء والنخوة العربية.

لقد رثي الشيخ عبد الكريم الجربا من قبل شعراء البادية بالعديد من القصائد والأبيات الشعرية، التي عبرت معانيها عن جمالية النص الشعري البدوي، وصدق تعبيراته في وصف الشخصية التي قيل فيها هذا الشعر، ومن هذه القصائد ما قاله الشاعر الكزيعي في نعيه:

---

(٧٨). من التراث الشعري الشمري.

(٧٩). الشاوي، مرجع سابق، ص٧٦.

(٨٠). العزاوي، العراق بين، ج٧، ص٢٦٣، Williamson. op. cit,p77

Rassam,op. cit,p47 .

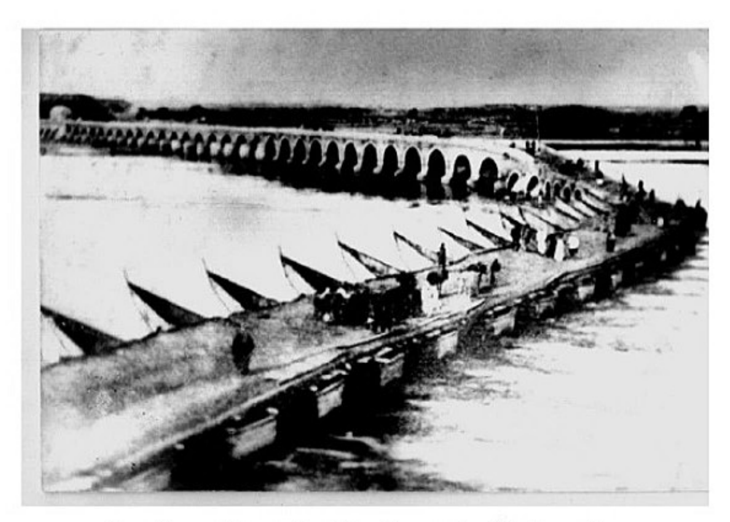
نصيتك يا عبد الكريم بحاجتي وجرالي من طول المسير عذاب
ولقيت على مراح الشيوخ زباره زاد من السكر وزادي ذاب
الشاهد الله والمسمى بالسما سماك ياعبدالكريم وصاب
أنا أشهد إنك مثل هداج تيما يفيد لو هو بين الواردين سراب
مانقصه لو سواك تسعين ساقيه وتسعين غَرب غرفهن صباب
طالبك من جملة الخيل كبه كبا وصدره سوات الباب
الزور والزاغور ماأريد خيلهم بيني وبين الفاينين حجاب[81]

ورثاه الشاعر محدى الهبداني بقصيدة جاء فيها: [82]

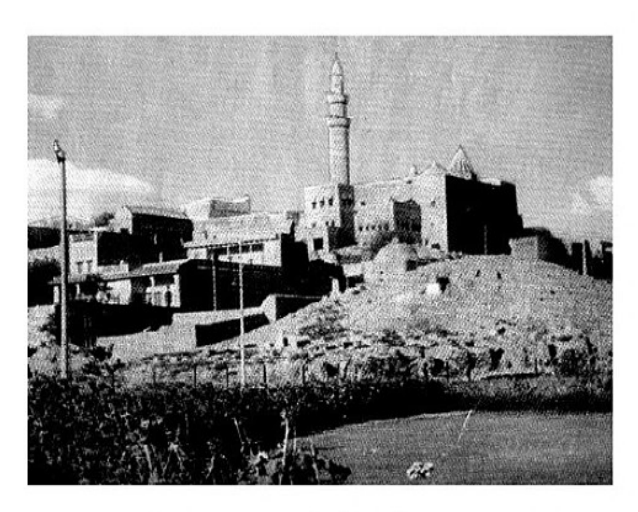
يادار سلطان العرب وين هو صار ريف الضعافي مهفي المال والخيل
يادار وين هديب شيال الأكطار لوك الزمول اليا تحايد عن الشيل
حر مثل من سبكة طمار صادوه غمجين البصاير هل التيل
ياعل هاك الوجيه يحجز عن النار يجاه الملوك الي من الله مراسيل
من البصرة لرفه لفيحة لسنجار الرشم ماينهج وياتي بلا كيل
ولكن براس الذرو شبت النار ولكن سرت به ركاب التعاليل
يادار ماطبج هماليل وأمطار ريفك محل عقب العصاة المشاجيل

أُعدم عبد الكريم الجربا وانتهت بإعدامه أخر إنتفاضة حقيقية لشمر ضد الوجود العثماني على أرض الجزيرة الفراتية، وقد وصفته اليدي آن بلنت بقولها: "كان بطلا من أبطال شمر سيبقى يذكر بينهم حتى في الأجيال القادمة، وكانت القبيلة في حياته قوية غنية وتتمتع بهيبة في كل البادية، لقد كانت حياة عبد الكريم حياة بطولة (رومانسية) يصعب أن نجد مثيلا لها، ونجد ذلك في ذكراه التي تضفي على حياة العائلة والقبيلة من ورائها الفخر والأعتزاز". [83]

(٨١). من التراث الشعري الشمري.
(٨٢). نفسه
(٨٣). بلنت، قبائل الفرات، ص٢٥٨.



جسر الموصل الذي اعدم عنده الشيخ عبد الكريم الجربا



جامع النبي يونس الذي دفن فيه الشيخ عبد الكريم الجربا

شمر والاستقرار الريفي الأول

كان قانون تسجيل الأراضي (الطابو) الذي شرعته السلطة العثمانية عام ١٨٥٩م[٨٤]، وحاولت تطبيقه في الولايات التابعة لها قد تعثر العمل به في العراق، نتيجة لأعمال الرشوة والمحسوبيات، واستحواذ بعض الأشخاص على أقطاعات واسعة من الأرض، حتى وصول الوالي مدحت باشا إلى ولاية بغداد، إذ حاول هذا الوالي أن ينظم ملكيات الأراضي، وان يحصل الفلاح على ارض ذات مساحة معقولة، كي يتسنى له زراعتها، وتم تسجيل هذه الأرض في دوائر الطابو وثبتت ملكيته لها.

كما عمل الوالي مدحت باشا على توطين القبائل البدوية الرحل في مناطق زراعية، ومحاولة تحويلها إلى قبائل مستقرة تمارس الزراعة، وكانت شمر من أولى القبائل التي حاول الوالي تحويلها من قبيلة بدوية تمارس الرعي والترحال، وقوة قبليةً تشكل تهديداً للسلطة العثمانية في بغداد والموصل. إلى قبيلة مستقرة تمارس الإنتاج الزراعي، وتتخلى عن الغزو وخلق المشاكل للسلطة العثمانية، وتكون تحت نظر سلطة ولايتي بغداد والموصل، فعرض مدحت باشا على الشيخ فرحان أن يقطعه أرضا واسعة قرب بلد لتكون النواة الأولى لتوطين شمر، التي كان يربو تعداد افرادها في ذلك الوقت بين ٦٠و٧٠ الفا [٨٥]، ولكن موقف الشيخ عبد الكريم الذي أحس بنوايا العثمانيين جعله يتخذ موقفاً معارضاً لهذا الاستيطان، وشهر سيفه في وجه السلطة العثمانية. مما جعل مدحت باشا يؤجل مشروعه الاستيطاني لشمر إلى أن تم ألقاء القبض على الشيخ عبد الكريم وإعدامه في نهاية عام ١٨٧١م، إذ أصبح بعد هذا التاريخ الشيخ فرحان شيخ مشايخ شمر بلا منافس ولو لبعض الوقت، وهو سياسي يحسن التعامل مع السلطة العثمانية، لذا نراه يوافق على اخذ الأراضي التي أقطعها له مدحت باشا قرب بلد شمال بغداد

(٨٤). العزاوي، العراق بين، ج٧، ص١٨٠.
(٨٥). نوار، تاريخ العراق، ص٣٧٦-٣٧٧.

وسميت الفرحاتية [٨٦] تيمناً بأسم الشيخ، فضلا عن منطقةٍ أخرى قرب الشرقاط جنوبي غرب الموصل، وتم تعيين الشيخ فرحان متصرفاً للواء شمر، وارتبط إداريا بباشوية بغداد [٨٧].

قام مدحت باشا بالكتابة إلى اسطنبول لإرسال الخلع السلطانية إلى الشيخ فرحان، لتوكيد رتبة الباشوية التي كانت قد أعطيت له من قبل، وقد تم ذلك بالفعل مع منحه رتبة امير الأمراء، منح ارفع وسام يمنح مع هذه الرتبة [٨٨]، وعمل الشيخ فرحان على إنشاء قلعة خاصة به على أنقاض مدينة أشور الاثارية شرق الشرقاط على نهر دجلة، محاولا مسايرة سلطة بغداد لاستيطان شمر، فأنشأ ما يشبه المعسكر الاستيطاني لشمر قرب القلعة التي شيدها، وقام الشيخ فرحان بجلب عدد من العمال المزارعين من قبائل الجبور الساكنة في هذه المنطقة لزراعة الأرض الممنوحة له، وشق قناة للماء من نهر دجلة زرعت على جانبيها بعض أشجار الفاكهة ونصب عليها عدد من النواعير والكرود لسقيها.



الكرود التي كانت تنصب على الأنهر

ولأجل كسب ود الشيخ فرحان، فقد حددت السلطة العثمانية في بغداد مبلغاً من المال يقدر بـ٢٠ ألف قرش سنوياً له من الضريبة العشرية التي كانت تستوفيها الدولة من المزارعين، ولكن العثمانيين استكثروا هذا المبلغ

(٨٦). جريدة الزوراء، بغداد، السنة الرابعة، العدد ٢٧٤، في ١٢٨٩/٦/٢٥هـ، ١٨٧١/٨/١٢م، بلنت، قبائل الفرات، ص٢١٥.

(٨٧). خالد العاني، مرجع سابق، ص٣٠٨.

(٨٨). العزاوي، العراق بين، ج٧، ص٢٦٣، عجاج وجرجيس، مرجع سابق، ورقة٩٥.

فيما بعد، فقتل ثم قطع عن الشيخ فرحان لاحقا. [٨٩] لما رآه العثمانيون من أن هذه المبالغ ستعمل على تقوية الوضع المادي للشيخ فرحان، مما سيجعله أكثر استقلالا عن سلطات بغداد، مع طمع ولاة بغداد الأتراك الجشع في جمع أموال الدولة والناس والاستيلاء عليها فيما بعد.

سكن الشيخ فرحان باشا في قلعة الشرقاط التي سماها (العامر)[٩٠]، معظم شهور السنة، لكن شمر لم تستقر عند القلعة لمدة طويلة، ولم تستطع الحكومة العثمانية من تحويل شمر عن بداوتها إلى قبيلة مزارعة، إذ بقيت شمر على ارتباط دائم مع الصحراء وحياتها، ولاحظ ذلك من زار الشرقاط في أوائل الثمانينات من القرن ١٩ من المسافرين الأوربيين، فضلا عن الليدي آن بلنت، التي زارت المعسكر الاستيطاني للشيخ فرحان بالشرقاط في آذار من عام ١٨٧٨م. لأجل لقاء الشيخ الذي لم يكن متواجدا في القلعة، لأنه كان ذاهبا إلى ابن عمه الشيخ نايف أبو انجور داخل الجزيرة[٩١]، فقام الشيخ عبد العزيز بن الشيخ فرحان باستقبالها مع زوجها ولفريد، وكان الشيخ عبد العزيز في ١٥ من العمر، فلم يرق لبلنت وزوجها هذا الاستقبال وبقيا ٣ ايام في القلعة، ثم غادرا المكان غير راغبين بالعودة إليه ثانية [٩٢]، بالرغم مما قام به الشيخ فيصل بن فرحان باشا من تقديم الأعتذار عما قام به اخاه الشيخ عبد العزيز، وعلى أي حال فلقد فشل هذا المشروع الاستيطاني الذي حاولت تطبيقه سلطات بغداد العثمانية على شمر. [٩٣]

برغم من هذا الفشل فقد أعطى هذا المشروع الاستيطاني بعض النتائج الحضارية لآل محمد خاصة ولشمر أيضا، إذ أن شيخ شمر فرحان باشا الذي كان قد درس في استنبول عند احتجازه مع أبيه الشيخ صفوك، واطلع هناك على الحياة المدنية في العاصمة العثمانية، وكذلك في الموصل وبغداد، وما تركته عليه من بصمات، جعلت الشيخ فرحان ينقل بعض المظاهر الحضرية إلى قلعته التي شيدها في القسم الشمالي الشرقي لمدينة اشور الأثرية، على

(٨٩). العزاوي، العراق بين، ج٧، ص٢٦٣، عجاج وجرجيس، مرجع سابق، ورقة٩٥.
(٩٠). اوبنهايم، رحلتي، ج١، ص ٢٤٩.
(٩١). بلنت، قبائل الفرات، ص٢١٥-٢١٧.
(٩٢). نفسه.
(93). Williamson. op. cit,p 78.

رأس قمة مرتفعة تطل على نهر دجلة شمال مدينة الشرقاط الحالية [٩٤]، فأستقدم رجل دين من الموصل[٩٥] ليؤم المصلين ويعلم أبناءه، سكن في القلعة يعلم أصول الدين الإسلامي الحنيف طيلة شهر رمضان المبارك، واستقدم المدرسين لتعليم أبنائه اللغة التركية، وبعض أصول الحياة الحضرية في المدن، ووضع له ساعٍ هو عوض الرمو لينقل للشيخ الباشا فرحان الرسائل إلى بغداد، وليعود ومعه رسائل الولاية مع الرواتب الشهرية للشيخ فرحان، وكان هذا الساعي يقطع المسافة بين الشرقاط وبغداد في ٣ أيام سيراً على الأقدام.





بقايا قلعة الشيخ فرحان (العامر) في الشرقاط

---

(٩٤). جرجيس، مرجع سابق، ص ٥٣.
(٩٥). بلنت، قبائل الفرات، ص٢١٥-٢١٧.

أوضاع شمر على أرض الجزيرة ١٨٧٥-١٨٩٠ م

لم يعان الشيخ فرحان الذي منح منصب متصرف على لواء شمر من قبل مدحت باشا قبل أن يعزل عام ١٨٧٢م [٩٦] أية مشاكل في إدارة شمر، وأصبح الزعيم بلا منافس على مشيخة شمر وقيادتها، وقد استمر هذا الحال إلى العام ١٨٧٥م[٩٧] عندما عاد أخوه الشيخ فارس بن صفوك الذي كان مع أخيه الشيخ عبد الكريم في انتفاضته، وعندما القي القبض على الشيخ عبد الكريم التجاء الشيخ فارس مع أمه عمشة الحسين إلى جبل شمر عند آل رشيد أمراء حائل دونما الأتصال بالأمير محمد العبد الله اواللقاء به او يقيمان في حائل نهائيا [٩٨]، وهو في العشرينات من عمره لا كما أورده بعض الكتاب من انه كان صغيراً فهربت به أمه إلى حائل مع أولاد الشيخ عبد الكريم. [٩٩]



الشيخ فارس باشا

كما رسمته في شبابه آن بلنت ١٨٧٨م

---

(٩٦). العزاوي، العراق بين، ج٧، ص١٤.

(٩٧). بلنت، قبائل الفرات، ص٢٦٢.

(٩٨). النحاس، مرجع سابق، ص٣٣٣، ويشير خطا الى ان عمشة لحسين ذهبت عند اقاربها الرشيد في حائل، وهذا جهل في الأنساب والبيوتات. ان بلنت ،رحلة إلى نجد، ترجمة احمد ايبش (دمشق: ٢٠٠٤م) ص ٢٧٣.

(99). Oppenheim,Die Beduinen,vol 1,p 149,Williamson. op. cit,p 79, محمد احمد محمود، لحوال العشائر العراقية وعلاقتها بالحكومة ١٨٧٢-١٩١٨م، رسالة ماجستير غير منشورة (بغداد: ١٩٨٠م) ص٨٣.

إن الحساب الزمني يؤكد لنا أن الشيخ فارس كان في العشرينات من عمره عندما ذهب إلى نجد، إذ أن أباه الشيخ صفوك كان قد قتل في العام ١٨٤٧م، ولنقل آن الشيخ فارس ولد في هذا العام، والشيخ عبد الكريم اعدم في العام ١٨٧١م، فمعنى هذا آن الشيخ فارس كان عمره عند إعدام الشيخ عبد الكريم الجربا ٢٤ سنة، فهو إذن شاب ناضج، وقد التجاء بأمه وأولاد أخيه الشيخ عبد الكريم خوفاً على نفسه وعليهم من بطش العثمانيين،إلى جبل شمروبقو في البادية ولم يتصلوا بلأمير محمد العبد الله خوفا من ان يسلمهم إلى متحت باشا.

بعد آن استقر الحال في الجزيرة الفراتية. واستطاع الشيخ فارس ألصفوك كما يطلق عليه، أو (راعي البل) الاتصال مع رؤساء القبائل والأفخاذ الشمرية التي كانت مع أخيه الشيخ عبد الكريم، التي لم تستطع آن تبقى على ارض الشرقاط، و تأكد من ولائهم له عاد إلى أرض الجزيرة و هو يحمل في خلجات نفسه كرهاً دفيناً للسلطة العثمانية [١٠٠]، الذي غذته فيه الشيخة العربية الطائية زوج صفوك الجربا عمشة لحسين التي كانت معروفة في البادية(أم عبد الكريم)، وكانت تطمح إلى أن تعاد قوة شمر تحت قيادة أحد أبنائها على أسلوب القيادة نفسه الذي كان يتبعه زوجها المحزم كما تصورت هي، وأخذت في جبل شمر تحث أبنائها على كراهية الترك، وتعد الشيخ فارس لاستعادة مجد أبيه، وتعيد لشمر وحدتها المهابة من قبل الأتراك والقبائل الأخرى[١٠١]، وعلى الرغم من كونها امرأة أمية لا تقرأ ولا تكتب، لكنها كانت تمتلك ذكاء حادا، فاتخذت لها كاتباً ليقرأ الرسائل لها التي ترد إلى ابنها الشيخ فارس، كما وتقوم هي بالرد على هذه الرسائل نيابة عنه، فضلا عن قيامها باستقبال الضيوف في مضيف أبنها عند غيابه، وتصفها آن بلنت: إنها كانت من النوع الوقورالجليل بين نساء البادية. [١٠٢]

جاء الشيخ فارس إلى ارض الجزيرة واخذ بمنافسة أخيه الشيخ فرحان على مشيخة شمر، كاد من نتيجته أن يوقع صداماً مسلحاً بين الأخوين لم

(100). Williamson. op. cit,p 80, محمود، مع سابق، ص٨٣

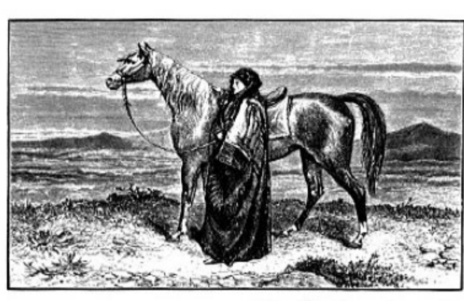
(١٠١). نوار، تاريخ العراق، ص٤٧٢–٤٧٣.

(١٠٢). حداد، رحلة ليجان، ص٨٠، بلنت، قبائل الفرات، ٢٥٨.

يستمر طويلا، فبحنكة الشيخ فرحان وشهامة الشيخ فارس توصلا إلى اتفاق بينهما، وبسعي السلطة العثمانية لأجل تحقيقه، فقد بقي الشيخ فرحان نتيجة لهذا الاتفاق مع من معه من شمر في قلعة الشرقاط، في حين توجه الشيخ فارس ألصفوك إلى قائم مقامية دير الزور، واستوطن بمن معه من شمر بالقرب من هذه المدينة التي تقع في منتصف المسافة بين بغداد وحلب على نهر الفرات. (١٠٣)

لعب كل من آن بلنت وزوجها ولفرد دوراً هاماً في تقوية طموحات الشيخ فارس، عندما زاراه في منطقة ألشدادي قرب الخابور. وشجعاه على عدم التفاهم مع العثمانيين، رغبة منهم في خلق المشاكل للأتراك على أرض الجزيرة، لأجل تحقيق مآربهم الخاصة المتمثلة بجمع الخيول العربية الأصيلة، وكذلك لأجل تحقيق سياسات بريطانيا الاستعمارية، وقد عقد الشيخ فارس مع ولفرد صداقة متينة في البادية، أصبح ولفرد أخا للشيخ فارس بحسب تقاليد شمر، واحترم ولفريد هذه الصداقة للشيخ فارس الجربا، إذ انه في إحدى رحلاته في البادية الشامية بين قبائل عنزة، أهدى ولفريد مسدسا له إلى احد شيوخ عنزة، لكنه اخذ على هذا الشيخ عهدا أن لا يستخدمه ضد الشيخ فارس الجربا(١٠٤)، ووصفت آن بلنت الشيخ فارس عندما زاراه بأنه: كان شاب طلق المحيا وسيم التقاسيم، ودلت ملامحه بحسب قولهم على انه إنسان ينحدر من أصول نبيلة. (١٠٥)





ولفرد وزوجته آن بلنت

(103). Oppenheim,Die Beduinen,vol 1,p 147.

(١٠٤). بلنت، قبائل الفرات، ص٢٥٧–٢٦٦، نوار، تاريخ العراق، ص٤٧٤.

(١٠٥). بلنت، قبائل الفرات، ص٢٥٧–٢٦٦، رحلة الى نجد،ص٥١، ٣٣٩ ،نوار، تاريخ العراق، ص٤٧٤.

لم تكن هناك ثمة صعوبات أمام الشيخ فارس في جمع القبائل الشمرية حول زعامته، خاصة تلك التي كانت مع أخيه الشيخ عبد الكريم ورفضت التوطين الذي فرضه عليها العثمانيون، ورفضه كذلك الشيخ فارس راعي البل، وأصبح لدى الشيخ فارس جمع ضخم من قبائل شمر تحت رايته، أخذت تشكل خطراً على قائم مقامية دير الزور والقبائل القاطنة حولها، لذلك حاول إسماعيل باشا الحلبي قائم مقام دير الزور، والذي كان من اصول عربية. ويعرف كيفية التفاهم مع شيوخ العشائر،(١٠٦) أن يجنب منطقة حكمه المشاكل التي تسببها الصراعات القبلية وأعمال الغزو بينها، خاصة تلك القوة من شمر التي تحت راية الشيخ فارس، فقام إسماعيل باشا بعقد اتفاق ودي مع الشيخ فارس الذي كان هو الآخر بحاجة إلى السلام مع العثمانيين، لينظم شمر ويقوي سلطتها على هذه الأرض، ونص هذا الاتفاق الذي تم بين حاكم دير الزور والشيخ فارس على أن يحمل الشيخ فارس لصفوك لقباً رسمياً (بيك) ومنصباً إدارياً برتبة قائم مقام على شمر، ثم عدل اللقب إلى باشا، وراتب شهري من الحكومة العثمانية (١٠٧)، وقد وصل إلينا ختم الشيخ فارس على إحدى الوثائق التي كتبها إلى الأثاري الألماني البارون ماكس اوبنهايم وعليه وظيفته الرسمية (قائم مقام شمر). (١٠٨)

قام الشيخ فارس بعد أن أمن علاقاته مع العثمانيين بعقد الاتفاقات التي تؤمن الهدوء والسلام في إقليم تواجده، مع جدعان بن مهيد شيخ الفدعان من عنزة، تم خلاله منع الغزو بين الفدعان وشمر الزور التي تحت قيادته. (١٠٩)

أصبح الشيخ فارس لصفوك الشهم الشجاع والفارس الذي خبر الصحراء، الكريم بلا حدود كما وصفه أحد الكتاب (١١٠) ويؤيده القصيد البدوي كالذي نراه في قصيدة الشاعر خضير الصعيليج التي قالها مادحا إياه(١١١):

(١٠٦). بلنت، قبائل الفرات، ص٢٦٢-٢٦٦..

(107). Williamson. op. cit,p 80.

(108). Oppenheim,Yom Mittelmeer,vol 2,p 66.

(١٠٩). ان بلنت، الحج الى نجد، ترجمة محمد غالب، مجلة العرب، الرياض، ١٩٨٢م، العدد١٤، ص١٨٤.

(١١٠). بلنت، قبائل الفرات، ص٤٠٠.

(١١١). من التراث الشعري الشمري، وينسبها اهل نجد وكتابهم الى الشيخ عبدالكريم الجربا خطا.

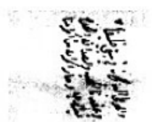
ياشيخ أناجيتك على الفطر الشيب   جزان عن دار المحبين دباب
ودبى علي ودب مني بتجريب   كل المواشي ياذرى كل من هاب
هاب وهبا من هاب كطع العباعيب   من فوك كنسٍ نعسٍ طرب طراب
وجينا على العيرات بيض المحاجيب   يموم نحمٍ لا تغيب ولا غاب
ومن دارنا لدارك جينا تغاريب   لمشاهدك ياشوك وضاح الأنياب
متخيرك يا منقع الجود والطيب   ولاخيب الله للأجاويد طلاب
سلام من قلب محب بلا ريب   له يستتاب للشاب وشب من شاب
علمك لفانا يم نجدٍ ورى السيب   يابعد علمك عند قومان وأصحاب
يالحر يا لهيلع عقاب المراجيب   يالصعل يالصهال ياحصان الأطلاب
ياجوهر الناريز يالمسك يالطيب   ياجوجب ما يشحنه كل شراب
يالزير يالزحار يالنمر يالذيب   ياليث يااللايوث يالشبل يالداب
نطاح طابور العساكر الي هيب   ستر العذارى لاغشا الزمل ضبضاب
بك ذاربٍ لاجيل عيبٍ وهو عيب   بالسيف لركاب المناعير كصاب
وبك ذاربٍ كب الفراد المحانيب   وللسمن فوك مفطح الحيل صباب
وبك شارةٍ كب الفراد المحانيب   واعطا المهار وبذل مال بلا حساب
وبك شارةٍ كب الفراد المحانيب   وبذل الطعام وللتنافيل كساب
ونمرا تجرة للعدا والأجانيب   تفجا بها غرات ضدك بالأسباب
الحر يضرب بالكفوف المعاطيب   والتبع قناصه من الصيد منكاب
ومن غيرهن ياشيخ مابك عذاريب   أحلى من السكر على كبد شراب
وَلَنت من إلي يتركون المواجيب   لا خيب الله للأجاويد تعاب
وأنت الذي تافي بكل المواجيب   كنك هديب الشام بالحمل عتاب
ياما عطيت للي يجونك طلاليب   كم واحدٍ جالك من الوقت منصاب
وفرجت همه من اكبار المواهيب   من عليمٍ يزمى كما زامي الزاب
عزالله انك طيب وتفعل الطيب   والطيب يجنا منك يازاكي الأنساب
ولا هو كثير يامهدي الأصاعيب   افعالكم بعده للي بالأصلاب



الشيخ فارس باشا كما رسمه البارون ماكس اوبنهايم ١٨٩٣م

هذا هو الشيخ فارس باشا الذي استوطن بمن استقر معه من شمر الجزء الغربي من أقليم الجزيرة، الذي أطلق عليه إقليم شمر (الغربية) أو شمر الزور، نسبةً إلى مدينة دير الزور، في حين بقي الشيخ فرحان باشا مع من معه من شمر شاغلاً الأقسام الشمالية والشرقية [١١٢] لإقليم الجزيرة الفراتية، وأطلق عليها شمر الشرقية، والرئاسة والزعامة العليا بقيت في يد الشيخ فرحان أمام السلطات العثمانية، وهذا في الواقع أول انقسام حقيقي داخلي إقليمي لقبائل شمرتحت راية آل محمد من أولاد الشيخ صفوك الجربا [١١٣]، ولكنه بقي في هذه الحقبة الزمنية انقسام ظاهري، إذ أن كلاً من الشيخ فرحان باشا والشيخ فارس كانا في سعي واحد لخدمة شمر، ووحدة مصالح قبائلها. لأجل إبقائها القوة المهيمنة على أرض الجزيرة الفراتية بلا منافس، كل حسب أسلوب قيادته، محاولاً مسايرة السلطات العثمانية ومتجنباً الصدام المسلح معها.

(112). Williamson. op. cit,p 79-80.
(113). ibid.



وفيما يلي النص الحرفي للرسالة التي سلمني إياها الشيخ فارس:

«السلام إلى من يقرأ الكتاب ويتفهم الجواب من كافة المحمد وشمر وغيرهم من خصوص ناقل الخط فهو من أشرف الأقران والأمثال قنصل حاكم قطعة ألمانيا بارون ماكس أوبنهايم وبادي في طريق السياحة شرق الدولة العلية أيّدها رب البرية يتشرف في الولايات المتجاورات موصل وبغداد والبصرة والذي يتعرضه أو يعارضه على غير رضاه فهو المذنب الخاطئ ولا يكسب إلا الغضب من كل الوجوه ولأجل هذا عرضنا النصائح لمن يسمع الكلام وفي الختام المومي إليه كان في بيتي ضيفاً وعقدنا المحبة والصداقة والخوة غير الدين وصار إكرامه من إكرامنا».

قائمقام شمر فارس باشا

خاتم: فارس صفوق

2 صفر شهر الحظ 1311 (الموافق 15 آب 1893)

صك الأمان الذي قدمه الشيخ فارس إلى البارون ماكس اوبنهايم[١١٤]

(١١٤). اوبنهايم، رحلتي، ج٢، ص ٩١.



الشيخ فارس باشا كما رسمه اوبنهايم ١٨٩٣م

إن السلطات العثمانية التي استطاعت في العام ١٨٧١م أن تسدد لشمر ضربةً قوية وتعدم شيخها عبد الكريم، لم تستكن لهذا النصر، بل حاولت أن تستثمره لمصلحتها، خاصة بعد الانقسام الذي أصبح واقعاً داخل بيت المشيخة على شمر، بين الشيخ فرحان باشا والشيخ فارس باشا، فعملت السلطات التركية على تكوين حزام امني على طول نهر دجلة من ديار بكر إلى تكريت لمراقبة تحركات شمر، وحماية الملاحة النهرية بين الموصل وبغداد، والقوافل البرية بين اسطنبول وبغداد، وحزام امني آخر على نهر الفرات لمراقبة تحركات شمر وحماية طرق الملاحة في نهر الفرات، والطريق البري بين بغداد ودير الزور، كما وان الأتراك قاموا باستخدام تقنيات جديدة لقواتهم الصحراوية في مواجهة الهجمات البدوية، تمثلت في استخدام البغال في الصحراء التي تتحمل الجوع والعطش. لمطاردة البدو، واستخدام الجيش العثماني البنادق المتعددة الطلقات أمثال بنادق الشنايدر، والونشتر، ومن ثم بنادق المارتيني المتطورة، فضلا عن وسائل البرق والاتصالات التي اجتمعت كلها على أن تجعل قوات حماية القوافل الصحراوية العثمانية قادرة بشكل اكبر على حماية طرق المواصلات، والحد من هجمات شمر والقبائل

الأخرى على القوافل، وقطع هذه الشرايين التجارية عن بغداد والموصل وحلب. [115]

كان عقد الثمانينات من القرن التاسع عشر هادئاً بالنسبة لشمر، حاول خلاله الشيخ فرحان أن يكون أكثر دبلوماسية مع السلطات العثمانية في بغداد، وقد شاهدت آن بلنت فرسا أصيلا عند والي بغداد كان الشيخ فرحان قد أهداها له [116]، لكن الشيخ فرحان لم يحاول منع (الخوه) التي تجبى من القبائل التي تقع تحت حماية شمر، أو ضريبة الباج التي كانت تفرض على القوافل المارة في ديار شمر، برغم الطلبات المتكررة التي كان الأتراك يوجهونها إلى الشيخ فرحان باشا للحد من هذه الضرائب، وثم إشارة أخرى في هذه الفترة أفادت بأن الشيخ فرحان وفي إحدى زياراته إلى بغداد في نهاية السبعنيات من القرن التاسع عشر فقد البصر في إحدى عينيه، نتيجة سوء تصرف احمد آغا احد رجالات والي بغداد، إذ أن الشيخ كان يعاني بقصر البصر في هذه العين، فقام احمد آغا هذا ودون دراية علمية جيدة بوضع سلفات التوتياء في عين الشيخ دون أن يخففه بالماء، مما أدى إلى تلف عين الشيخ فرحان باشا. [117]

لم ينغص الصفو الحياتي لشمر خلال هذا العقد سوى ما قام به الشيخ سمير الزيدان، الذي كان قد جاء من عند الأمير محمد العبد الله الرشيد أمير حائل، بعد آن كان قد ذهب إليه في شتاء عام ١٨٧٨م مبعوثا من قبل الشيخ فرحان باشا، بعدما كان قد حماه من الأتراك، لأن الشيخ سمير كان مع الشيخ عبد الكريم في انتفاضته، وقتل عددا من الجنود الأتراك، لذا كان مطلوبا من قبل السلطات التركية، وكان الشيخ سمير من رجال الشيخ فرحان وتحت سلطنه، عاد الشيخ سمير من حائل دون أن يحقق أي اتفاق مع الأمير محمد العبد الله الرشيد، ولم تصلنا أية معلومات عن الرسالة التي أرسلها الشيخ فرحان مع الشيخ سمير إلى الأمير محمد العبد الله، ولماذا رفض الأمير التعاون مع الشيخ فرحان. [118]

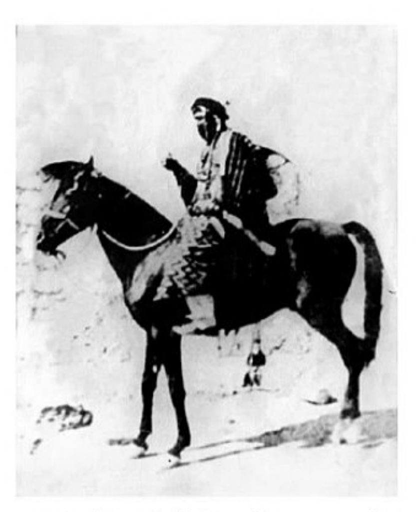
---

(115). Ibid,p 82-83.

(١١٦). بلنت، قبائل الفرات، ص٣٢٢.

(١١٧). نفسه، ص٣٢٣-٣٢٤.

(١١٨). نفسه، ص٣٢٥-٣٣١.



الأمير محمد العبدالله الرشيد (المهاد)

كمـا أن الأمير محمد العبد الله لم يكن احتراما كبيرا للشيخ سمير بل شبهه امام الليدي آن بلنت (بالبعير) مما جعلها تمتعض من هذا التصرف اذ كانت تكن احتراما كبيرا للشيخ سمير[119]. ثم حدث خلاف كبير بين الشيخ فرحان والشيخ سمير الزيدان في أوائل الثمانينات. جعل الشيخ سمير يذهب ثانية إلى الأمير محمد العبد الله ويعلمه بنيته في محاربة أولاد عمومته الجربا، رفض امير حائل مساعدته وأعاد على مسامعه ما كان قد قال من أبيات في الشيخ سمير عندما جاءه في الماضي وطلب من الأمير محمد العبد الله أن يعاونه ضد ابن عمه الشيخ عبد الكريم الجربا قبل ان يتصالحا، وتعاد المودة بينهما، فردد الأمير محمد الرشيد هذه ألأبيات الشعرية:

(١١٩). بلنت، قبائل الفرات، ص٣٢٥، رحلة إلى نجد، ص٢٧٣.

ياسـمير بـن زيـدان واشـلك بلـبلاش	واشـلك بـربعن مالـك الله يطيعـون
واش لـك بغـالي السـيف تشـريه بثمـان	اليـا عـاد مـا بالسـيف راسٍ تقصـون
وياعـاد مـا بالبيـت تسـعين حـراس	تسـعين مـع تسـعين وإلـفٍ يعنـون
عبـد الكـريم الـداب للسـاك نهـاش	وإنهـاز ربعـك يـبن زيـدان يـاتون(١٢٠)

عاد الشيخ سمير إلى ارض الجزيرة ثانية دون أن يحصل على معاونة الأمير محمد العبد الله، وفي العام ١٨٨٤م حاول الاستحواذ على مشيخة شمر من الشيخ فرحان، من خلال بقيامه برشوة والي الموصل كي يعترف به شيخاً اكبر على شمر،كما حاول التقرب من سلطات بغداد التركية بعرضه عليهم بأن لا يأخذ من الدولة أي راتب، ويقدم ضريبة سنوية للحكومة التركية تقدر ب١٠ ألاف ليرة. (١٢١)

لكن موقف والي بغداد مع الباشا فرحان أجهض هذه المحاولة، مما حدا بالشيخ سمير الذي كان في الخمسينات من عمره آن يتجهز بقوات عشائرية من الدليم بعد أن ذهب إليهم وأطمعهم بغزو شمر، والاستحواذ على أموالهم، فهاجم شمر وزعيمها الشيخ فرحان باشا، لكن محاولته هذه باءت بالفشل أيضاً، بعد أن كسرت قوات الدليم العشائرية في معركة الناظريات قرب نهر الدجيل شمالي بغداد، من قبل الشيخ فرحان وشمر وعشائر المجمع وذلك في أوائل الربيع من عام ١٨٨٦م، فقد هجم الدليم في هذه المعركة على شمر التي تركت بيوتها عندما علمت بقدوم الشيخ سمير ومن معه، مما جعل عشائر الدليم يلتهون في نهب البيوت واكل واخذ ما فيها من طعام وأثاث، ثم عاودت شمر الهجوم عليهم وأنزلوا بهم خسائر كبيرة في ألأرواح، دفعت عشائر الدليم أكثر من ٦٠٠ قتيل، ومن وقع منهم في الأسر جرد مما كان معه ثم أطلق سراحه، انسحب على أثرها الشيخ سمير الزيدان هارباً والتجأ إلى مركز الجندرمة العثماني في المشاهده، ثم حكم عليه والي بغداد بالسجن لمدة ٦ سنوات، فتوسط له الشيخ فرحان باشا وأخرجه من السجن. بعد بقاءه فيه

(١٢٠). من التراث الشعري الشمري.

(121). Williamson,op. cit,p 93.

مدة، وقد مات الشيخ سمير [١٢٢] في ليلة قاسية البرد، بالبادية بعد خروجه من السجن بمدة قصيرة، وتخلص الشيخ فرحان من منافس آخر كان حليفا له في يوم من الأيام على زعامة شمر.

أما شمر التي كانت تحت زعامة الشيخ فارس ألصفوك، فقد كانت خلال العقد الثامن من القرن التاسع عشر أكثر تحركاً وصداماً مع العشائر الأخرى، فقد دخل الشيخ فارس في صراع مرير مع الجراكسة الذين أسكنتهم السلطات التركية العثمانية في نهاية السبعينات من القرن التاسع عشر منطقة رأس العين، بعد أن طردتهم السلطات الروسية عن أراضيها، فأخذ هؤلاء الجراكسة يسيطرون على الأراضي الخصبة عند أعالي الخابور، التي تعتبر مراعي ثابتة لشمر الغربية، مما أدى إلى قيام صراع مسلح مرير بين شمر والجراكسة انتهى لصالح شمر بزعامة الشيخ فارس باشا، وتم احتجاز الجراكسة في إقليم العين وما حوله، وأصبح هؤلاء الفرسان العنيدون تحت سطوة فرسان شمر. [١٢٣]

عمد العثمانيون إلى زرع الجراكسة في ضمن حمى شمر الغربية، لأجل الحد من قوة هذا التجمع القبلي، وجعل شمر في صراع دائم مع من حولها، وعدم التفكير بالتحول ومحاربة الجيش العثماني والمصالح التركية في منطقة تواجدها.

أما الصراع التقليدي بين قبائل شمر وعنزة فلم يتوقف خلال هذا العقد، ولكن أهم المعارك التي شهدها هذا العقد بين الطرفين. ما قامت به السبَعَة من عنزة، عندما كان الشيخ فارس ألصفوك نازلاً الجلعوط على مسافة ١٠ ساعات شمال دير الزور عام ١٨٨٥م، من غزو لشمر التي معه، واستطاعت السبَعَة أن تغنم ٤٠٠ بعير، بعد أن أوقعت شمر فيهم أعدادا من القتلى والجرحى، كما قتل أفراد من شمر في هذه الغزوة. [١٢٤]

كانت السنوات الأخيرة من حياة الشيخ فرحان هادئة بالنسبة له ولشمر التي معه، ولم يحدث أي احتكاك مع السلطات العثمانية إلا عام ١٨٨٩م، حين

(١٢٢). الشاوي، مرجع سابق، ص٧٩، لوريمر، مرجع سابق، ج٤، ص٢٢١٠.

(123). Williamson. op. cit,p 93-94.

(١٢٤). العزاوي، العراق بين، ج٨، ص٧٦.

وقع خلاف بسيط بين سلطات بغداد وشمر، استطاع الشيخ فرحان بحنكته حله دون مشاكل، [١٢٥]، ثم دخل العام ١٨٩٠م وفيه بدأ الصراع بين شمر والأكراد الملية، الذي سوف نعرض له لاحقاً، وفيه أيضا توفي الشيخ فرحان باشا وصعدت روحه إلى باريها في ٧ ذي القعدة من عام ١٣٠٧ للهجرة الموافق ٢٤ لشهر حزيران من عام ١٨٩٠ م بعد ان عايش مرضا الم به فترة من الزمن[١٢٦]، وتم دفنه في مقبرة مرقد الشيخ معروف الكرخي ببغداد، بعد أن قاد شمر بكل همة وإخلاص منذ العام ١٨٤٧م، محاولاً بسياسته وقيادته الواعية أن يحافظ على أعراف وتقاليد شمر، وان يخلق توازناً في العلاقة بين شمر والسلطات العثمانية.

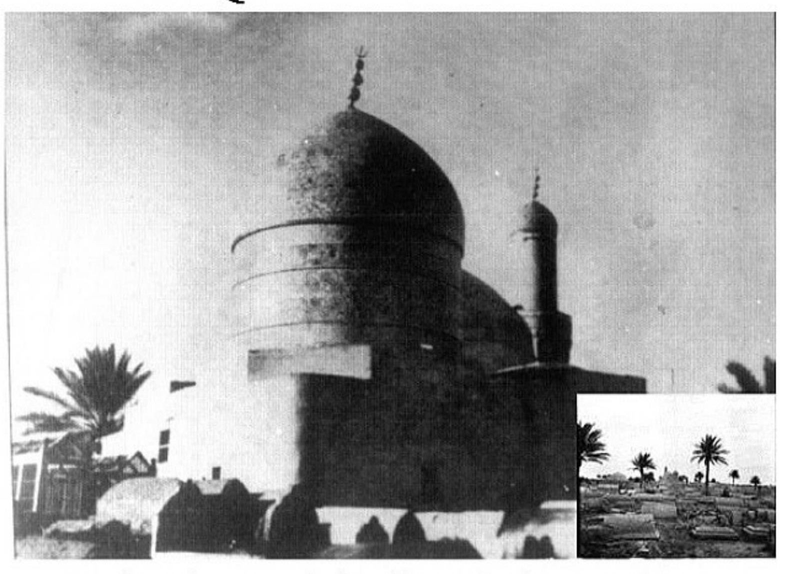
ونود هنا الإشارة إلى إحدى أبرز خصال وسجايا الشيخ فرحان باشا، العربي الذي أبت نفسه الكريمة، وحسه الوطني الأصيل أن يتعاون مع أية قوة معادية لدينه وامته، ففي أحد الأعوام زار الشيخ فرحان في مضيفه أثنين من الغرباء، وبقيا عنده مدة من الزمن، ثم أرادا الرحيل، والشيخ لم يسألهما عن سبب قدومهم والمكوث عنده، فسألاه عن سبب عدم سؤالهم، فرد عليهم الباشا بأن من عادات العرب ألا يسألوا الضيف حتى لو بقي عندهم سنين، فبينا له أن أحدهم إنكليزي، والأخر هندي، وطلبا منه أن يصبح صديقاً مخلصاً لبريطانيا العظمى، فرد عليهم بلهجته العربية الأصيلة: معاذ الله أنا رجل بدوي ولا أستطيع أن أتفق مع الإنكليز، لا بالفكرة ولا بالعادات. [١٢٧]

توفي الشيخ فرحان باشا بعد أن ترك ١٦ ولداً، كان لهم ولأحفادهم النسل والعزوة في آل محمد الجربا إلى يومنا هذا وهؤلاء الأولاد:

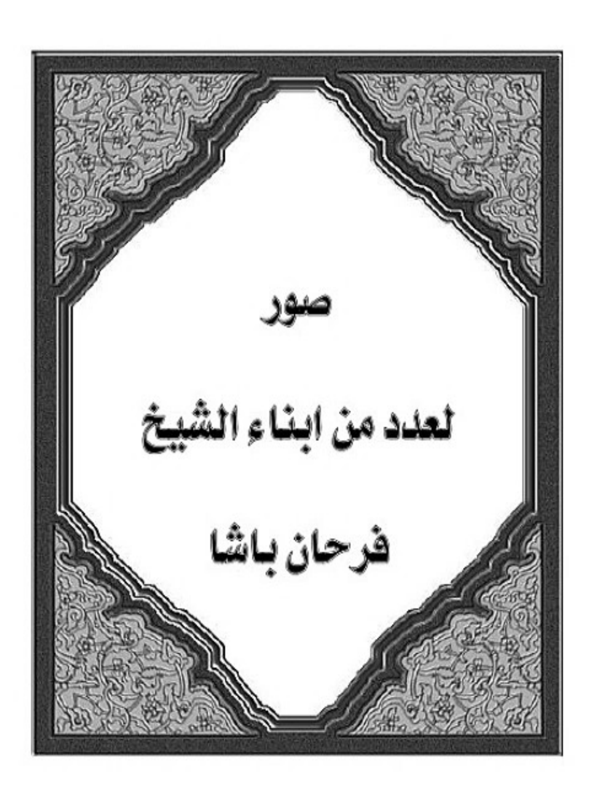
١- العاصي له عقب (العواصي).
٢- مجول له عقب (المجول).
٣- جار الله له عقب (الجار الله).
٤- شلال له عقب (الشلال).

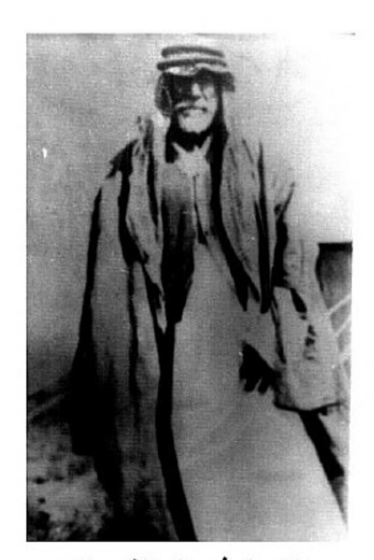
(١٢٥). لوريمر، مرجع سابق، ج٤، ص٢٢١١.
(١٢٦). العزاوي، العراق بين، ج٨، ص١٠٣، جاسم محمد حسن العدول، الموصل في العهد الحميدي، موسوعة الموصل الحضارية (الموصل: ١٩٩٢م) ج٤، ص٩٩، ويخطئ النحاس، مرجع سابق، ص٣٣٥، اذ يشير الى ان التاريخ هو ١٣١١هـ.
(١٢٧). جريدة الأتحاد، بغداد، ١٩٨٦م، العدد ١١٣٦، اذار، ص٧.

٥-فيصل	له عقب (الفيصل).
٦-عبدالعزيز	له عقب (العبد العزيز).
٧-عبدالمحسن	له عقب (العبد المحسن).
٨-هايس	له عقب (الهايس).
٩- ثويني	ليس له عقب.
١٠-مطلك	له عقب (المطلك).
١١-سلطان	له عقب (السلطان).
١٢-الحميدي	له عقب
١٣-بدر	ليس له عقب
١٤-احمد	له عقب الباشات
١٥-ميزر	ليس له عقب
١٦-زيد	له عقب



جامع الشيخ معروف الكرخي الذي دفن في مقبرته الشيخ فرحان باشا كما كان بناؤه في الماضي


صور
لعدد من ابناء الشيخ
فرحان باشا



الشيخ فيصل الفرحان



الشيخ مطلك الفرحان



الشيخ بدر الفرحان



الشيخ حميدي الفرحان



الشيخ زيد الفرحان



الشيخ احمد الفرحان

الفصل السادس

عصر الأبناء

الواقع الحياتي لشمر ١٨٩٠-١٩٠١م

أصبح التقسيم المشيخي لشمر بين شمر الشرقية والغربية أكثر وضوحا خلال هذه الحقبة الزمنية، إذ لم يعد التماسك الشمري القوي الذي كان على عهد الشيخ صفوك موجودا، ولو ظاهريا على الأقل، لان الشيخ العاصي ابن فرحان باشا الذي أصبح مكان أبيه على مشيخة شمر الشرقية أمام شمر، واصبح الشيخ مجول الشيخ الرسمي أمام العثمانيين بعد فترة وجيزة من ذلك، مع بقاء الشيخ فارس باشا بن صفوك على مشيخة شمر الغربية آو كما يطلق عليها بشمر الزور.

لم يكن ثمة اتحاد قوي بينهما خلال هذه الحقبة الزمنية من تاريخ شمر، التي مضى على تواجدها فوق ارض الجزيرة الفراتية ما يقرب من ٩٠ عاماً، إلا في حالة تعرض شمر لأي عدوان عليها سواءً من السلطة العثمانية آو من القبائل الأخرى، آما في الظروف الاعتيادية فان لكل منهما مشاكله الخاصة مع من معه من شمر.

ليس هناك الشيء الكثير الذي يستحق الذكر عن شمر الشرقية خلال هذه الفترة، فالشيخ العاصي بن فرحان باشا الذي يصفه ختم له (عاصي على الشيطان مطيع للرحمن، عاصي الفرحان)[١] كان رجلاً كريما،دمث الخلق، وفارسا شجاعا، شاعرا جيد الشعر، [٢] اكبر أولاد الشيخ فرحان، حاول أن يسوس شمر بحكمة. وأوجد له علاقات متوازنة مع سلطات بغداد والموصل العثمانية، فضلاً عن إبعاد شمر قدر المستطاع عن أن تخوض حربا داخلية فيما بينها خلال هذه المدة من تاريخها الحديث، على الرغم من التدخلات العثمانية المتكررة لدب الشقاق والفرقة والخلاف داخل بيت آل محمد وبين قبائل شمر، فعلى الرغم من محاولات الشيخ العاصي تجنب الاحتكاك مع

(١). الخبر مشهور عند ال محمد والعواصي خاصة منهم، وانظر صورة الختم.
(٢). قحطان عبوش التلعفري، ثورة تلعفر عام ١٩٢٠م (بغداد: ١٩٦٩) ص٢٤٢.

السلطات العثمانية، خاصة وانه من أولاد الشيخ فرحان باشا الذين وقفوا ضد الاستقرار الريفي لشمر. [٣]

ومنذ أول شبابه سكن الشيخ العاصي وأخوه مجول البادية، ولم يسكنا مع ابيهما الشيخ فرحان قلعة الشرقاط[٤]، وكان لا ينظر إلى العثمانيين بعين الرضا والاحترام بقدر ما كان يود تجنب الخوض في صدام مسلح مع ولايتي بغداد والموصل، وعلى العكس من ذلك حاول أن يظهر للسلطات العثمانية انه مع ما تصدره سلطات بغداد والموصل من أوامر وقرارات، في حين كان الشيخ مجول بك قد اجتمع مع الوالي حسن رفيق باشا، وقدم له اعتذاراً عن بعض تصرفات قسم من قبائل شمر، ورد ما نهب من بعض القوافل[٥]، واتفق معه بان يقدم للحكومة العثمانية ما توجب على شمر من ضرائب سنوية بأمر من الشيخ العاصي، وان يحاول الحد من هجمات بعض من قبائل شمر على طرق المواصلات،والقوافل التجارية، وهذا ما فعله الشيخ مجول في عام ١٨٩٧م بأن شن حربا على الصايح من شمر عندما ثارت عليه بعد منعه لهم من التعرض للقوافل وطرق المواصلات. [٦]



الوالي الحاج حسن باشا



الوالي نامق باشا

(٣). مؤلف مجهول، فصل من كتاب عن تاريخ شمر يختص بحياة الشيخ عجيل الياور، نسخة مصورة لدى الباحث، ص ٢٨.

(٤). بلنت، قبائل الفرات، ص٢٢٢.

(٥). جريدة الزوراء البغدادية، العدد ١٤٨٥، بغداد، ٢٦ ربيع الثاني المصادف لـ ٢٩ تشرين ثاني ١٨٩٢م.

(٦). Williamson, Op. cit, p٩٤.

وفي محاولة من الشيخ مجول لأجل مسايسة السلطة العثمانية وتنفيذ أوامرها، من خلال طلبها إرسال أبناء شيوخ العشائر إلى اسطنبول، أرسل أخاه الشيخ الحميدي بن فرحان باشا للدراسة في مدرسة العشائر التي افتتحت عام ١٨٩٢م، وهذا المكتب قد أنشأه السلطان عبد الحميد الثاني لأبناء العشائر، وكان يقبل فيه الطلاب بين سن ١٢ إلى ١٦ عام، يتقاضى الطالب فيه في السنة الأولى ٣٠ قرشاً كل شهر، ويربون ويعلمون على النمط التركي في الحياة، وليكونوا تحت نظر الحكومة في اسطنبول. [٧]

فذهب إليها الشيخ الحميدي مع بعض من شيوخ العشائر العراقية ومنهم علي السليمان شيخ الدليم، وسليمان بن نايف أمير ربيعه، وعجيل بن علي السمرمد شيخ الزبيد في نفس العام[٨]، وأطلق العثمانيون على هذه المدرسة (مكتب العشيرة الخاص)[٩]، وقد مكث الشيخ الحميدي في هذا المكتب مدة ٥ سنوات. [١٠]

بقيت سلطات بغداد والموصل تثير المشاكل للشيخين العاصي ومجول، ففي العام ١٨٩٩م حدث خلاف بين الشيخ مجول وأخيه الشيخ شلال، حاول والي الموصل استغلاله حينما أعلن عن عزل الشيخ مجول من مشيخة شمر، وتعيين الشيخ شلال مكانه [١١]، ولكن الأخير رفض هذا العرض وبقيت المشيخة بيد آبى الهادي الشيخ العاصي وأخيه الشيخ مجول، وفي نفس العام أي ١٨٩٩م ذهب الشيخ مجول إلى بغداد وعقد اجتماعا مع واليها نامق باشا تم خلاله إنهاء كل المشاكل بين شمر والدليم، وتم الصلح بينهما، مما جعل الوالي نامق باشا أن يمنح الشيخ مجول وساما مجيدياً من الدرجة الخامسة ولقب (بيك)، مع لقب قبوجي أي شيخ الباب. [١٢]

---

(٧). لوبنهايم، رحلتي، ج٢، ص١٠٢-١٠٣.

(٨). العزاوي، العراق بين، ج ٨، ص ١١٩.

(٩). العدول، الموصل في العهد الحميدي، ج٤، ص٩٨.

(١٠). جريدة الزوراء البغدادية، العدد١٥٣٣، بغداد، في٦جماد الأولى من عام١٣١٠هـ، الموافق لـ٢٦ كانون أول١٨٩٢م.

(١١). Williamson, Op. cit, p. ٩٤.

(١٢). العدول، الموصل في العهد الحميدي، ج٤، ص١٠١.



وجهاء الموصل مع واليها العثماني عام ١٩٠٦م

وفي خريف هذا العام أي ١٨٩٩ م وعندما كان قسم من قبائل شمر في مشتاها عند البغيله (النعمانية) حاليا، أغارت عليها عشائر المنتفك بقيادة شيخها سعدون باشا الأشقر، فشتت شملها وهي آمنة في مشتاها، مؤكدا بذلك تحديه للسلطات العثمانية التي كانت تلاحقه للقضاء عليه وعلى القوة التي كانت معه، بعد أن كان قد تمرد على هذه السلطات، وأصبح مطلوبا وملاحقا من قبلها، بعد هذا الاعتداء غير المبرر على شمر وقف الأمير عبد العزيز المتعب الرشيد له بالمرصاد، إذ غزى أراضى المنتفك وسيطر على بلدة الخميسيه، المقر الرسمي لمشيخة المنتفك، وانتصر على سعدون باشا الأشقر في معركة تل اللحم، آخذا بذلك بثأر شمر الذين غزاهم سعدون ومعه المنتفك في البغيلة، وغنم منهم غنائم كبيرة من المواشي والجمال، مع أموال كثيرة وعاد بها إلى حائل. [١٣]

وفي إطار العلاقات الودية التي تربط شمر الجزيرة مع شمر نجد ضمن أطر صلة القرابة، ومعرفة أمراء حائل من آل الرشيد لحقوق آل محمد الجربا عليهم، فان الرحلة بين الجزيرة و نجد بالنسبة لشمر لم تنقطع مذ أن أسس الرشيد إمارتهم في حائل، فكانت قبائل اسلم وعبده في ترحال مستمر بين أرض الجزيرة نجد خلال القرن ١٩ وأوائل القرن ٢٠، وكان خورشيد

(١٣). السعدون، مرجع سابق، ص٢٣٠.

باشا بن محمد علي قد أشار في إحدى رسائله إلى والده انه من الصعوبة بمكان السيطرة على قبائل شمر التي في نجد، لأنه إذا ما حاول السيطرة عليها فأنها سوف تذهب إلى أبناء عمومتها شمر التي في العراق، وكذلك العكس إذ ما تعرضت قسم من قبائل شمر على ارض الجزيرة الفراتية إلى أي ضغط عسكري، نراها تتجه إلى آل رشيد في جبل شمر. (١٤)



سعدون الاشقر شيخ المنتفك

كما أن تجارة الخيول العربية كانت مزدهرة بين شمر التي على ارض نجد وشمر الجزيرة، ويتم نقل الخيول وبيعها من قبل الشمامرة من كلا الجهتين، وتعد قبائل شمر وعنزة والضفير من القبائل العربية الرئيسة التي حضت الخيول العربية برعاية خاصة لديها في ذلك الوقت، وتمتلك سلالات من الخيول العربية الأصيلة، وكانوا لا يبيعون الفحول إلا بعد السنة الثالثة من عمرها، لأنها في هذا السن تكون صالحة للخدمة، آما الأفراس فلا تباع ويحتفظ بسلالاتها الأصيلة التي منها: صقلاويه جدران، صقلاويه نويبير، هدبة عنزة، هدبة البردويل، حمدانيه سمري، كحيله، معنكبه، طويسيه، كروش، عبيه. (١٥)

---

(١٤). ن، براي، مغامرات لجمن في العراق والجزيرة العربية، (بغداد: ١٩٩٠م) ص٣٨، عبد الرحيم، من وثائق شبه الجزيرة، ص ١٨٠.

(١٥). ان بلنت، الطريق إلى نجد، ص٢٠٠، بطرس حداد، رحلة تايلر إلى العراق، مجلة المورد، بغداد، ١٩٨٢م، مجلد٨، عدد١، ص٧٣.

في ضوء هذه العلاقات المتينة بين شمر الجزيرة وشمر نجد، قام الشيخ العاصي بزيارة ودية للأمير عبد العزيز الجنازة قبل عام ١٩٠١م، وفي أثناء هذه الزيارة وبسلوك غير منتظر من ابن رشيد، لم يتواجد في ديوانه عند علمه بقدوم الشيخ العاصي، كي لا يقوم في وجهه إكراما له، بل توارى عن الديوان إلى أن دخل الشيخ العاصي وجلس، ثم أتى للسلام على أبي الهادي الذي علم بأمر هذا الأمير بفطنته وذكاءه، خاصة بعد أن طلب الأمير عبد العزيز من خدمه أن يقدموا للشيخ العاصي تمر منطقة الجوف، كي يظهر له أن آل رشيد أصبحوا مسيطرين على الجوف، وأنهم قضوا على آل سراح حكامها من الجربان أولاد عمومة الشيخ العاصي، مما حدا به أن يكتب بعض الأبيات الشعرية المعاتبة للأمير، وجعل الشاعر عبد الله ابن حرشان يلقيها عنه:



الأمير عبد العزيز بن متعب الرشيد (الجنازة)

يهل اركاب وركابكم والماتي ... يشدن حمام الرسل ماليجيلهن ساس
بيض الملاجد مبعدات المباتي ... ويشدن نعام جفله حس الأوناس
ولانفيض حط وبله وفاتي ... جن لايعه مع نسمة العصر نسناس
ياامير ماحنا عليكم بداتي ... سجه ولا حنا على الزبر جلاس
كل يوم حنا عليهن عداتي ... ياما خذينا من حليات الأجناس
يتلن عجيدن ضارين للمعادي ... بيساقته تلقى بها الخلق نساس
عيال الحميدي يذبحون الفتاة ... ويدق القهاوي عقبوا كل حماس
وربعي هل الطولات وأصل شفاتي ... ويا امير ترانا من عواهل بني ياس(١٦)

وعلى أثر هذه الزيارة غير الموفقة عاد الشيخ العاصي إلى أرض الجزيرة ليواصل حياته المعتادة في قيادة شمر مع الشيخ مجول، والشيخ العاصي شاعر جيد الشعر وله العديد من الأبيات الشعرية نذكر هنا بعضا منها:

من دور سالم والشريف ... ما حنا للجاسي ليان
حنا جما غش العراق ... نلحق على طول الزمان (١٧)

وله أيضا

ياخشم قل للمعتدي ... جروح كان انك نسيت
يصير وناخذ ثارنا ... الصبح وما هو بالمبيت
من فوق خيل مكرمات ... من فوقهن بعت وشريت (١٨)

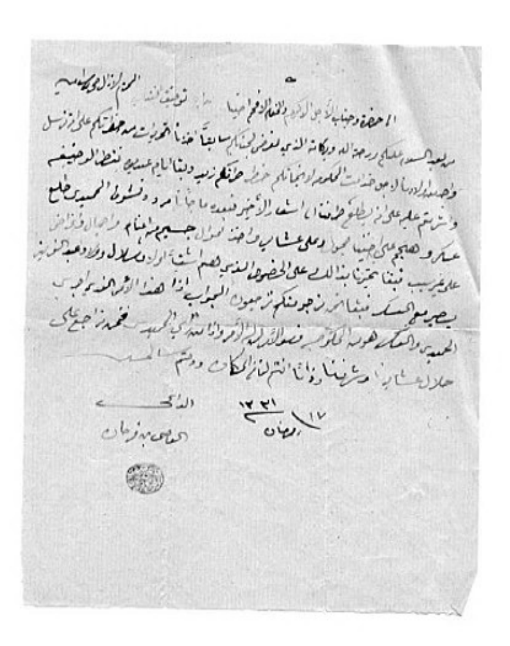
وله في النصح:

---

(١٦). من التراث الشعري الشمري.
(١٧). الظاهري، مرجع سابق، ص١٨٤.
(١٨). نفسه، ص١٨٥.

اشـــــقر ذويبـــــــه عـــــــذبك واغـــــواك نقـــــاض الجعـــــد
بنـــــت الـــــــردي لا تاخـــــذها يجيـــك مثـــل أبوهـــا ولـــد [19]

المستند الاصلي من مقتنيات السيد محمد توفيق نعمان الحاج
توفيق الفخري حفيد الرجل الذي وجه العاصي فرحان باشا له
الرسالة



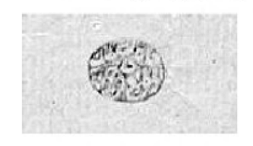
الحمد لله

[illegible]

١٧ رمضان ١٣٢١

العاصي بن فرحان

رسالة من الشيخ العاصي إلى القاضي توفيق الفخري قاضي الموصل وعليها ختمه



(١٩). نفسه، ص ١٨٦.

أما شمر الزور، التي كانت تحت زعامة الشيخ فارس باشا، وبعد أن حقق نصرا حاسما بمساندة الشيخ عاصي الفرحان مع من معه من شمر على الجراكسة في منطقة جزعة شرقي القامشلي من أرض الجزيرة، وقتل قائدهم موزي باشا، الذي كانت السلطات العثمانية مساندة له، استقر الوضع الإقليمي لصالح شمر عند هذا الجزء من أرض الجزيرة، ولكن لفترة وجيزة من الزمن، إذ أن واليي الموصل وديار بكر لم يرق لهما أن تعود شمر إلى عصرها السابق. كقوة مهيمنة على أرض الجزيرة دون منافس قوي لها، وتعود لتصبح صاحبة اليد العليا في التحكم بموارد هذا الإقليم التجاري الحيوي.

لذا فقد قامت السلطات العثمانية بتهيئة عدو جديد لشمر شرس وقوي، وذو خبرة عسكرية جيدة، ويتمتع بدعم من السلطان العثماني عبد الحميد الثاني(١٨٧٢-١٩٠٩م) نفسه، هو إبراهيم باشا الملي الذي عينه السلطان قائداً للقوات الحميدية الكردية، متخذا من قيران شهر مقرا له في الجزء الجنوبي من الأناضول، وحمل لقب مير ميران (أمير الأمراء) الأكراد من قبل السلطان [٢٠]، وقد وجه العثمانيون إبراهيم باشا كي يحاول جر شمر الزور إلي صراع عسكري للحد من قوتها وقوة شيخها فارس، خاصة بعد أن ازداد نفوذها وسلطانها على الأقاليم الشمالية للجزيرة، بعد إلحاقها الهزيمة بالجراكسة، وانشغال شمر التي تحت قيادة الشيخ العاصي ومجول في خلافاتها الداخلية، خاصة بعد اتساع الخلاف بين الشيخ العاصي وأخيه جار الله، وانقسام قبائل شمر بينهما في الولاء. [٢١]

قام إبراهيم باشا بأعداد قواته من الأكراد الملية، وعدد من القبائل الكردية والعربية من السبعة والفدعان العنزية وغيرها النازلة أراضيه، ثم اخذ بالتحرش بشمر الزور، وذلك بشن الغارات التعرضية على مضارب شمر، ونهب قطعان أغنامها وإبلها في إقليم العين وأعالي الخابور، مما حدا بالشيخ فارس أن يدخل في صراع عسكري مباشر معه، فوجه ابن أخيه الشيخ علي العبد الرزاق(علي الشيوخ) مع قوة من شمر لمواجهة إبراهيم باشا في

(٢٠). محمد علي بك إبراهيم باشا، أمير أمراء كردستان، تحقيق د عبد الفتاح البوتاني وعلي صالح الميراني (اربيل: ٢٠٠٩م) ص ٥٩.
(٢١). مؤلف مجهول، فصل عن تاريخ شمر، ص ١٥، ١٩.

حدود عام ١٨٩٨م، ولكن الفرسان الشمامرة لم يستطيعوا أن يواجهوا خطط وحيل إبراهيم باشا العسكرية، وسقط الشيخ علي (الشيوخ) بيد إبراهيم باشا أسيراً، فأرسل إلى اسطنبول. وبقي هناك فترة قصيرة من الزمن ثم عاد إلى مضارب عمه الشيخ فارس، ليشن غارة ثانية على إبراهيم باشا، ويكون نصيبها الفشل أيضا، مما دعا الشيخ فارس أن يطلب العون من الشيخ العاصي وشمر التي معه لمساندته ضد هذا العدو الشرس، الذي كان يلقبه العرب بالحوت، واخو نورة، وخيال الشعلة [٢٢]، فكان ما أراد. وتجمعت قبائل شمر كلها تحت قيادة العاصي وفارس باشا بن صفوك واتجهت نحو قيران شهر لتسديد ضربة شديدة إلى إبراهيم باشا وقواته. [٢٣]



مدينة قيران شهر

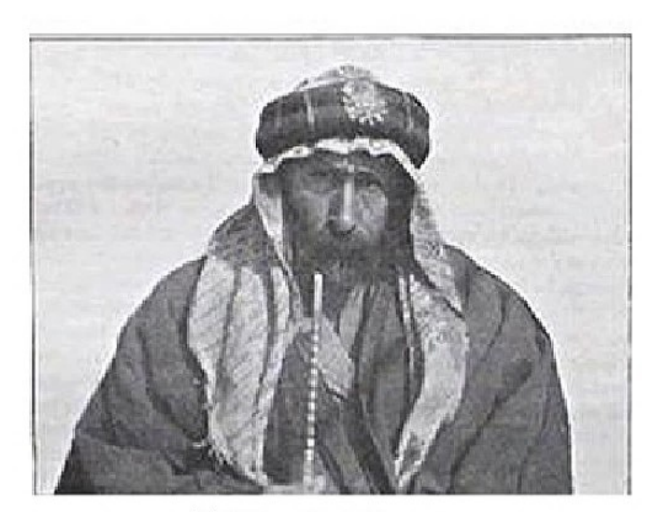
وهنا كان دور السلطات العثمانية في دعم الباشا إبراهيم، إذ أرسلت له السلطات التركية في الموصل ودير الزور المعلومات الكاملة عن القوة الشمرية المتحركة، علاوة على إرسال بعض القطعات من الجيش العثماني لمساندته ضد شمر، وهذا ما أكدته إحدى لوثائق العثمانية التي نشرت حديثا [٢٤]، وعند وصول القوات الشمرية إلى الأطراف الشمالية لنهر الخابور كان

---

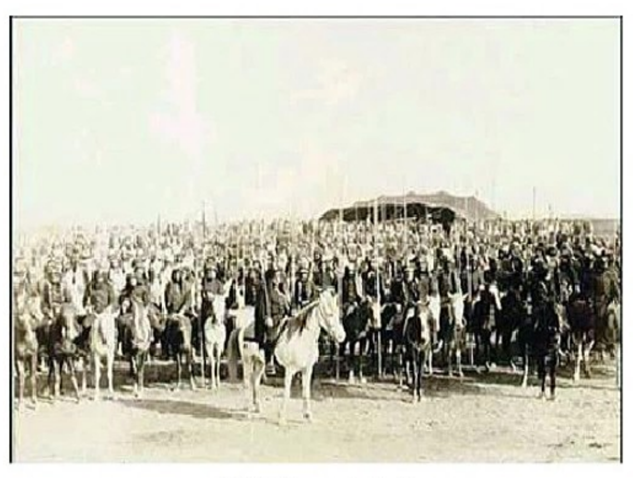
(٢٢). إبراهيم باشا، مرجع سابق، ص٥٩، ٧١.

(٢٣). Williamson, Op. cit, p. ٨٨-٨٩.

(٢٤). Ibid ، p٨٩.

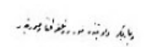


مير ميران ابراهيم باشا الملي



جيش ابراهيم باشا الملي

إبراهيم باشا ومن معه من قوات قد باغتت شمر وهي متجهة نحو قيران شهر، وانزل بها خسائر كبيرة آدت إلى تراجع شمر إلى مضاربها، وهي تتعرض على طول طريق انسحابها إلى هجمات بعض القبائل العربية المساندة لإبراهيم باشا، فضلا عن الفدعان من عنزة، و الرغم من مشاركة قبائل طي والجبور إلى جانب شمر في حملتها، إلا أنها كسرت في المعركة وفقدت مراعيها التي حصلت عليها في التسعينات من القرن ١٩ بعد ان خانتها قسم من هذه القبائل بما عرف بمعركة الهلالية [٢٥]،عند المقدمات الجبلية لجبال طوروس، ولم تعد شمر تأتي هذه المراعي حتى جاءت هزيمة إبراهيم باشا الملي من قبل شمر، بعد تخلي السلطات العثمانية عنه، وتوفي عند قرية صفية شمال غرب الموصل في شهر أيلول من عام ١٩٠٨م. [٢٦]

وثيقة عثمانية صادرة عام ١٩٠١م تبين مساندة الدولة لبراهيم باشا الملي ضد شمر

(٢٥). اوبنهايم، البدو، ج١، ص٢٢٦.

(٢٦). زكريا، مرجع سابق، ح١، ص ٣٢٥، ابراهيم باشا، مرجع سابق، ص ٧٠.

شمر قبيل الحرب العالمية الأولى ١٩٠١-١٩١٤م

مع بداية القرن العشرين وبعد مرور اقل من ١٠٠ عام على وصول شمر إلى أرض الجزيرة الفراتية واستقرارها فيها، لم يعد لهذا التجمع القبلي نفس القوة والسطوة التي كانت عليها شمر عند قدومها، على عهد الشيوخ فارس وصفوك وفرحان حتى إعدام الشيخ عبد الكريم الجربا، والتي أطلق عليها العثمانيون لقب (دمير قابو) أي الباب الحديدي، نتيجة لاتساع قوة وسطوة شمر، فبوفاة الشيخ فارس باشا بن صفوك في شتاء عام ١٩٠٢م ودفن في الطاير قرب نصيبين، الذي كانت قد تحدثت عنه اليدي آن بلنت بكثير من التقدير والإعجاب من بين شيوخ العشائر الذين التقت بهم، دونما أن يترك وريثا للزعامة من أبنائه، خاصة وان ابنه مشل باشا كان لا يزال صغيرا، انتقلت قيادة شمر الزور إلى أولاد الشيخ عبد الكريم الجربا وأخيه الشيخ عبد الرزاق، الذين يطلق عليهم (الشيوخ).

وبرحيل الشيخ فارس باشا عادت الوحدة القبلية إلى شمر ظاهريا، إذ أصبح الشيخ عاصي الفرحان هو الشيخ الفعلي على شمر قاطبة، آي بقسميها الشرقي والغربي، ولكن في هذا التاريخ أضحت سلطته على قبائل شمر هشة إلى حد ما، لكثرة أبناء الباشا فرحان وأبناء الشيخ عبدالكريم الذين أصبحوا في هذه الحقبة الزمنية شبابا، لهم طموحاتهم ونواياهم الخاصة.

بقيت العلاقات الودية قائمة بين الجربا شيوخ شمر والأمير عبد العزيز المتعب الرشيد أمير حائل، إذ حدثت في ١٧ آذار من عام ١٩٠١م معركة الطرفية كما تسمى آو الصريف بين الأمير عبد العزيز الجنازة والشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت، الذي جمع أكثر من ٣٠ ألف مقاتل من عشائر الحوازم والرشايده والمنتفك، ومعه الأمير عبد الرحمن بن فيصل آل سعود وابنه عبد العزيز ومن معه، وال ابي الخيل ومن معهم من آهل بريده، وبعض المدن النجدية، واتجه بهم نحو بلاد القصيم من ارض نجد، لأجل محاربة الأمير عبد العزيز والقضاء على إمارة شمر في حائل.

كان ابن رشيد قد جمع قواته على ماء الصريف قرب التنومة من ارض القصيم، واغلب قواته كانت من شمر، ومنها قوات من شمر الجزيرة أرسلها الشيخ العاصي وإخوانه عونا للأمير عبد العزيز في حربه مع مبارك الصباح، استطاع ابن رشيد أن يجمع قوات تربو على ١٢ ألف مقاتل اغلبهم من الفرسان، وجاء ابن صباح ونزل الطرفيه، وهي قرية تبعد ساعة عن ماء الصريف. (٢٧)



الشيخ مبارك الصباح



الملك عبد العزيز آل سعود

وبعد ظهر يوم ١٧ آذار من عام ١٩٠١م حدثت المعركة بين الفريقين، انتصر فيها الأمير عبد العزيز ومن معه من شمر انتصارا ساحقا على الشيخ مبارك الصباح ومن كان معه، وشتت ابن رشيد قوات ابن صباح بشجاعته ومعاضدة شمر له، وقتل من جيش ابن صباح ٧٠٠ قتيل و١٥٠أسيرا، قتلوا بعد المعركة، وهرب ابن صباح مهزوما نحو الكويت واغلق عليه أبوابها خوفا من الأمير عبد العزيز المتعب الرشيد، كما انهزم معه سعدون باشا الأشقر أمير المنتفك ومن كان معه، فضلا عن الأمير عبد الرحمن الفيصل آل سعود وابنه عبد العزيز الذي اتجه بعد ذلك نجو الرياض،

---

(٢٧). يعقوب عبد العزيز الرشيد، تاريخ الكويت (بيروت: ١٩٧١م) ص ١٦١-١٦٣.

بمن كان معه، في حين عاد من كان في المعركة مع الأمير عبد العزيز من شمر الجزيرة إلى موطنهم ظافرين منتصرين. [٢٨]

وفي هذه المعركة يقول الأمير عبد العزيز الجنازة:

يا هيه يا راكب المرسول   سلم على ساهر العيني
كلهن ابن صباح وبن سعدون   وابن سعود وأبا الخيلي
كسرتهم والعدو ممهول   بعيال شمر على الخيلي
اركض كما شوشة المجنون   ودم الجنايز كما السيل[٢٩]

وفي قصيدة اخرى يقول الشاعر العزي يصف فيها المعركة:

يا مزنة غرا نشت من مغيبه   ترعد وتبرق ساقها رب الأرباب
ترمي السخط على من تصيبه   بأركانها تسمع كما ضرب الأطواب
همت ودمت وادلهمت غضيبه   أستثقلت باللي للأرواح جذاب
تبغي الحريب اللي دنا من حريبه   ابن صباح اللي تعرض بالأسباب
من كل غواص وسيب يجيبه   ويالي احدقون السمك زاد حراب
وعريب الدار وكلمن يلتجي به   وراعي النفاق ومارج الدين ما غاب
ومجموعة العجمان واللي حضي به   مع الدويش واتلاهم والأجناب
والمنتفك وابن شريم ونسيبه   وسكانة النقرة وسالم وغصاب [٣٠]

في العام ١٩٠٢م أرسل الأمير عبد العزيز المتعب الرشيد ابن عمه ماجد بن حمود الرشيد إلى الشيخ العاصي الفرحان، طالبا منه المعونة بإرسال عدد من فرسان شمر معه، لأن آهل العارض في نجد كانوا قد شقوا عصا الطاعة على الأمير عبد العزيز، وانضموا إلى الأمير عبد الرحمن بن فيصل آل سعود، وبقي الأمير ماجد بن حمود شهرين في ضيافة الشيخ العاصي،

---

(٢٨). العزاوي، المجموعة الكبرى، وزقة٤٨، لوريمر، مزجع سابق، ج٣، ص١٥٤٠-١٥٤١، ١٦٩٤، السعدون، مرجع سابق، ص٢٣٢، الخضيري، مرجع سابق، ٣٣٤.

(٢٩). من التراث الشعري الشمري.

(٣٠). نفسه.

ولكنه رفض أن يرسل فرسان من شمر إلى ابن رشيد، متعللا بـان الأمير عبد العزيز لم يحسن معاملـة القوات التـي آتتـه مـن الجزيـرة وناصـرته فـي معركـة الصـــريف، فعـــاد الأميـــر ماجـــد إلـــى نجـــد بـــدون قـــوات مـــن شمر الجزيرة [٣١]، وفـي هذا العـام أي ١٩٠٢م قامـت شـمر التـي تحـت إمـرة الشيخ العاصي بمساعدة عشائر المسعود قرب كربلاء ضد غزو عنـزة لهـا، واستطاعت كسر قبائل عنزة الغازية. [٣٢]

استمر الخلاف الداخلي لشمر النـي تحـت قيـادة الشيخين العاصـي ومجول، و كانت السلطات العثمانية في بغداد والموصل تشجع هذه الخلافات وتعمل على إشعال نارها كلما حاول الشمامرة إطفاءها، لأجل إضعاف شمر ووضعها تحت السيطرة، وعدم عودة هذا التجمع إلى سابق قوتـه ونشاطه فـي أرض الجزيرة، فسر العثمانيون بالخلاف العائلـي الذي حدث بين الشيخ جار الله وأخيه العاصي عام ١٩٠٢م، مما أوقع حروباً بين قبائل شمر، وخلال هذه السنوات حاولت السلطات العثمانية احتجاز الشيخ العاصي في الموصل عام ١٩٠٤م، مما جعل الشيخ الهادي بن العاصي يحاصر المدينة ويطلق أبـاه من أيدي السلطات التركيـة [٣٣]، وفـي نفس العـام أي ١٩٠٤م قـام الشيخ الهـادي بطرد (أبا الخيل) أحد قطاع الطرق في الصحراء واسمه عبد المحسن المهنـا، والذي كان محبوسا في حائل عند الأمير عبد العزيز المتعب الرشيد، ثم هرب وغزا عانة وراوة، وحاول غزو الجزيرة، فهزمه الشيخ الهـادي ورحلـه منهـا. [٣٤]

لقد استمرت الحرب الداخلية بين الشيخين العاصـي وجار الله إلـى العـام ١٩٠٥م عندمـا هدأت الأحوال عقب هذا التأريخ، بعد مـا ذهـب الشيخ الهـادي بن العاصي ضحيـة لهذا النزاع الداخلي، إذ سقط صـريعا بـرمح أتـاه عن بعد في إحدى غزواته على الجار الله ومـن معه، الذين كـانوا يتحاشـون الاصـطدام

(٣١). العزاوي، المجموعة الكبرى، ورقة٥٢.
(٣٢). لوريمر، مرجع سابق، ج٤، ص٢٢١١.
(٣٣). عبد الجبار الراوي، مذكرات عبد الجبار الراوي (بغداد: ١٩٩٤م) ص٩.
(٣٤). نفسه، ص٩-١٠.

مع الشيخ الهادي، لصلة القربى بينهم، ولكن شاء القدر أن يسقط الهادي برمح [٣٥] على يد أحد رجال الثابت (فهد بن شخير الوضيحي). [٣٦]

كان لمقتل الشيخ الهادي وقعه القاسي على الشيخ العاصي، الذي كان يعد الهادي لخلافته على رئاسة شمر، وقال في رثائه العديد من الأبيات الشعرية ومنها:

مرحوم يا ميت لنا يذكر لنا تحت الثرى
يالهادي ياليتك تقوم وتشوف عقبك ويش جرى[٣٧]

وقال فيه أيضا:

يا الهادي ماانسى عبرتك كود الجمل ينسى الهدير
من عقب فقدي سربتك الدنيا من عقبك تدير
ياما وقع من حربتك راسٍ مع السربة كبير[٣٨]

وفي الهادي ناصحا:

ياالهادي هذه هكوني ما هي هكوة خطو الولد
ترى لابتك غوش اليمن ما هم مجمع بن بلد
ياالهادي ياطير الهداد من جيت في وجهك سعد[٣٩]

لقد جعل هذا الوضع الذي وصلت أليه شمر خلال السنوات الأولى من القرن العشرين أحد الكتاب الأجانب يقول: إن شمر التي سادت الجزيرة

(٣٥ (. Williamson, Op. cit, p٩٥.

(٣٦). الظاهري، مرجع سابق، ص١٦٨.
(٣٧). نفسه، ص١٧١.
(٣٨). نفسه، ص١٧١-١٧٢.
(٣٩). نفسه، ص١٧٣.

الفراتية بقوتها وعظمتها، أضحت في هذه الحقبة الزمنية وقد مزقتها المنافسة على المشيخة بين أولاد فرحان باشا، وخسارتها أمام إبراهيم باشا الملي. (٤٠)

بقي وضع شمر غير المستقر على أرض الجزيرة الفراتية حتى عام ١٩٠٨م، عندما سيطر الاتحاديون على مقاليد الحكم في استنبول، وتم عزل السلطان عبد الحميد الثاني، وبذلك سقطت كل الزعامات التي كانت تتحرك باسمه، ومنها قائد لقوات الحميدية إبراهيم باشا الملي، إذ فقد هذا الباشا الدعم الرسمي والعسكري العثماني الذي كان يتلقاه، هو وأتباعه من الأكراد الملية وممن تبعهم من الأكراد، من خلال القوات الحميدية قبل سقوط السلطان عبد الحميد الثاني، لذا فإن هذا القائد الكردي لم يستطع أن يقف في وجه فرسان شمر، الذين شنوا عليه حربا ثأرية حاسمة في العام ١٩٠٨م، وهزموه بقيادة الشيخ علي العبد الرزاق، وقاموا بمطاردته حتى تم قتله عند قرية صفية شمال شرق ارض الجزيرة الفراتية. (٤١)

على اثر هذه الهزيمة عادت بيوتات الزرعة من الثابت (سنجارة) إلى حاضرة شمر، بعد أن كانت قد التجأت إلى الملية عقب مقتل الشيخ الهادي، ثم بقيت مدة عند الفدعان من عنزة، وانتهى بذلك هذا الخلاف الداخلي بين قبائل شمر الشرقية.. (٤٢)

رغم المشاكل الداخلية التي عايشت شمر حتى عام ١٩١٠م، فان هذا التجمع القبلي الضخم الذي كان يضم حوالي ١٥٠ آلف نسمة (٤٣)، كان يشكل خطراً على طرق المواصلات النهرية بين الموصل وبغداد، والطريق التجاري بين حلب ومدن العراق بين فترة وأُخرى، إذ بقيت تهاجم بعض من قبائل شمر هذه الطرق وتقوم بالتعرض للقوافل التجارية آو للمسافرين، ولم تستطع السلطات العثمانية ولا الشيخ مجول الحد منها، كما أن العداء المستحكم بين قبائل شمر وعنزة لم يتغير خلال هذه السنوات، وكانت هناك

---

(٤٠). ستيفن همسلي لونكريك، العراق الحديث، (بغداد: ١٩٨م) ج١، ص ٥١، ٩٩-١٠.
(٤١). هذه الرواية مشهورة ومعروفة عند شمر وشيوخها الجربا.
(٤٢). Williamson, Op. cit,, p٩١,
الظاهري، مرجع سابق، ص١٧٨.
(٤٣). البرت فتشاشفيلي، العراق في سنوات الانتداب (بغداد: ١٩٧٨م) ص٤٤.

غزوات متبادلة بين الطرفين، كما أن السلام والاستخدام المشترك للمراعي قد ظهرت بوادره بينهما، وذلك في عام ١٩١٠م، كما أشار إلى ذلك الكولونيل لجمان في رحلته إلى أرض الجزيرة الفراتية. (٤٤)

نتيجة لعدم قدرة الشيخ العاصي على منع تعرض أفراد شمر لطرق المواصلات ورغبته في التدخل بشؤون شمر الداخلية، قام والي بغداد ناظم باشا في نهاية عام ١٩١٠م بوقف التعامل مع الشيخ العاصي، ورفض مشيخته على شمر، وتعامل فقط مع أخيه الشيخ مجول، أملاً منه في أن يكون الشيخ مجول أكثر قدرة على ضبط قبائل شمر، والحد من هجماتها على القوافل التجارية، وفرض الضرائب عليها، لاسيما وان شمر في هذا التاريخ أي ١٩١٠م كانت قد هاجمت صورته، إحدى القرى التابعة للأملاك السلطانية. بقيادة الشيخ علي العبد الرزاق ونهبتها، فضلا عن منع شمر من إرسال الأغنام ضمن التجارة المتبادلة بين الموصل وحلب.



السلطان عبد الحميد الثاني

كما قامت بعض قبائل شمر بالاستيلاء على حوالي ٢٠ رأس غنم، ومبلغ من المال يقدر بـ٦ الاف ليرة تركية من تجار الموصل، لامتناعهم عن دفع ضريبة المرور التي تأخذها شمر بأمر من الشيخ العاصي(٤٥)، كما أشارت إلى ذلك الوثائق العثمانية، ولكن الشيخ مجول لم يستطع أن يفعل شيئاً

(٤٤). براي، مرجع سابق، ص٣٥.

(٤٥.) T. C Basbakamlak ، Op. cit, p. ٣١٨-٣١٩

مؤلف مجهول، فصل عن تاريخ شمر، ص ٢٦، ٢٩.

تجاه هذا الأمر[٤٦]، فقرر والي بغداد ناظم باشا إرسال قسم من الجيش العثماني السادس المكون من فرقتي مشاة وفرقة خيالة مع تشكيلة مدفعية [٤٧]، مع عدد من رجالات القبائل في حملة عسكرية ضد شمر، تحت قيادة حسن رضا بك رئيس الأركان في بغداد، وتحت إمرته ٢٠٠٠ مقاتل، في جو فارس البرودة، وذلك في ٢ من كانون الثاني عام ١٩١١م، والتقى رضا بك مع قواته بالفرسان الشمامرة الذين بلغ عددهم ٤ آلاف رجل تحت قيادة الشيخ العاصي ومجول وشلال قرب الحضر، واتفق الجانبان على أن توقف شمر هجماتها على القوافل، وان تدفع غرامة إلى ولاية بغداد تقدر بـ٧ آلاف ليرة تركية، مع عدد من الإبل والأغنام، وانتهت بذلك هذه الحملة التركية على شمر بعد أن حصلت حكومة بغداد على ضريبة الكودة من شمر لعشر سنوات خلت. [٤٨]



الشيخ مجحم بن مهيد (عنزة)

وفي هذه السنة أيضا أي ١٩١١م: تعرضت قسم من قبائل شمر التي كانت نازلة أطراف الموصل لغارة من قبل الفدعان من عنزة، تحت قيادة مجحم بن امهيد، وغنموا أعدادا من الأيل تعود للشيخ فيصل بن فرحان

(٤٦). محمود، مرجع سابق، ص ٢٤.

(٤٧). لونكريك، العراق، ج١، ص ١٧، فؤاد قزانجي، العراق في الوثائق البريطانية ١٩٠٥-١٩٢٠م (بغداد: ١٩٨٩م)، ص ٦٨.

(٤٨). Williamson, Op. cit, p٩٥, مس بيل، مرجع سابق، ص١٣٣.

باشا[٤٩]، وبذلك نقض الفدعان بقيادة مجحم بن امهيد الاتفاق الذي كان معقودا بين الفدعان وشمر في وقف الغزو، وعدم اعتداء احد الطرفين على الأخر.

لكن ولاية بغداد لم تكف عن التدخل في الشؤون الداخلية لشمر ومشيختها، ففي ١٨ نيسان من عام ١٩١٢م قام والي بغداد بعزل الشيخ مجول عن مشيخة شمر، وقام بتعيين أخيه الشيخ الحميدي[٥٠]، الذي كان أكثر ثقافةً وارتباطاً بالسلطات التركية، حتى أن المس بيل قالت عنه: أننا وجدنا الشيخ حميدي منحازاً بشكل حازم إلى الأتراك عند احتلالنا بغداد، فالشيخ حميدي كان رجلا متديناً تقياً وكان يحفظ صحيح البخاري عن ظهر قلب. [٥١]

لقد أدى التدخل الجديد إلى قيام الشيخ مجول ومن معه من قبائل شمر بالتمرد على السلطة التركية، وأخذ بشن الغارات على القوافل التجارية وطرق المواصلات بين الموصل وبغداد، وعلى قوات حماية الطرق التركية، سانده في تمرده هذا أخوه الشيخ فيصل، الذي عاد لتوه من أرض نجد التي رحل إليها في شتاء عام ١٩١٢م لإعادة أخيه الشيخ ثويني، الذي كان قد قضى فترة طويلة من الزمن في أرض نجد، وشارك مع الأمير سعود بن عبد العزيز المتعب الرشيد في معركة الجميمه التي حدثت عام ١٩١٠م مع الشعلان، والتي هزمت فيها الروله هزيمة قاسية على يد شمر والأمير سعود الرشيد، فعاد به وأخذ بمساندة الشيخ مجول في تمرده على سلطة ولاية بغداد.[٥٢]

فضلا عن قيام أولاد الشيخ عبد الكريم بالإغارة على إحدى قوافل الملح التي كانت قادمة على طريق الموصل حلب، فأوقفوا ١٠٠٠ جمل، وأخذوا ١٥٠٠ قرش من قائد القافلة، ومنعوا تجارة الملح على هذا الطريق لفترة من الزمن. [٥٣]

---

(٤٩). مجلة لغة العرب، بغداد، مجلد٢، ص٧٤.
(٥٠). موسيل، الفرات الأوسط، (بغداد: ١٩٩٠م) ص ٨٠.
(٥١). محمود، مرجع سابق، ص ٢٤، مس بيل، مرجع سابق، ص١٣٣.
(٥٢). موسيل، مرجع سابق، ص ٨٠.
(٥٣). T. C. Basbakamlak, Op. cit, p. ٢٣٥.

استمر هذا الوضع غير المستقر بين سلطات بغداد وشمر حتى قيام الحرب العالمية الأولى، في تموز من عام ١٩١٤م، وظلت المشيخة رسميا بيد الشيخ الحميدي أمام السلطة العثمانية ببغداد، في حين بقي الشيخ العاصي هو شيخ مشايخ شمر في أرض الجزيرة، وقام الشيخ الحميدي وأخوه بدر بزراعة الفرحاتية الأرض التي كان العثمانيون قد أقطعوها للشيخ فرحان باشا من قبل، في حين قام الشيخ عجيل الياور بزراعة قرية نجمة قرب الشرقاط مع أحد تجار الموصل محمد النجفي[٥٤]، وهذا أول تحرك يقوم به شيوخ من آل محمد الجربا نحو التوطن وزراعة الأرض خلال القرن العشرين.



الشيخ حميدي بن فرحان باشا



الشيخ فهد بك بن هذال شيخ العمارات من عنزة عام ١٩١٤م

(٥٤). مس بيل، مرجع سابق، ص١٦٤.

شمر خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨م

عندما بدأت الحرب العالمية الأولى في تموز من عام ١٩١٤م لم يكن لهذا الحدث العالمي أثر واضح على أوضاع شمر في أرض الجزيرة الفراتية، فقد كانت المشيخة أمام شمر للشيخ العاصي الذي حاول العثمانيون اعتقاله عام ١٩١٣م عند زيارته للموصل، نتيجة لخلاف وقع بينه وبين والي الموصل سليمان نظيف، (٥٥) ولكنه استطاع الهرب والخروج من الموصل وحلف أن لا يعود إليها ثانية مهما كانت الأسباب، (٥٦) في حين بقي الشيخ الحميدي الشيخ الرسمي أمام السلطات العثمانية في بغداد، وقد قام مع ١٦٠ من خيالة شمر بجمع الضرائب من القوافل التجارية حول الموصل في هذه الفترة، فقام والي الموصل سليمان نضيف باعتقاله و تحصيل الأموال التي جمعها الشيخ الحميدي التي قدرت ب١٢ ألف ليرة تركية، ولكن السلطات العثمانية أمرت بإطلاق سراحه فوراً فأفرج عنه(٥٧).

استمرت شمر في حركتها ألأعتيادية بين الشمال والجنوب على أرض الجزيرة وجنوب بغداد، واستمر كذلك العداء المستحكم بين شمر وعنزة، وتركزت المعارك بين شمر والعمارات من عنزة خلال هذه السنوات، خاصة على عهد الشيخين جدعان وفهد بن هذال.

كان شهر تشرين الثاني من عام ١٩١٤م نقطة تحول هامة عندما تحالفت الدولة العثمانية مع قوات الحلف المركزي، مما أدى إلى أن تتشابك مصائر شمر وشيوخها الجربا مع باقي الأقاليم العربية ضمن الإمبراطورية

---

(٥٥). جاسم محمد حسن، الموصل في العهد الاتحادي، موسوعة (الموصل: ١٩٩٢م) ج٤، ص١٢١.

(٥٦). مس بيل، مرجع سابق، ص١٦٥.

(٥٧). مؤلف مجهول، فصل عن تاريخ شمر، ص ٣١، د عبد الجليل الطاهر، العشائر والسياسة (بغداد: ١٩٥٨م) ص١٥٤-١٥٥.

العثمانية، في سلسلة من الأحداث نتــج عنها في النهاية تغير جذري لحياة شعوبها السياسية. (٥١)



والي الموصل سليمان نظيف

حاول العثمانيون المحافظة على علاقات طيبة مع شمر وشيوخها الجربا خلال سنوات الحرب، واعتبروها قوة احتياطية يمكن أن تستخدم إذا ما حاولت القوات البريطانية احتلال العراق، وعمد الأتراك إلى كسب شيوخ شمرمن آل محمد، و ضمهم بكل الوسائل إلى جانبهم، ومنها إعطاء المنح الشهرية مع الرتب العسكرية، ومثال ذلك ما قدموه للشيخ مثل الفارس فصار المسئول

عن شمر الزور امامهم، وتم تعيينه برتبة عقيد عسكري فخري في الجيش العثماني، ومنح لقب باشا، وراتباً شهرياً كبيراً، وتم تكليفه بحماية الطريق البري بين الموصل وحلب. (٥٩)

دافعت قبائل شمر وشيوخها الجربا عن ارض العراق وسوريا، وساندت الدولة العثمانية في موقفها من الغزو البريطاني الفرنسي للأرض العربية، وحدث أول اشتباك بين قوات شمر مع القوات البريطانية التي آتت لاحتلال العراق في ٩ نيسان من عام ١٩١٥م، عندما هاجمت القوات التركية ومعها أعداد كبيرة من قوات العشائر، وبضمنها شمر تحت قيادة الشيخ الحميدي بن فرحان باشا منطقة الشعيبة، التي كان الإنكليز قد احتلوها بعد احتلالهم للبصرة، واستمرت المعارك حتى ١٢ من نيسان من هذا العام

---

(٥٨). Williamson, Op. cit, p ٩٦.
(٥٩). Ibid. ، p٩٧.



الشيخ مشل باشا بن فارس الجربا

خسرت القوات التركية المعركة نتيجة لتفوق العدة والعتاد العسكري البريطاني عليها، فاتجهت نحو الشمال بعد انتحار القائد العثماني سليمان العسكري، ومعها القوات العشائرية وبضمنها فرسان شمر وقائدهم الشيخ حميدي(٦٠)، وخلال حصار الكوت عام ١٩١٦م الذي قامت به القوات التركية بقيادة خليل باشا قائد الفيلق السادس على القوات الإنكليزية التي كانت تحت قيادة القائد البريطاني طاوزند، كانت قبيلة زوبع من شمر مع القوات التركية التي نفذت الحصار(٦١) الذي أدى إلى استسلام القوات البريطانية لقوات خليل باشا في نيسان من عام ١٩١٦م، ولكن القوات البريطانية غيرت من خططها الحربية وواصلت التقدم لأجل احتلال العراق، في الوقت الذي آخذت فيه القوات التركية تتجه منسحبة شمالاً، واستطاع الجنرال مود من دخول واحتلال بغداد في ١١ آذار من عام ١٩١٧م(٦٢).

بعد احتلال بغداد تحركت القوات البريطانية نحو الشمال لأجل احتلال أجزاء أخرى من ما يعرف اليوم بالعراق، بحجة تأمين الحماية الكافية لقواتها، وخلال هذا العام آي ١٩١٧م كانت معظم قبائل شمر بشكل عام

(٦٠). Oppenhaim, Die Buddween, Vol ١, p١٤١. ، Williamson, Op. cit ،p٩٣.

(٦١). مس بيل، مرجع سابق ص١٣٤. Williamson, Op. cit,

(٦٢). Williamson, Op. cit,p٩٧.

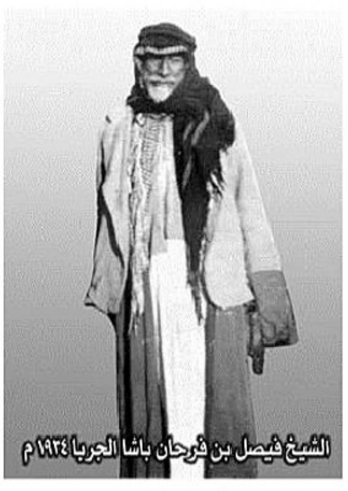
خارج إطار الصراع التركي البريطاني، واستمرت في حركتها الطبيعية بين الشمال والجنوب دونما آي اكتراث لوجود القوات البريطانية، سوى بعض المقاومة التي قام بها الشيخ الحميدي مع من معه من شمر قرب بلد، فقد قام الشيخ عبد العزيز بن فرحان باشا قي شهر تشرين الأول من عام ١٩١٧م بالتحرك نحو أراضي النعمانية والحلة للرعي والتموين ومعه ألف خيمة، ثم تبعه بعد ذلك ابنه الشيخ عجيل الياور في تشرين الثاني من نفس العام، ومعه ألف خيمة أخرى، فأصبحت شمر بما يشبه بنطاق عسكري تحت الخدمة الفعلية كما تقول المس بيل: امتد من الفرات إلى دجلة ويطلق النار من بعيد على كل من يتقدم، لذلك لم تكن قوة تستطيع منع هجرة عشائرية من هذا القبيل.



القائد العثماني علي إحسان باشا

لم يحاول البريطانيون منع شمر من حركتها السنوية، بل على العكس من ذلك فقد خصصت لهم المراعي ومن ثم منحوا المواد الغذائية والمنح المالية الصغيرة، وبعد أسبوع أو أسبوعين عاد الشيخ فيصل بك من رحلته إلى الحجاز التي كان قد ذهب إليها في منتصف عام ١٩١٧م لأداء فريضة الحج، وتقديم الاحترام والتأييد للشريف حسين في ثورته ضد السلطات العثمانية، عاد يحمل كتب توصية مشرفة من الشريف حسين، وبتأثير ورقة الاعتماد هذه: دعا للالتحاق أخاه وابن أخيه لينظم معهما خطة للعمل ضد

الأتراك في الجزيرة الشمالية، غير أن الأقارب المجتمعين ثانية سرعان ما اختصموا، فأنسحب في أوائل الربيع الشيخ عبد العزيز وابنه عجيل مع معظم من جاء معهما من شمر إلى الأراضي التركية. (٦٣)



الشيخ فيصل بن فرحان باشا الجربا ١٩٣٤ م

حاول الشيخ فيصل إقناع أخاه الشيخ عبد العزيز وابنه الشيخ عجيل بان يبقيا قرب بغداد معه، ولكنهما فضلا العودة في آذار من عام ١٩١٨م، وبقي الشيخ فيصل مع شمر التي معه في بغداد ممثلا للثورة العربية والشريف حسين عن قبائل شمر وشيوخها الجربا، وشيخاً رسمياً عن شمر أمام الإنكليز. (٦٤)

أثناء انسحاب القوات التركية العثمانية نحو الشمال بعد معركة الشعيبة واحتلال بغداد من قبل الإنكليز، انسحبت معها بعض القبائل العربية مع شيوخها ومنها المنتفك، التي كان يقودها الأمير عجمي السعدون، إذ انه بعد مشاركته في معركة الشعيبة اتجه شمالا خوفا من القوات البريطانية، والتجأ

(٦٣). مس بيل، مرجع سابق، ص ١٣٣-١٣٤، Williamson, Op. cit, p٩٨

(٦٤). مس بيل، مرجع سابق، ص ١٣٤، Williamson, Op. cit, p٩٨.

إلى شمر وشيوخها آل محمد الجربا، وبقي معهم بضع سنوات ثم اتجه نحو الأراضي التركية، وبقي هنالك إلى أن توفي. [٦٥]

استمرت القوات البريطانية الغازية بالتقدم نحو الشمال، وعند وصول أخبار الهدنة في ٢ تشرين الثاني من عام ١٩١٨م كانت القوات البريطانية قد وصلت إلى القيارة، على بعد ٧٠ كيلومتر جنوب الموصل، وحاولت هذه القوات دخول واحتلال الموصل، لكن القائد التركي علي إحسان باشا رفض أن يسلم المدينة، وبعد مفاوضات انتهت في ٧ تشرين الثاني من نفس العام مع القائد البريطاني وليم مارشال، وافق القائد التركي علي إحسان أن ينسحب من المدينة نحو الشمال، وأخلى مدينة الموصل وكامل الولاية خلال ١٠ أيام من تأريخ الاتفاق.

وهكذا احتلت القوات البريطانية ولاية الموصل، وسيطرت اسميا على ديار شمر الشرقية [٦٦]، وتم تعيين الكولونيل لجمان (انجيمان كما عرفه بدو الصحراء) حاكما سياسيا على مدينة الموصل وما حولها في ٩ تشرين الثاني من عام ١٩١٨م[٦٧]، وكان منصبه هذا على درجة كبيرة من الحساسية بحيث أتعب هذا المنصب لجمان نفسه، إذ انهمك في قمع عدد من الانتفاضات الشعبية الخطيرة ضد التواجد الاستعماري البريطاني، والتي أودت بحياة المئات من الجند البريطانيين والعشرات من ضباطهم[٦٨]، في الوقت الذي كانت فيه قبائل شمر التي تحت قيادة الشيخ مثل الفارس تؤمن انسحاب القوات التركية المتقهقرة من أمام القوات البريطانية والفرنسية نحو مدن ماردين ونصيبين في الشمال، وعلى أثر هذا الانسحاب دخلت القوات البريطانية دير الزور في كانون الأول من عام ١٩١٨م.[٦٩]

(٦٥). السعدون، مرجع سابق، ص٢٥٧.

(٦٦). Williamson, Op. cit, p. ٩٨.

(٦٧). Ibid.

(٦٨). عبد الجبار العمر، مصرع الكولونيل لجمان (بغداد: ١٩٨٦م) ص ٦٢.

(٦٩). Williamson, Op cit, p. ٩٨.

شمر والقضية الأرمنية

سكن الأرمن المسيحيون الأرثدوكس الأجزاء الشرقية والشمالية من الأناضول، في أراضي أرمينيا الواقعة غرب جبال القوقاز، وعلى مدى تاريخهم السياسي الطويل، دخل الأرمن في صراعات مع الفرس والروم البيزنطيين، احتل العثمانيون أراضي الأرمن في القرن ١٦ الميلادي، واستقر الأرمن ضمن ٦ ولايات عثمانية، هي أرض روم، وان، بتليس، ديار بكر، معمورة العزيز، خربوط، سيواس[٧٠]، وبقي الأتراك والأرمن في خصام وعدم وفاق، كان الأرمن يحاولون من خلال ذلك التخلص من السيطرة العثمانية، مما حدا بهم إلى تدبير المؤامرات لقتل السلاطين العثمانيين، وزعزعت النظام السياسي والعسكري العثماني، ولأجل أعمالهم هذه في سبيل تحررهم تعرضوا إلى معاملة قاسية على أيدي السلطات العثمانية والروسية، اللتين تقاسمتا أراضيهم عبر المعاهدات التي عقدت بينهما.[٧١]

أثرت المذابح التي تعرض لها الأرمن في عام ١٨٩٦م ومن ثم في عامي ١٩١٥و١٩١٦م على أيدي القوات الكردية التابعة للقوات الحميدية، والقوات المسلحة التركية العثمانية بشكل كبير على حياتهم وبقائهم على أراضيهم في شرق وجنوب الأنضول، وأجبرت أعداداً كبيرة منهم بالهجرة نحو العراق وبلاد الشام، ووصلت أعداد من الأرمن الذين هاجروا إلى العراق في عام ١٩١٨م، وكانوا بحدود ١٥ ألف نسمة. [٧٢]

انتشر الأرمن في أنحاء مختلفة من أراضي ومدن العراق، وكان وصولهم في وقت أخذ فيه العراق وأرض الجزيرة الفراتية يعانيان من مجاعة ونقص حاد في المواد الغذائية، نتيجة للموسم الزراعي السيئ الذي حل في الإقليم خلال العامين ١٩١٧و١٩١٨م، وكذلك بسبب التصرفات غير

(٧٠). أورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد الثاني (بغداد: ١٩٨٧م) ص ٢٠٦.
(٧١). د. عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية (بيروت: ١٩٧٤م) ص٣٧-٣٨.
(٧٢). لونكريك تاريخ العراق، ج١، ص١٤٧، ٢٢٨.

المسئولة التي كانت تقوم بها القوات العثمانية من اخذ الحبوب والماشية، وحيوانات الركوب قسرا من أيدي التجار ومالكيها دون مقابل، أو تقدم أبخس الأثمان لما تنتزعه من أيديهم، وقد أدى هذا الوضع فضلا عن ما قامت به السلطات العثمانية من تخفيض للعملة إلى تدهور كبير في اقتصاديات الموصل والجزيرة الفراتية[٧٣]، خاصة وان المنطقة كلها كانت تعاني من مآسي الحرب العالمية الأولى.

جعل هذا الظرف الاقتصادي الصعب قسماً من قبائل شمر تتجه جنوبا نحو بغداد للتموين، والانحدار جنوبا نحو مناطق وسط العراق بحثا عن الكلأ والمعاش لها ولماشيتها، خلال هذه الفترة الصعبة التي عرفت عند أهالي الموصل والجزيرة (بسنة الغلاء).

في ظل هذه الظروف نزح الأرمن وانخرط قسم كبير منهم بين قبائل شمر،والقبائل العربية الأخرى الساكنة أرض الجزيرة، فضلا عن استقرارهم في مدن الموصل وبغداد والبصرة وحلب ومدن أخرى، لقد أحسنت شمر وشيوخها الجربا وفادة هؤلاء النازحين اللاجئين، وأبقوهم في ضيافتهم بين مضاربهم، ومنعوا عنهم آي آذى قد يلحق بهم من قبل الأتراك أو غيرهم، معززين مكرمين، وفي هذه الأثناء أرسل الشريف حسين شريف مكة وأميرها وقائد الثورة العربية رسالة مؤرخة في ١٨ رجب من عام ١٣٣٦هـ، المصادف ٢٩ نيسان من عام ١٩١٨م مرسلة إلى كل من ممثله على قبائل شمر الشيخ فيصل بن فرحان باشا، وأخيه الشيخ عبد العزيز، يوصيهم ويؤكد عليهم أن يحسنوا معاملة الأرمن، وان يوصلوا وصيته هذه من خلالهم إلى عموم شمر وشيوخها الجربا، وهذا نص الرسالة: [٧٤]

---

(٧٣). جاسم محمد حسن الموصل في العهد الاتحادي، ص١٢٢-١٢٦.

(٧٤). مجلة الشراع، بيروت، ١٩٨٤/٤/١٦م، العدد ٣، ص١٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده

الديوان الهاشمي

من الحسين بن علي ملك البلاد العربية وشريف مكة وأميرها إلى الأمراء الإجلاء الاماجد الأمير فيصل والأمير عبد العزيز الجربا السلام ورحمة الله وبركاته أما بعد صدرت الأحرف من أم القرى بتاريخ ١٨ رجب ١٣٣٦.

نحمد الله الذي لا اله ألا هو إليكم ثم نصلي ونسلم على نبيه وآله وصحبه وسلم ونخبركم بانا والثناء إليه تبارك وتعالى بصحة وعافيه ونعمة من فضله صافية وافية أسبل الله علينا وإياكم سابغ نعمه وان المرغوب بتحري المحافظة على كل من تخلف بأطرافكم وجهاتكم وبين عشائركم من الطائفة اليعقوبية الأرمنية تساعدوهم على كل أمورهم وتحافظون عليهم كما تحافظون على انفسكم وأموالكم وابنائكم وتسهلون كل ما يحتاجون إليه في ظعنهم واقامتهم فانهم آهل ذمة المسلمين والذي قال فيهم صلوات الله عليه وسلامه (من اخذ عليهم عقال بعير كنت خصمه يوم القيامة) وهذا من أهم ما نكلفكم به وننتظره من شيمكم وهممكم والله يتولانا وإياكم بتوفيقه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الشريف الحسين بن علي

الديوان الهاشمي

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن علي ملك البلاد العربية وشريف مكة وأميرها الى الأمراء الأجلاء
الأماجد الأمير فيصل والأمير عبد العزيز الجربا السلام ورحمة الله وبركاته أما
بعد صدرت الأحرف من أم القرى بتاريخ ١٨ رجب ١٣٣٦ نحمده الذي لا إله
إلا هو إليكم ثم نصلي ونسلم على نبيه وآله وصحبه وسلم ونخبركم بأننا ولله الثناء له تبارك
وتعالى بصحة وعافية ونعمة من فضله ضافية وافية أسبل الله علينا وإياكم سوابغ نعمه
وان المرغوب بتحري المحافظة على كل من تخلف بأطرافكم وجهاتكم وبين عشائركم
من الطائفة اليعقوبية الأرمنية تساعدوهم على كل أمورهم وتحافظون عليهم
كما تحافظون على أنفسكم وأموالكم وأبنائكم وتسهلون كل ما يحتاجون إليه في
ظعنهم وإقامتهم فإنهم أهل ذمة المسلمين والذي قال فيهم صلوات الله عليه
وسلامه من أخذ عليهم عقال بعير كنت خصمه يوم القيامة وهذا من أهم
ما نكلفكم به وننتظر من شيمكم وحميتكم والله يتولانا وإياكم بتوفيقه والسلام
عليكم ورحمة الله وبركاته

نص رسالة الديوان الهاشمي

وتعد هذه الرسالة من الوثائق النادرة التي بقيت مما صدر عن الديوان الهاشمي إبان الثورة العربية الكبرى، التي قادها من الحجاز الشريف الحسين بن علي عام ١٩١٦م، لأجل تخليص البلاد العربية من السيطرة العثمانية، والرسالة موجهة إلى الشيخين فيصل وعبد العزيز أولاد فرحان باشا، لأن الأول كان ممثلا للشريف حسين في العراق والمراسلات بينهما كانت مستمرة بوساطة القيادة البريطانية في بغداد [٧٥]، وأما ذكر الشيخ عبد العزيز: فان الشيخ فيصل كان قد بين لشريف مكة انه وأخاه الشيخ عبد العزيز يتحركان سوية مع من معهما من شمر، من خلال التحرك السنوي لشمر ما بين الشمال والجنوب. [٧٦]

أحسنت شمر إلى اللاجئين الأرمن، وبقوا في مضاربها، وعاشوا مع أبناء شمر أخوانا ودخلاء بحاجة إلى الحماية والمعاش، ولقد اعتنق عدد من الأرمن الإسلام، وتزاوجت بناتهم مع أبناء شمر بتوجيه من الشيخ عجيل الياور في ذلك، وأخذ الشمامرة يطلقون عليهم (المهتدين)، ولا زال كثير من أحفادهم إلى اليوم بين قبائل شمر. [٧٧]



ثلة من الجيش العثماني في الجزيرة قبيل الحرب العالمية الأولى

---

(٧٥). اوبنهايم، البدو، ج١، ص٢٢٩.

(٧٦). Williamson, Op. cit,p٩٨-٩٩, مس بيل، مرجع سابق، ص ١٣٤.

(٧٧). هذا المصطلح موجود بين قبائل شمر.

ثمر و الاحتلال البريطاني للعراق ١٩١٨ - ١٩٢٠م

عندما انتهت الحرب العالمية الأولى في تشرين الثاني من عام ١٩١٨م، وجدت الأقاليم العربية التي كانت خاضعة للإمبراطورية العثمانية نفسها في وضع غير مألوف تماما، فلأول مرة بعد حوالي ٤ قرون لم يعد الأتراك يسيطرون على بلادهم، في حين ظل شكل السيطرة السياسية الذي سيحل محل العثمانيين غير واضح في المدن الرئيسة للعراق وسوريا، وانتشرت التوقعات الخاصة ببدائل متنوعة تتراوح بين إقامة مملكة عربية، وسيطرة أوربية، ووجدت آمال العرب في الاستقلال سنداً لها في القادة السياسيين، والمثقفين في المدن، وعلى الرغم من المحاولات التي قام بها المنظرون العرب القوميون في دمشق وبيروت والقدس وبغداد، من الاتصال بالقوى العظمى لأجل تقرير المصير للبلاد العربية، لكن محاولاتهم هذه باءت كلها بالفشل.

والحقيقة انه عندما انتهى القتال كانت القوات البريطانية قد احتلت معظم العراق، مما وفر لها موقعاً مسيطراً استطاعت من خلاله الهيمنة على مستقبل هذا البلد واستعماره، وعلى النقيض من الموقف الواضح نسبياً في العراق، فقد كان الموقف في سوريا غامضا تماما في نهاية الحرب، فعلى الرغم من اتفاقية سايكس بيكو التي عقدت بين فرنسا وبريطانيا، لأجل تقسيم البلاد العربية، واستعمارها عام ١٩١٦م، التي أعطت لفرنسا إقليم سوريا، ولكن اتفاقية الهدنة عند توقيعها كانت القوات البريطانية المشتركة مع القوات العربية بقيادة الأمير فيصل بن الحسين قد حررت معظم سوريا.

بينما كانت المفاوضات التي أجريت لأجل تحقيق السلام، واستمرت طوال العامين ١٩١٩و١٩٢٠م في باريس، فقد ظل العراق تحت قبضة الاستعمار البريطاني العسكري، وقام الإنكليز بحكم العراق حكما مباشراً، ووضعوا نظاماً إداريا له كان رجال الإدارة فيه كلهم من الإنكليز. (٧٨)

(٧٨). Williamson, Op. cit,p١٠٠-١٠١.

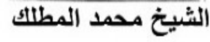
في تشرين الثاني من عام ١٩١٨م أدركت شمر أن القوات البريطانية تحتل إقليم تواجدها في أرض الجزيرة الفراتية ولو أسمياً، خاصةً فيما بعد احتلال الموصل ودير الزور، بالرغم من تحرير القوات العربية التابعة للأمير فيصل في دمشق لمدينة دير الزور بعد مدة وجيزة. (٧٩)

لقد واجهت شمر كل هذه المتغيرات السياسية، وأصبح خط الحدود الذي أقر عند نهر الخابور، والممتد إلى البوكمال جنوبا. حدا فاصلا بين العراق وسوريا عام ١٩٢٠م. (٨٠)، ذا أثر كبير على وحدة شمر فيما بعد.



الشيخ رديف الجار الله





الشيخ محمد المطلك

أصبحت قبائل شمر خلال هذه الحقبة الزمنية واقعة بين ثلاث قوى تمثلت في تركيا في الشمال، وبريطانيا في العراق، وفرنسا في سوريا، وكان عليها أن تتحرك ضمن ما يتطلبه الوضع السياسي المهيمن على إقليمها بأسلوب يمنع المستعمر من أن ينال من عروبتها، وأصالتها في الدفاع عن الأرض،والكيل للمستعمر بما يستحقه من ضربات إذ حاول ذلك.

حاول البريطانيون استمالة شيوخ شمر (الجربا) عام ١٩١٨م إلى جانبهم، في الوقت الذي كانوا يشجعون عنزة التي انضوت تحت الراية

---

(٧٩). Ibid. ، p١٠٤.

(٨٠). لونكريك، تاريخ العراق، ج١، ص١٩٣.

البريطانية (العمارات) نحو شن الغارات على قبائل شمر وشيوخها الجربا، ففي أيلول من عام ١٩١٨م شنت عنزة غارة [٨١]على الشيخ جار الله بن فرحان ومن معه من شمر، واستطاعت عنزة أن تغنم الغـزالات (النوق البيض) التي كانت للشيخ جار الله، فصال عليها جار الله وأبناؤه مع من معه من شمر، وأستمر القتال ٤ أيام، ثم كسرت عنزة وشيخها متعب ابن هذال، وأسترجع الجار الله الغزالات، حدثت هذه المعركة في منطقة طويسان من أرض الجزيرة، وأرخها أحد الشعراء بقوله:

ياطروش ياللي منتوين تمدون	لخوات بتله ما نسب الحمايل
من العام نبغي صلحكم ما تطيعون	ما تعجبك صولة سناعيس حايل
ثلاث ليالي بينا ضرب وطعون	والرابعة راحت على أولاد وائل
ربعي آليا ثار الدخن ما يصدون	ياما ذبحوا من حماد القبايل
مريت بالصابور وانتم تهذبون	واتخيل الزمال قب سلايل
آلي نهج من عندكم راح مطعون	والي شرد للبيت شين قلايل[٨٢]



عقاب العجل (عبدة)

وفي شهر أيلول من عام ١٩١٨م حاول فهد بن هذال أن يعيد الكرة ويشن غزوة أخرى على فرقة من شمر، كانت تتحرك مع الشيخ عجيل الياور جنوب عانة، ولكنها فشلت أيضا، واستطاع الشيخ عجيل ومن معه بإلحاق الهزيمة بالعمارات من عنزة. [٨٣]

---

(٨١). Williamson, Op. cit,p٩٦.

(٨٢). من التراث الشعري الشمري.

(٨٣). Williamson, Op. cit,p٩٩.

بعد فترة من تواجدهم في العراق، حاول المستعمرون البريطانيون تطبيق سياسة جديدة في استعمارهم لهذا البلد، وذلك بالتعامل مع القبائل ضمن سياسة الحكم غير المباشر، وذلك من خلال تعيين رئيس للقبيلة يكون مسئولا أمام الحاكم السياسي عن تحركات قبيلته، لكن هذه السياسة التي حاول البريطانيون تطبيقها على شمر في العام ١٩١٩م قد فشلت فشلا ذريعا، إذ أن شمر وشيوخها الجربا الذين لم يكونوا في يوم من الأيام خاضعين لسلطة آي محتل، لم يرضوا بما حاول المستعمرون القيام به [٨٤].

حاول البريطانيون إبقاء الشيخ حميدي بن فرحان باشا على مشيخة شمر، والذي كان لا يزال مسئولا عن شمر أمام السلطة السياسية منذ عام ١٩١٢م، برغم موالاته للأتراك بشكل حازم، [٨٥] ضمن الموقف الديني للشيخ حميدي من وجوب الوقوف في صف الإسلام والمسلمين، ولكن ولأجل أن لا تدخل شمر في مشاكل كبيرة مع البريطانيين، وهي غير مستعدة بعد لذلك، وافق الشيخ الحميدي أن يكون على الحياد مع البريطانيين، وان لا يصطدم مع قواتهم بمن معه من شمر، [٨٦] ولكننا سنراه في طليعة المدافعين عن العراق، ومن أوائل الذين شاركوا في ثورة العشرين لاحقاً، لان هذا الشيخ الجليل لا يمكنه أن يتخلى عن مبادئه وأخلاقه العربية الأصيلة، كما وكان الشيخ فيصل بن فرحان باشا يسكن الفرحاتية قرب بغداد، ويصله راتب من الديوان الهاشمي في الحجاز، لمركزه الإداري في تمثيل الشريف حسين والثوار بين قبائل شمر.

في أوائل عام ١٩١٩م، بدأت جهود الحاكم السياسي للموصل العقيد لجمان في محاولة إخضاع القبائل تحت سلطته، خاصة وان له تجربة في قيادة قبائل العمارات من عنزة، وقد ساندته عنزة مساندة كبيرة في تنفيذ السياسة البريطانية الاستعمارية في العراق، فوضع أمام عينيه أن يخضع شمر وشيوخها الجربا تحت سلطانه، فدعا إلى اجتماع يعقده مع شيوخ شمر آل محمد، وبعض من وجهاء الموصل في دار المقيمية البريطانية الواقع في

(٨٤). Ibid. ، p١٠٧.

(٨٥). مس بيل، مرجع سابق، ص ١٣٣.

(٨٦). نفسه، ص١٦٤.

منطقة الكوازين، بالقرب من جامع المصفي، والذي كان البريطانيون قد استأجروه من عائلة الجميل الموصلية، فحضر كل من الشيوخ حميدي وعبد العزيز وأبنه عجيل، وعيادة بن العاصي، ودهام بن الهادي، ولم يحضر الشيخ العاصي هذا الاجتماع. (٨٧)



بيت الجميل في الموصل (المقيمية البريطانية)

أثناء انعقاد الاجتماع وفي إظهار الأخلاق السيئة التي كان يتصف بها لجمان، اخذ في تقريع وتوبيخ الشيوخ المجتمعين، لأن شمر التي تحت إمرة الشيخ دهام بن الهادي كانت قد اعترضت قافلة تجارية تسير تحت الحماية البريطانية في أبي حمضه، على طريق دير الزور، واستولت على ٣٥٠٠ ليرة تركية، وأخذ يهدد ويتوعد، وأمر بإرجاع الأموال المستولى عليها، واشتد هياج لجمان وسوء أدبه، مما أضطر الشيخ عجيل الياور أن يقف في وجهه ويمنعه من أن يوجه الإهانات إلى الحاضرين، فأنهى لجمان الاجتماع، وطلب من الشيخ عجيل البقاء في الموصل وعدم مغادرتها إلى حين عودته من بغداد. لأنه كان مسافراً إليها في ذلك اليوم. (٨٨)

(٨٧). نفسه.

(٨٨). Williamson, Op. cit,p١٠٩.

عقد هذا الاجتماع في آذار من عام ١٩١٩م، وغادر شيوخ شمر الموصل وبقي الشيخ عجيل فيها، ثم غادرها قبل أن يعود لجمان من بغداد، فاعتبره لجمان من الخارجين على السياسة البريطانية، وأرسل في أثر الشيخ عجيل مفرزة من المدرعات الإنكليزية لملاحقته، وإلقاء القبض عليه، لكنها لم تستطع اللحاق به لأنه كان قد عبر الفرات مع من معه من شمر، واتجه نحو الشيخ مشل الفارس في أراضي دير الزور، ومن ثم عبر إلى ماردين من الأراضي التركية في أيلول من هذا العام.[٨٩]

قام الإنكليز على أثر ذلك بالسيطرة على أغنام وأبل الشيخ عجيل التي كانت في قرية نجمة قرب الشرقاط، كما وقاموا باحتجاز ٤٦ امرأة وطفل، مع ٣ من العبيد الذين كانوا في القرية من عوائل الشيوخ، وحاول الإنكليز أخذهم إلى سجن الحاكم السياسي في الشرقاط، ولكن النخوة العربية للشيخ شلاش الخلف رئيس عشيرة الحجاج من الجبور أبت أن تحتجز نساء الشيوخ في السجن، فتفاوض مع الحاكم السياسي الإنكليزي في الشرقاط، واستطاع إقناعه بان يتم احتجاز الأسرى في داره، ويبقون تحت حمايته إلى أن يصدر الأمر بالإفراج عنهم، فوافق الحاكم على ذلك، وتم الإفراج عنهم بوساطة الشيخ شلاش الخلف وشيوخ شمر بعد ١٠٠ يوم من احتجازهم، وأطلق سراح الأسرى من دار الشيخ شلاش الخلف. وهم في الواقع ضعن الشيخ حروش العبد العزيز، آما أبل الشيخ عجيل التي كانت المدرعات البريطانية قد ساقتها في طريقها إلى الموصل، فقد هاجمها فرسان شمر في الطريق فهجت إلى الصحراء، واستطاع الشمامرة من جمعها وتخليصها من أيدي الإنكليز. [٩٠]

---

(٨٩). مؤلف مجهول، فصل عن تاريخ شمر، ص ٨٧.

(٩٠). Williamson, Op. Cit. ، p. ١٠٩,

الثلعفري، مرجع سابق، ص٧٩، ٨٠.



الشيخ حروش العبد العزيز

وفي هذا الشهر أيضا، أي في آذار من عام ١٩١٩م حدثت مواجهة أخرى بين شمر والإنكليز مع اليزيدية من أتباع حمو شيرو، لان لجمان كان قد عين حمو شيرو حاكماً على سنجار، وأمد أعوانه بالمال والسلاح لأجل مواجهة قبائل شمر وشيوخها الجربا، وكل القبائل العربية الأخرى التي رفضت التعاون مع القوات البريطانية المستعمرة [٩١]، وكان لجمان يتحين الفرص لضرب هاتين القوتين ببعضهما، لإيجاد التناحر والفرقة على أرض سنجار، وضمن حمى شمر، كي تكون كلمة المستعمر البريطاني هي الفيصل في هذه المنازعات، فصادف أن نزل الشيخ جار الله بن فرحان باشا مع أولاده، بمن معهم من شمر من الأراضي الواقعة في الشمال قرب نصيبين، إلى الأراضي الواقعة قرب سنجار طالباً الكلاء والرعي، فعندما علم لجمان بذلك وكان له ثأر مع الجار الله الذين كسروا أعوانه العمارات من عنزة في أكثر من معركة، لذلك طلب من حمو شيرو وأعوانه أن يهاجموا الجار الله وشمر، فهاجم اليزيديون شمر على حين غفلة، واستطاعوا أن يغلبوهم في بداية المعركة، وابتعد فرسان شمر عن ممتلكاتهم، فأخذ اليزيديون في جمع الأغنام والإبل، فما كان من فرسان الشيخ جارالله من أولاده مع فرسان شمر إلا أن أعادوا عليهم الهجوم ضمن تكنيك عسكري معروف عند شمر (أهل

(٩١). مس بيل، مرجع سابق، ص ٧٢-٧٣.



حمو شرو حاكم سنجار اليزيدي

الـردات)، واستطاعوا كسر جموع اليزيدية، وتخليص الماشية والجمال من أيديهم، وقتل أعداداً منهم، فانهزم حمو شيرو ومن معه من أرض المعركة، وانسحب الشيخ جارالله وشمر نحو الشمال باتجاه أراضي نصيبين، فقام لجمان على أثر هذه الهزيمة التي لحقت بأعوانه، بالحاق بالشيخ جارالله ومن معه مع بعدد من المصفحات، ودارت معركة بين الطرفين في منطقة بحرة الهول شمال غرب سنجار، استطاع الفرسان أولاد الشيخ جار الله، جدعان، وتركي، وفارس وسليمان، بمن معهم من فرسان شمر من تعطيل المدرعات، وإيقاع لجمان في الأسر، وأخذ سيفه وناظوره الشخصي منه، وترك بعد أن كان قد جرح في يده، وتحركوا بعدها نحو أراضي نصيبين في شمال المنطقة، وعاد لجمان مكسورا وقد أهين شرفه العسكري إلى الموصل، بعد فقده لعدد من جنوده في أرض المعركة. [٩٢]

(٩٢). الثلعفري، مرجع سابق، ص٤٥، ووثقها الباحث من الرجال المسنين من آل محمد الجربا.



الكولونيل لجمن بالزي العربي
(من ارشيف الجبوري)





الناظور الشخصي للعقيد لجمان

العقيد لجمان

كان الشيخ دهام بن الهادي بعد إغارته على القافلة التابعة للإنكليز في أبي حمضه، وخروجه من الموصل بعد الاجتماع مع لجمان، لأجل استرجاع الأموال التي سيطر عليها بمن معه من شمر، قد انسحب إلى شمال الموصل، لكن لجمان ألح في طلب استرجاع الأموال، وأخذ يتهدد ويتوعد، وأرسل بذلك إلى الشيخ العاصي بن فرحان باشا، مما أضطر الشيخ دهام إلى الحضور ثانية إلى الموصل وهو يحمل كتابا من جده العاصي، فيه يتنازل الشيخ الجليل بالمشيخة إلى حفيده دهام، وموقع عليه كل من الشيخ حاجم العاصي، والشيخ مطلك بن فرحان باشا وآخرون، ليكون هذا التنازل بمثابة دعم قوي له في مواجهة المستعمرين الإنكليز ولجمان بالذات، فحدثت مفاوضات بين الشيخ دهام ولجمان أسفرت عن إرجاع ٨٠٠ ليرة من أموال القافلة، واعتراف لجمان بمشيخة دهام على شمر بصورة رسمية أمام الإنكليز، وقام لجمان بتجهيز ٥٠ بندقية ل٥٠ فارساً ليكونوا تحت إمرة الشيخ دهام، تدفع الإدارة البريطانية رواتبهم. [٩٣]

---

(٩٣). مس بيل، مرجع سابق، ص ١٦٥،

Williamson, Op. cit,p١٠٩-١١٣.



الشيخ دهام الهادي

شهد عام ١٩١٩م تبلور الكفاح المسلح ضد الاحتلال البريطاني لدى شمر وشيوخها الجربا، إذ أخذت جمعية العهد التي كانت قد تشكلت في عام ١٩١٣م في اسطنبول برئاسة عزيز علي المصري، وعدد من الضباط العراقيين، ونادت بضرورة تحقيق حكم ذاتي للبلاد العربية، ثم تم تجميدها من قبل أعضائها عام ١٩١٤م بعد أن لاحقتها السلطات التركية، وقد تم إعادة الحياة أليها في عام ١٩١٨م بعد دخول القوات العربية إلى دمشق، فتشكلت جمعيتا العهد العراقية والسورية، وأعيد فتح فرع جمعية العهد في الموصل، وأخذت في توجيه المواطنين نحو الوقوف في وجه الاحتلال البريطاني، وتحقيق الاستقلال التام للعراق، وضرورة التعاون مع الأتراك لأجل تحقيق هذا الهدف على قدم المساواة. [٩٤]

لقد شكل العدد الكبير من الضباط العراقيين الذين كانوا مع الجيش العربي، وأصبحوا في إدارة حكومة الأمير فيصل بن الحسين أمثال مولود مخلص، علي جودت الأيوبي، تحسين قدري، جميل المدفعي، محمد رؤوف الشهواني وغيرهم نواة هذه الجمعية آلتي قادت العراق وشمر نحو المواجهة المسلحة مع المستعمرين البريطانيين، و تمثلت اهدافها في:

(٩٤). د. إبراهيم خليل لحمد، الاحتلال البريطاني والمقاومة الموصلية، موسوعة الموصل الحضارية (الموصل: ١٩٩٢م)، ج٥، ص ٢٧-٢٩، عبد الرزاق الحسني، تاريخ الأحزاب السياسية العراقية (بيروت: ١٩٨٠م) ص٩-١٠.

١ - تحقيق الاستقلال الكامل للعراق وان يحكمه أحد أبناء الشريف حسين.

٢-على كل عراقي أن يدافع عن قضية بلده، ويعزز الحماس ومفهوم الاستقلال بين أبناء وطنه، وان يحثهم إذا دعت الحاجة للنهوض ضد أي مغتصب، وان يدعو مختلف القبائل لجعلهم يفهمون معنى الاستقلال.

٣- يجب على كل عراقي أن يساهم في نصرت جمعية العهد.

٤- تجنيد الضباط العراقيين في سوريا نحو أهداف الجمعية.

٥- التوصل إلى اتفاق مع الأتراك، ويجب التعاون معهم لإنقاذ العراق. [٩٥]

قامت الجمعية خلال عام ١٩١٩م بتوجيه العديد من المنشورات إلى القبائل العربية والجرجرية في إقليم الجزيرة، لأجل التعاون معها ضد الاحتلال البريطاني، وكان شيوخ شمر في مقدمة المتعاونين معها، بالرغم من أن أحدا منهم لم ينضم انضماماً فعلياً إلى صفوف أعضائها، ولكن تعاونهم كان كبيرا، وأدى إلى اتساع نشاط الجمعية السياسي والعسكري ضد الاحتلال البريطاني.

كان الشيخ عجيل الياور قد رحل مع بعض من أولاد عمومته إلى دير الزور في آذار من عام ١٩١٩م، بعد المواجهة التي حدثت بينه وبين العقيد لجمان، وأخذ الشيخ عجيل الذي حصل على لقب الياور (المرافق) من قبل السلطات التركية في بغداد عام ١٩١٢م، عندما أصبح عمه الشيخ الحميدي الشيخ الرسمي لشمر أمام السلطات العثمانية، وكان الشيخ عجيل مرافقاً لعمه فحصل له الشيخ الحميدي على وظيفة رسمية (الياور) أي المرافق الشخصي للشيخ الحميدي[٩٦]، قد تعاون مع الشيخ مثل الفارس في نصرت جمعية العهد، وانضم إليه في تعاونه هذا كل من الشيوخ بنيان الشلال، وحاجم العاصي، ووطبان ومشعان أبناء الشيخ فيصل بن فرحان باشا.[٩٧]

---

(٩٥). قزانجي، مرجع سابق، ص١٣٠.

(٩٦). مؤلف مجهول، فصل عن تاريخ شمر، وفيه أن الشيخ العاصي هو الذي لقب الشيخ عجيل بلقب الياور نتيجة لكثرة ما كان يقوم به الشيخ عجيل من مراجعات في حاجات عمه الشيخ الحميدي وخدمته له، ص ٢٣.

(٩٧). الثلعفري، مرجع سابق، ص ١٠٣.

كان الشيخ فيصل بن فرحان باشا قد اتجه في هذا العام ١٩١٩م نحو منطقة الجوف من شمال غرب شبه الجزيرة العربية، لنصرت الأمير سعود بن عبد العزيز الرشيد، الذي كان محاصرا من قبل الروله وشيخهم نواف الشعلان، و كان الأمير سعود قد أرسل رسائل ضمنها أشعارا للشاعر العوني عن لسانه، إلى آل محمد الجربا وشمر التي تحت رايتهم، بيد الأمير محمد الطلال لأجل نصرته على الشعلان وفك الحصار عنه [٩٨]

ومن هذه الأبيات التي قالها العوني:

راكب فوق حر يذعره ظلة	مثل طير كفخ من كف كضابة
ما حلا فزة والخرج زاهن له	والمبارك على متنه تثني به
من سكاكا ترحل واترك الذلة	واذر الخوف هاجوسك تهنا به
سر لشمر وخير لابتي كلة	لابتي بالملاقا حي من لابة[٩٩]

فجاءته شمر ملبيةً لندائه تحت قيادة الشيخ فيصل، ومعه فهران صديد والأمير عجمي السعدون شيخ المنتفك، ومعهم الأمير محمد الطلال، فضلا عن مجئ ضاري بن طواله مع من معه من شمر لنصرة الأمير سعود، على الرغم من حدوث خلاف بين الاثنين، وجفاء من قبل الأمير سعود الرشيد على ضاري بن طواله، واستطاعت شمر الني آتت مع قوات الأمير سعود من فك الحصار وقتل نواف الشعلان في هذه المعركة، ثم عادت شمر التي آتت مع الشيخ فيصل إلى ارض العراق، في حين عاد الشيخ فيصل مع فئة قليلة من أتباعه، وفي الطريق تعرضت له ومن معه من شمر الروله وجرح الشيخ فيصل الفرحان جروحا بليغة، وضن الروله أنهم قتلوه، فأخذوا يرددون:

(٩٨). حمد الجاسر، في شمال غرب الجزيرة العربية (الرياض: ١٩٨٢م) ص١٣٠-١٣١.

(٩٩). من التراث الشعري الشمري.

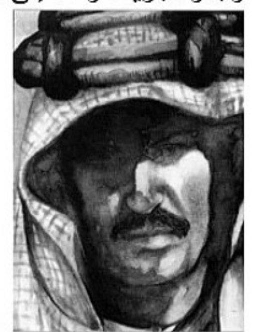
ذبحنـــــا فيصـــــل بنـــــواف شـــــيخن لكـــم طلعـــه جديـــد
يـــا طيـــر حـــر بالهـــدات اكفـــوا وخلـــوه العبـــيد[100]




الشيخ نوري الشعلان

الأمير سعود أبو خشم

و شاء الله عز وجل أن لا يموت الشيخ فيصل، بل عولج وشفي أبو زيد كما يطلق عليه الشمامرة من قبل بيت من بيوت عبدة من شمر، بعد أن وجدوه جريحا وعاد إلى أهله وإلى مضارب شمر في العراق. [101]




ضاري بن طوالة

عجمي السعدون شيخ المنتفك

(١٠٠). من التراث الشعري الشمري.
(١٠١). أكد للباحث هذا الخبر عدد من أولاد وأحفاد الشيخ فيصل الفرحان.

في هذه الأثناء كان الشيخ عجيل يتبادل الرسائل مع جمعية العهد في الموصل، ووضع عدداً من رجاله وهم دهام العبود وذياب الجفال، وآخرون كمسئولين عن إيصال الرسائل بين مقر الجمعية في دير الزور ومقرها في الموصل. [١٠٢]

وصل إلينا نص إحدى الرسائل التي أرسلها الشيخ عجيل الياور إلى مسئول الجمعية في الموصل، محمد رؤوف الغلامي مؤرخة في ٢٧ تموز عام ١٩١٩م وهذا نصها:

إلى حضرة المنصور معتمد هيئة جمعية العهد في الموصل وإخوانه المحترمين:

من بعد إهداء السلام عليكم نبدى بحمده تعالى أن اليوم بموجب حمية الدين والوطن اجتهادكم صار زايد فوق العادة ونحن أيضا كذلك. وعلى موجب مراجعتنا للجمعية الموجودة في سوريا لازم تجرى بيننا وبينكم المخابرة كل حين ولازم جميع الحوادث التي تجري في الموصل وأطرافها تخبروننا بها مفصلا وانتم إذا صار لكم أمر مهم بالخارج خبرونا حتى نجتهد في قضائه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٣٧ تموز ١٩١٩م

الشيخ عجيل الياور[١٠٣]

يؤكد نص الرسالة على ضرورة إبقاء الاتصال بين الجمعية في الموصل وقبائل شمر، متمثلة بشخص الشيخ عجيل، لكي تحقق الجمعية أهدافها على أكمل وجه، وان شمر متمثلة بشخص الشيخ عجيل الياور تحت راية الجمعية، وتعمل على إنجاح أهدافها بما توفر لديها من إمكانيات.

قام الضباط العراقيون في سوريا خلال هذا العام أي ١٩١٩م بتشكيل ما عرف بالهيئة الوطنية لإدارة الحركات الوطنية في العراق، والتي أصبحت الواجهة السياسية لجمعية العهد العراقية، ووضعوا لهم أهدافا محددة تمثلت في

---

(١٠٢). سليم طه التكريتي، صفحات مجهولة من ثورة العشرين، مجلة آفاق عربية (بغداد، ١٩٨٢م) العدد ١٠، ص٢٠.

(١٠٣). التلعفري مرجع سابق ص ١١٥.

دعم كل التحركات والانتفاضات التي يقوم بها الشعب العراقي، والعمل بكل الوسائل المتاحة أمام أعضاء الهيئة لأجل تخليص العراق وتحريره من أيدي المستعمرين البريطانيين[١٠٤]، وأصبحت دير الزور مركزا لتجميع المعدات والمؤن، والمستودع الخلفي للثوار، لأجل تحقيق أهدافهم ضد القوات البريطانية.[١٠٥]



الشيخ عجيل الياور

(١٠٤). د. احمد أمين الزبيدي، مولود مخلص باشا ودوره في الثورة العربية (بغداد: ١٩٨٩م) ص٤٨-٤٩، التكريتي، مرجع سابق، ص٢٠.

(١٠٥). العمر، مرجع سابق، ص ٦٣.

شمر و ثورة العشرين

تعد ثورة العشرين التي حدثت بالعراق خلال عام ١٩٢٠م واحدة من أكبر الثورات الوطنية الأصلية التي شهدها العراق في تاريخه الحديث، لقد أصطدم الشعب العراقي في هذه الثورة وبقوة السلاح مع الجيش البريطاني المحتل، والحق به الهزائم المنكرة، وأرغم المستعمرين الإنكليز على الاعتراف بحق الشعب العراقي في التحرر والاستقلال. (١٠٦)

إن هذه الثورة التي شملت كل الأراضي التابعة لجمهورية العراق الحالية في نهاية شهر حزيران من عام ١٩٢٠م، كانت مقدماتها الأولى الصدامات العسكرية المسلحة التي حدثت في ولاية الموصل وشملت المناطق الكردية وإقليم تواجد شمر.

وتعد هذه الانتفاضة الجماهيرية العربية ضد المحتلين الإنكليز امتدادا لما قامت به شمر وشيوخها الجربا من مواجهات مسلحة مع المحتلين وأعوانهم خلال العام ١٩١٩م من سني الاحتلال، والنشاط السياسي الذي قاموا به من المساندة القوية لثورة الشريف حسين في الحجاز، من خلال شخص الشيخ فيصل بن فرحان باشا الذي كان في بغداد ممثلا للديوان الهاشمي في الحجاز على قبائل شمر، ومساندا قويا له في الثورة ضد الاحتلال العثماني للعراق وسوريا.

منذ إطلالة عام ١٩٢٠م كان الضباط العراقيون في الشام ودير الزور وعلى رأسهم مولود مخلص، وجميل المدفعي قائد قوة المدفعية للجيش الحجازي، وعلي جودت الأيوبي وأديب البغدادي وآخرين. قد وضعوا الخطط للمواجهة العسكرية المسلحة مع المستعمرين الانكليز لأجل تحرير العراق، وذلك من خلال إحداث انتفاضة جماهيرية مسلحة في عموم الوطن، ولكن الضباط العراقيين كانوا متيقنين من انه ليس من السهل إحراز نصر عسكري حاسم على القوات البريطانية المحتلة، ولصعوبة الاتصال والوصول

---

(١٠٦). التكريتي، مرجع سابق ص ١٨.

إلى عموم القبائل العربية في العراق، فقد أقر الضباط العراقيون بان تقوم حرب عصابات متفرقة ضد المستعمرين الإنكليز، لكي يمكن إقناع الدول الأوربية للتدخل والعمل على منح العراق والعرب الاستقلال الكامل.(١٠٧)

أخذ مولود مخلص باشا الذي أصبح حاكما على دير الزور منذ كانون الأول عام ١٩١٩م على عاتقه بتهيئة أرضية الثورة في إقليم الجزيرة الفراتية، فضلا عن انه أرسل برسائل إلى شيوخ العشائر في الجنوب والوسط من أرض العراق، يحثهم فيها على تهيئة أنفسهم للقيام بثورة مسلحة ضد الاستعمار البريطاني. (١٠٨)

أخذ مولود مخلص يجهز القوات العربية من أبناء القبائل للقيام بمناوشات مسلحة ضد القوات البريطانية، كما واخذ على عاتقه تكوين علاقات قوية بين الشيخ عجيل الياور والسلطات العربية في دمشق، وخاصة مع كبار الضباط العراقيين في سوريا. وحدثت أول مناوشات عسكرية مسلحة بين القوات البريطانية وبين شمر خلال العام ١٩٢٠م في آذار من هذا العام، عندما هاجمت فرقة من شمر تابعة للشيخ عجيل الياور القوات البريطانية قرب الشرقاط، وأوقعت بها بعض الخسائر.(١٠٩)



مولود مخلص باشا

(١٠٧). قزانجي، مرجع سابق ص ١٢٢.

(١٠٨). نفسه، ص ١٨-١٩، Williamson, Op. cit,p١٠٩ .

(١٠٩). الثلعفري، مرجع سابق، ص ١٠٣.

أستمر النشاط السياسي والعسكري لجمعية العهد في الموصل، والهيئة الوطنية لتحرير العراق في دير الزور طوال الأشهر الثلاثة من آذار إلى حزيران من عام ١٩٢٠م، لأجل تهيئة الأرضية اللازمة لتحرك القوات العربية من دير الزور لتحرير العراق عبر الجزيرة الفراتية، عبر مساندة فعالة من قبائل شمر وشيوخها الجربا والقبائل العربية الأخرى في المنطقة.

كانت العملية البطولية التي قام بها فهد البطيخ رئيس شمر طوكة ورفاقه في عين الدبس على القطار الإنكليزي المسلح، في ٢٠ من أيار وتدميرهم له، وقتل أعداد كبيرة من الإنكليز، والسيطرة على الكثير من المعدات والتجهيزات العسكرية (١١٠) بمثابة فاتحة خير بالنسبة للجهود التي كان يقوم بها الضباط العراقيون في دير الزور للتحرك وتحرير العراق من المستعمرين الإنكليز، وفي الوقت ذاته كثفت جمعية العهد في الموصل من إرسال الرسائل والمنشورات التي تحرض على الثورة ومساندة جهود رجالها في دير الزور، ومن هذه الرسائل ما أرسل للشيخ العاصي بن فرحان باشا بمثابة الممثل الأكبر لشيوخ شمر من آل محمد الجربا، وجاء فيها: (١١١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الموصل ٦ رمضان ١٣٣٨ (الموافق ٢٥ مايس ١٩٢٠)

السلام عليكم ورحمة الله

كنا قد كتبنا إليكم قبل هذا كتابا بينا لكم فيه ان إخواننا في دير الزور قد رفعوا راية الجهاد وعاهدوا أنفسهم على بذل كل غالٍ ورخيص في سبيل تخليص العراق من الأجانب وإنقاذه من الذل والهوان. وها أنهم الان قد تقدموا نحونا ووصلت بعض طلائعهم المظفرة أطراف الشرقاط وجهات سنجار.

ولما كنا قد هيانا أنفسنا لمعاونة إخواننا المجاهدين والاشتراك معهم في ثورتهم عند تقربهم منا رأينا من الواجب إخباركم بحقيقة الحال وان نطلب من غيرتكم الدينية وشيمتكم العربية ان تجيبوا داعي الحق وتلبوا

(١١٠). التكريتي، مرجع سابق، ص١٩.
(١١١). التلعفري، مرجع سابق، ص ١٦٥.

نداء الوطن فتنضموا إلى حركتهم وتنفروا معهم خفافا وثقالا إلى ساحة المجد والشرف فتخلدوا لكم اسما وتحصلوا على رضا الله وغفرانه.

أيها الشيخ الغيور والبطل المقدام:

إن في بلادنا طوائف من غير طائفة المسلمين عاشوا فيها بأمان واطمئنان منذ آلاف السنين، فالواجب الديني والوطني والشيمة العربية تقضي علينا جميعا ان لا نكدر صفوها ولا نمس أحدا منها بسوء ولا نتعرض إلى أموالها، وعلينا ان نصون كرامتها ونحفظ لها حقوقها ونحمي جوارها، ومن تصدى إلى عكس ذلك فقد خرج على تعاليم الإسلام وخالف قواعد دينه الحنيف.

انهضوا على بركة الله وبرهنوا للملأ بانكم خير خلف لخير سلف ولا تتركوا هذه الفرصة التي ستخلد لكم اشرف الأعمال دونما الاستفادة منها، اخذ الله بأيديكم ونصرنا وإياكم على الأعداء الغاصبين والسلام عليكم ورحمة الله.

ختم الجمعية

وقد رد الشيخ العاصي بالموافقة التامة على ما طلب منه، وسوف نرى موقفه فيما بعد عند قدوم الجيش العربي لتحرير تلعفر والموصل، كما أرسلت جمعية العهد في الموصل برسالة أُخرى إلى الشيخ حميدي بن فرحان باشا، الذي كان لا زال يعد الشيخ الرسمي أمام الحكومة التركية، وقد رد الشيخ الحميدي على هذه الرسالة بما يأتي: [١١٢]

إلى جمعية العهد المحترمة

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن بعد السلام عليكم لقد وصلنا من طرفكم خطان تحتوي على تحشيد عشائرنا على الجهاد ونحن مهتمون في هذه الحرب ومنتظرون الهجوم

(١١٢). نفسه، ص ١٣٧.

على العدو في ساعة وان شاء الله نكون في أول الحرب وننكل بالعدو بقوة الله تعالى وعونه وحمايته.

ومن طرف النصارى فنحن لا نتعرض بهم ولا لنا لزوما بالتعدي عليهم ومع ذلك سنوصي عشائرنا كما قلتم بخصوص عدم التعرض على النصارى أبدا.

والله يؤيد بنصره من يشاء وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ونحن متوكلون على الله في كل الأمور.

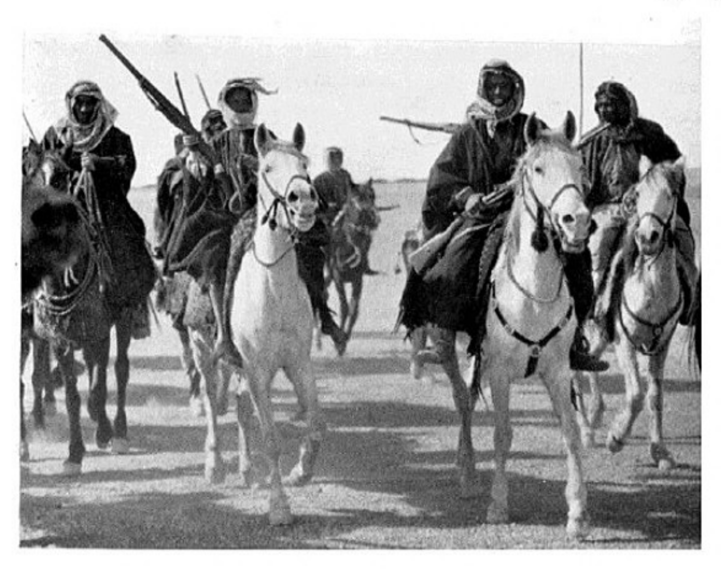
ومن خصوص المكاتيب والأخبار التي من طرفكم دائما تخبروننا بها ودائما تكونون على حذر والتنبه. ومن جهتنا ان شاء الله قريبا نتوجه إلى طرفكم وأيضا انتم لاتبقون في فكر نحن كثير مهتمين من خصوص الجهاد في سبيل الله ونحن نكون في أول العسكر محاربين مجاهدين والسلام عليكم ورحمة الله ودمتم سالمين وموفقين آمين.

الحميـــــدي

وثمة ملاحظة هامة يمكن أن تسجل على هذه النماذج من الرسائل وهي: أن جمعية العهد كانت تؤكد على ضرورة احترام الطوائف الدينية من نصارى ويهود ويزيدية، لأن المستعمرين الإنكليز بثوا بين الناس أنهم جاءوا لينقذوا هذه الطوائف من الظلم الواقع عليها من قبل المسلمين عربا آو أتراك، كما أن قسما قليلا من أفراد هذه الطوائف تعاونت بشكل آو بآخر مع القوات البريطانية الغازية، مما ولد بعض الحزازات داخل المجتمع العراقي، ولأجل لم الشمل وتفويت الفرصة على المستعمر في تطبيق سياسته المعروفة. بفرق تسد، كانت جمعية العهد تؤكد على وحدة الصف، وضرورة احترام ومعاملة هذه الطوائف على قدم المساواة مع باقي أبناء المجتمع العراقي، وأكدت هذا في رسائلها إلى الجربا شيوخ شمر كي يقوموا هم كذلك بدورهم بتوعية قبائلهم بعدم التعرض إلى آي من الطوائف الدينية داخل المجتمع العراقي، حفاظا على وحدة الصف، وتفويت الفرصة على المستعمر من أن يحقق له مكاسب اجتماعية بضم بعض الطوائف إلى جانبه إذ ما تعرضت إلى التعدي من قبل الثوار، آو رجال القبائل التي ستأتي معهم.

لقد أسفرت الجهود الدبلوماسية والعسكرية التي قامت بها جمعية العهد في الموصل، والضباط العراقيين في دير الزور بقيادة مولود مخلص وجميل المدفعي، وعبد الحميد الدبوني، وعلي جودت الأيوبي، وإخوانهم الآخرين،، الذين أحسوا بواجبهم الوطني والقومي تجاه وطنهم العراق وأمتهم العربية، وجدوا لتخليصه من السيطرة الاستعمارية البريطانية بما توفر لديهم من إمكانيات، وبمساندة شجاعة من قبل العشائر العربية الأصيلة القاطنة أرض الجزيرة الفراتية، متمثلة بشمر وشيوخها الجربا والجبور والعكيدات وطي والجرجرية، مع أهالي تلعفر وعشائرها وغيرهم، الأثر الواضح والجلي للعيان في تفجير ملحمة تلعفر التي لو قدر لها النجاح والديمومة العسكرية، من حيث تقدم القوات نحو الموصل، لتحرر العراق أو أجزاءً منه من السيطرة الاستعمارية البريطانية.

على الرغم من ما قد آلت إليه هذه الملحمة البطولية، فإنها كانت الشرارة التي أطلقت الانتفاضة العراقية المعروفة بثورة العشرين في ٣٠من حزيران من عام١٩٢٠م، وامتدادا لما سبقها من مواجهات عسكرية قامت بها شمر وغيرها من القبائل العربية، والكردية في العراق ضد المستعمرين الإنكليز.



معركة تحرير تلعفر

كانت حركة الضباط العراقيين في دير الزور تعد العدة في العشرة الأواخر من شهر أيار من عام ١٩٢٠م لشن الهجوم نحو الموصل، وتحريرها مع إقليم الجزيرة من أيدي الاستعمار البريطاني، لتكون القاعدة التي ينطلق منها نحو تحرير كامل أرض العراق، فقام الضباط العراقيون وفي مقدمتهم مولود مخلص ورفاقه: جميل المدفعي، عبد الحميد الدبوني، علي جودت الأيوبي، محمود نديم السنوي، سليم الجراح وآخرون من الضباط العراقيين، بتجهيز هذه الحملة العسكرية التي تكونت من أربع سرايا، تم نقل قواتها ضمن القوافل التجارية والسيارات العابرة من أرض الجزيرة باتجاه سنجار وتلعفر بتكتم كبير، ولم تستطع السلطات البريطانية أن تحدد وجهة هؤلاء الجنود، وقد تولى علي جودت الأيوبي إرسال السلاح والرجال من الشام بعد أن أعلم الأمير فيصل بن الحسين بنية الضباط العراقيين، وحاول إقناع الأمير بان يكون الأمير زيد بن علي على رأس الحملة، ولكن الأمير فيصل أمتنع كي لا يثير شكوك البريطانيين والفرنسيين، في حين انه غض نظره عن السلاح الذي حمله الضباط إلى دير الزور لتجهيز الحملة.[١١٣]

لقد سبق تحرك القوات بان قام كل من عبد الحميد الدبوني وسليم الجراح بالاتصال بالقبائل الموالية للثورة، وفي المقدمة شمر التي وقفت مع شيوخها الجربا موقف المناصر والمؤيد للثورة بكل إمكانياتها، فوصل الدبوني والجراح إلى مخيم الشيخ العاصي الذي كان نازلاً قرب نصيبين من الأراضي التركية، عند قرية جل أغا. وأعلماه بتحرك الحملة التي أيدها بكل قوة، وأوعز إلى ابنه حاجم وإخوانه بالاشتراك فيها، وأوكل قيادة فرسان شمر

(١١٣). الزبيدي، مرجع سابق، ص ١٧١-١٧٢.

إلى الشيخ عجيل الياور، وأعتذر الشيخ العاصي عن الاشتراك الفعلي بالحملة لكبر سنه.[١١٤]

بعد يوم من وصول الدبوني والجراح وصل جميل المدفعي مع قواته يوم ٢٩ مايس من عام ١٩٢٠م إلى مضارب الشيخ العاصي، وبقي مع قواته ضيفا عند شمر، لتتحرك في اليوم التالي الحملة باتجاه تلعفر، متجنبة المرور من سنجار مع بقاء عدد من فرسان شمر في موضع المراقب لتحركات حمو شيرو حاكم سنجار الموالي للاستعمار البريطاني[١١٥]، وفي أثناء الحوار الذي دار داخل مضارب العاصي حول الحملة، وسبب توجهها نحو الموصل، وفي خضم النقاش حول ضرورة اشتراك كل أبناء شمر في هذه الحملة الوطنية تحدث الشيخ عجيل الياور أمام الحاضرين قائلا:

ان هؤلاء الضباط الذين أتوا يستنجدونكم لكل واحد منهم عائلة وله أولاد في العراق، وهم مصرون على ان يمشوا إلى الإنكليز غير خائفين ولا وجلين وكل واحد منهم قد فدا بحياته لأجل تخليص الديار من العدو، وانا لأرى من شيمة العرب ان نتردد في معاونتهم، بل الشيمة تدعو إلى إسعافهم وانجادهم والمحاربة في صفوفهم لتخليص البلاد، فانا وعشيرتي سترونننا من الغد معهم فمن يود الاشتراك معنا فليشترك، ومن لا يريد ويتأخر فهو حر[١١٦].

ألهبت هذه الكلمات الحماس في قلوب الحاضرين، وأعلن الحاضرون في مضيف العاصي من الجربا شيوخ شمر ورجالها الاشتراك مع قوات جميل صدقي آل خليل الموصلي، المعروف بالمدفعي[١١٧] لتحرير العراق. فسارت الحملة العسكرية باتجاه تلعفر بقيادة جميل المدفعي وعدد من الضباط العراقيين مع شيوخ ورؤساء العشائر، وكان ممن شارك فيها من آل محمد

---

(١١٤). التلعفري، مرجع سابق، ص١٦٨-١٦٩، مؤلف مجهول، فصل عن تاريخ شمر، ص ٨٤.

(١١٥). التلعفري، مرجع سابق، ص١٧٠-١٧١، Williamson, Op. cit,p١١٠.

(١١٦). التلعفري، مرجع سابق، ص١٧١.

(١١٧). عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث (بغداد: ١٩٨٠م) ج١، ص ١٧٨.

شيوخ شمر عجيل الياور، مثل الفارس، حاجم العاصي، عيادة العاصي، وتركي وجدعان الجار الله وآخرون من إخوانهم، حروش العبد العزيز، محمد المطلك، وطبان ومشعان الفيصل، بنيان الشلال، وآخرين من رجال آل محمد، فضلا عن الشيخ مسلط الملحم شيخ الجبور، وشيخ طي، وسليمان أحمد سليمان من الجرجرية، وعشائر الجحيش، فضلا عن أعداد كبيرة من شمر مع وجهاء وعشائر تلعفر والقبائل الأخرى.

توقفت الحملة عند خنيزيرة على طريق تلعفر يوم ٢ حزيران الموافق ١٣ من شهر رمضان بانتظار وصول الرسائل ومكاتبات التأييد من أهالي تلعفر، الذين كانوا متحمسين للثورة، ومناصرين لها، ثم توجهت القوة العربية نحو قرية قبك، وعقد هنالك اجتماع مع قيادات تلعفر من الأغوات، ثم توجه قسم من القوة نحو تلعفر، واستطاع المهاجمون من أهالي تلعفر والقوات العربية بقيادة عبد الحميد الدبوني من دخول المدينة، والقضاء على حاميتها الإنكليزية المكونة من الضابط باولو وعدد من الجنود، وسيطر المجاهدون بما فيهم شمر وشيوخها على مدينة تلعفر، ورفع العلم الشريفي العربي على قلعتها، وتم تحريرها من الاستعمار البريطاني يوم ٤ حزيران من عام ١٩٢٠م الموافق ١٤ من رمضان عام ١٣٣٨هـ. [١١٨]

حاولت المدرعتان اللتان كانتا قرب تلعفر وإحدى الطائرات الإنكليزية إنقاذ الموقف ولكن دون جدوى، واستطاع الثوار أن يخرجوها من أرض المعركة هاربة، إلا إحدى المدرعات التي غاصت في الطين، فأحاطت بها شمر من كل جانب مع باقي العشائر، وقفز أحد الفرسان وهو فراج المنيعي من الصايح وفتح باب المدرعة، فطعن من قبل قائد المدرعة، ولكنه افرغ سلاحه بداخلها، ثم صعد الشيخ بنيان الشلال إليه وأنقذه، وعلى اثر هذه العملية البطولية قتل طاقم المدرعة الإنكليز كلهم، وقام الشمامرة بمطاردة من استطاع الفرار من الجنود البريطانيين وتم القضاء عليهم إلا من استطاع

(١١٨). علي جودت الأيوبي، ذكريات علي جودت (بيروت: ١٩٦٧م) ص٩٨-١٠١.

الفرار، وكانت القيادة البريطانية قد أوصت جنودها أن يقولوا (نحن مسلمان) إذا ما تعرضوا لهجوم القبائل العربية، كي يسلموا على أنفسهم من القتل. [١١٩]

بقي جميل المدفعي مع القوة العربية في مدينة تلعفر، وأتخذ من المدرسة القديمة فيها مقرا لقيادته، ثم أخذ بالكتابة إلى جمعية العهد في الموصل كي تهيئ نفسها للقيام بالثورة، كما قام الشيخ عجيل الياور بالكتابة إلى بعض رؤساء العشائر في الشرقاط، يحرضهم على القيام بالثورة والالتحاق بالقوة الشريفية الموجودة في تلعفر. [١٢٠]



جميل المدفعي

تقرر أن يكون دخول الموصل وتحريرها من الأنكليز يوم الثامن من حزيران، وتحركت القوة الشريفة بقيادة جميل المدفعي وشيوخ شمر والعشائر الأخرى باتجاه الموصل في يوم ٦ على٧ حزيران، في الوقت الذي أرسل فيه الشيخ عجيل الياور أبن عمه الشيخ بنيان الشلال وبعض من شيوخ الجربا ومنهم الشيخ وطبان الفيصل وراكان العبد العزيز، مع عدد من الجنود ورجال شمر، تحت قيادة الضابط فائق حسين السليماني وبموافقة جميل المدفعي نحو القيارة، لقطع طرق المواصلات البريطانية، ومنع الإمدادات والتعزيزات من الوصول إلى حامية الموصل الإنكليزية، وقد

(١١٩). مؤلف مجهول، فصل عن تاريخ شمر، ص٥٩.
(١٢٠). التلعفري، مرجع سابق، ص٢٦٤-٢٦٥.

انطلقت هذه القوة يوم ٦ حزيران باتجاه القيارة عند منطقة تلول ناصر، واستطاعت أن تدخل في المعركة مع إحدى القوافل البريطانية، وشتت شملها، وغنمت العديد من قطع السلاح والبغال، وعادت بها إلى الثوار الذين كانوا قد تحركوا نحو الموصل، ولقيتهم في أبي كدور على طريق الموصل تلعفر.[١٢١]



الشيخ شعلان بنيان الشلال

بعد تحرير تلعفر من قبل الثوار قام الإنكليز بجمع قواتهم في الموصل، وأرسل نحو ١٠٠٠ جندي وضابط، مع عدد من قطع المدفعية، وبمسانده قوية من سلاح الطيران نحو تلعفر، وتحصنت هذه القوات في جبلة السحاجي غربي الموصل، وحدثت المواجهة بين الثوار والقوات البريطانية التي كانت تحت قيادة الضابط البريطاني تومسن يوم ٨ حزيران في قرية أبي كدور، وكاد النصر أن يكون حليف الثوار لولا المدافع البريطانية وقنابل الطائرات التي لم يتعود عليها فرسان الصحراء من البدو، مما دعا قسم كبير منهم إلى ترك ساحة المعركة التي استمرت لأكثر من ساعة، ثبت فيها الشيخ عجيل الياور مع أولاد عمومته من شيوخ شمر، وجميل المدفعي مع عدد من ضباطه ورجالات العشائر، ثم تم الانسحاب نحو قرية الشيخ إبراهيم، ومنها إلى السويدية باتجاه نصيبين بالنسبة لشمر وشيوخها، وإلى دير الزور أتجه

---

(١٢١). نفسه، ص٢٦٧-٢٦٩، مؤلف مجهول، فصل عن تاريخ شمر، ص ٨٥، Williamson, Op. cit,p١١٠.

جميل المدفعي ومن معه من القوات التي أتت من الشام لأجل تحرير العراق.[١٢٢]

على الرغم من فشل هذه الثورة إلا أنها أوقدت النار التي أشعلت ثورة العشرين في٣٠من حزيران عام ١٩٢٠م في وسط وجنوب العراق، وكبدت معركة تلعفر الإنكليز أكثر من ٥٠ قتيلاً بين ضابط وجندي[١٢٣]، أثبتت فيها قبائل شمر وشيوخها الجربا مع القبائل العربية و سكان تلعفر وما جاورها الموقف الواضح، والحس الوطني النبيل تجاه العراق وتحريره من الاستعمار البريطاني، وعدم الخضوع والسكينة لهذا المستعمر.

انسحب قسم من قبائل شمر وشيوخها نحو أراضي نصيبين في الجانب التركي، في حين بقي قسم منها داخل أرض الجزيرة الفراتية في مواجهة القوات البريطانية، التي أعادت احتلالها لتلعفر ولكامل الأرض العراقية التي كان الثوار قد حرروها في ثورتهم.



رقصة الحرب تؤديها قبيلة شمر عام ١٩٢٠م

(١٢٢). التلعفري، مرجع سابق، ص٢٨٦-٢٩٦، مؤلف مجهول، فصل عن تاريخ شمر، ص٨٥.
ص ٨٥، جودت، مرجع سابق، ص١٠٢-١٠٣.
(١٢٣). محمد يونس السيد وهب، أهمية تلعفر في ثورة العراق الكبرى عام ١٩٢٠ (الموصل: ١٩٦٧م) ص٤٨.

أوضاع شمر حتى قيام الملكية في العراق عام ١٩٢١م

عند اندلاع ثورة العشرين في الوسط والجنوب في ٣٠ من حزيران من عام ١٩٢٠م، لم يكن أمام القوات الاستعمارية البريطانية سوى مواجهة الثوار، والحد من هذه الثورة التي عمت أغلب أجزاء العراق، واخذ الإنكليز يفكرون جديا بتغيير السياسة الإدارية التي أتبعوها في إدارة هذا البلد. من خلال الحكم المباشر والسيطرة المباشرة على مقدراته، فحاول الإنكليز على أثر هذه الانتفاضة الشعبية التي كلفتهم الكثير أن يعرضوا على العراقيين سياسة جديدة في فرض الانتداب عليهم، وتكوين حكومة ملكية فيه، يختار رجالها من العراقيين ويساعدهم موظفون إنكليز، ولأجل تحقيق ذلك كان على الحكومة البريطانية أن تؤمن خط الصحراء، وتسيطر سيطرة ولو غير مباشرة على إقليم الجزيرة الفراتية، من خلال دعم شيخ قوي من آل محمد، وتقوية شمر التي معه، لأجل أن تكون القوة التي بواسطتها يؤمن البريطانيون جانب القبائل البدوية، ولا تتكرر الثورة العربية التي حررت تلعفر ثانية.

بعد فشل الثورة الشريفية وحملة تلعفر لم يبق في أرض العراق من شيوخ آل محمد سوى الشيخ فيصل بن فرحان باشا الذي كان مستقرا في الفرحاتية، ويمثل الديوان الهاشمي في العراق، وقد التجأ إليه الضابط البريطاني بيري الحاكم السياسي على سامراء مع قواته من الشبانه، ورمى بنفسه دخيلا في داره بالفرحاتية، بعد أن هوجم من قبل أهالي سامراء وما حولها، فقبل الشيخ فيصل حمايته، وبقي عنده إلى أن انتهت الثورة وهدأت الأحوال، [١٢٤] والشيخ دهام بن الهادي الذي كان منفصلا مع من معه من شمر عن باقي عشائرها، ولم يشارك في معركة تلعفر، لذا حاول الإنكليز استمالة الشيخ دهام الذي كان قد تم تعينه بشكل رسمي شيخا رسميا على شمر في نيسان من عام١٩٢٠م، فوافق الشيخ دهام على البقاء في منصبه هذا كي

---

(١٢٤). التكريتي، مرجع سابق، ص٢١.

يكون في مأمن من القوات البريطانية التي أذاقتها شمر الأمرين، وليحافظ على قوة شمر على أرض الجزيرة الفراتية، لاسيما وان قسماً كبيراً منها قد



الضابط بيري الحاكم السياسي لسامراء والى يساره

الشيخ فيصل الفرحان

غادر مراعي سنجار نحو نصيبين مع شيوخهم الذين شاركوا في معركة تلعفر، من آل محمد الجربا، وحدثت اتصالات رسمية بين البريطانيين والشيخ دهام، طلب منه الإنكليز أن يكون قوة خاصة تحت أمرته يدفع رواتبها الإنكليز، فبعث بأسماء ٥٠ من رجال شمر،سجل أسماءهم لدى الحاكم السياسي البريطاني على الموصل، فزودوا بخمسين بندقية، ورواتب من قبل القوات البريطانية، وأصبح الشيخ دهام بن الهادي المسئول المباشر عن حماية طرق المواصلات بين الموصل وبغداد، والموصل وحلب ضمن حدود العراق.

وافق الشيخ دهام على التعامل مع الإنكليز كي يحافظ على مكانة شمر، ويؤمن لها المؤن اللازمة خاصة الحبوب، إذ أن موسم عام ١٩٢٠م لم يكن جيدا، وأحتاج من بقي من شمر إلى التزود بالحبوب من الموصل، فكان الشيخ دهام يزود من يذهب من شمر إلى الموصل تصاريح الدخول إلى هذه

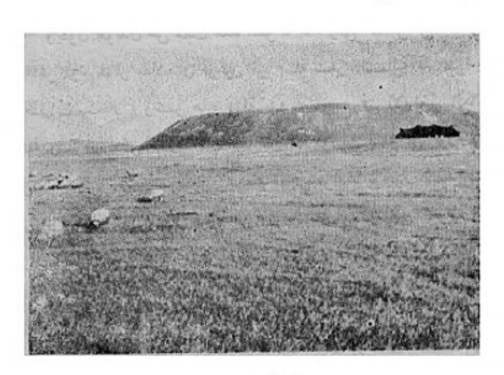
المدينة وشراء الحبوب اللازمة والعودة ثانية، في الوقت نفسه الذي كان الشيخ دهام يتحين الفرصة المناسبة ليتخلص من قبضة السلطات الاستعمارية البريطانية [١٢٥]، وجاء شهر آب من عام١٩٢٠م لينهي هذا التعاون بين الشيخ دهام والإنكليز، إذ أن الشيخ دهام كان قد سمح لمجاميع من قبيلة عبدة الشمرية (فرقة من العفاريت والدغيرات) بالمجيء إلى أراضي غرب الموصل، والنزول قرب تلة خميرة الواقعة على بعد ٢٠ كيلومتر إلى الجنوب الشرقي من تلعفر، بين قريتي المحلبية والشيخ أبراهيم•يقودها محمد الظفيري من العفاريت وحواس الهثمي من الدغيرات، وعند ما وصل الخبر إلى السلطات البريطانية، أرسلوا إلى الشيخ دهام الهادي كي يحضر محمد الظفيري، ولكنه تمنع عن ذلك، وحاول أن لا يتدخل في هذا الموضوع، مما أضطر نائب الحاكم السياسي على تلعفر أن يرسل ثلاث سرايا مع بطارية مدفعية ميدانية إلى تلة خميرة، لأجل إلقاء القبض على محمد الظفيري، وإذا ما رفض الاستسلام فان هذه القوة كفيلة بضرب هذه الفرقة من شمر، وإرغامها على الانسحاب نحو الشمال.

وصلت القوة البريطانية يوم ١١ آب قرب قريتي المحلبية والشيخ إبراهيم، ووجهت المدافع نحو خيام عبدة في تلة خميرة، في حين كان محمد الظفيري ومن معه على استعداد لمواجهة هذه القوة البريطانية، وقد خبروا القتال معها خاصة أثناء اشتراكهم في عملية تحرير تلعفر.

سار نائب الحاكم السياسي لتلعفر الكابتن فلاكسيمان نحو تلة خميرة ومعه سرية من الخيالة يوم ١١ آب من عام ١٩٢٠ م، وحاول إلقاء القبض على محمد الظفيري ولكن رجال شمر من عبدة كانوا له بالمرصاد، فحدث اشتباك بين الطرفين لم يستمر إلا نحو ساعة انهزم الإنكليز على أثره، بعد أن صرع قائدهم فلاكسيمان برصاص الشمامرة مع ٧ من القوة الإنكليزية، وانسحب محمد الظفيري وحواس الهثمي مع من معهم من عبده نحو أرض الجزيرة مبتعدين عن مرمى الطائرات البريطانية، وانتهت هذه المعركة

(١٢٥). التلعفري، مرجع سابق، ص٢٦١-٢٦٣.

بهزيمة ساحقة للمحتلين الإنكليز، ونصر حاسم لشمر ورجالها من عبدة الذين عاونهم رجال البو دوله في قريتي المحلبية والشيخ إبراهيم[١٢٦]، ونتيجة لهذه المعركة انسحب الشيخ دهام بن الهادي عن الإنكليز[١٢٧] بعد أن حقق أهدافه وأفشل مخطط الإنكليز في النيل من وحدة شمر وقوتها.



تلة خميرة

كان شهر آب من عام ١٩٢٠م نذير شؤم على القوات الاستعمارية البريطانية، إذ وبعد يوم واحد من معركة خميرة، وفي يوم ١٢ آب قتل الكولونيل المجرم لجمان، الذي قال عنه أحد الكتاب بأنه: " كان يتلذذ عند ركوب الطائرة أو سيارته المصفحة بإطلاق النار على أفراد العشائر" [١٢٨]، قتل هذا الضابط المهم في الاستخبارات البريطانية، والحاكم السياسي العام للرمادي في خان النقطة، على الطريق بين بعقوبة وبغداد، بيد سليمان وأبيه ضاري المحمود رئيس قبيلة زوبع الشمرية النازلة أرض الفلوجة، نتيجة مشادة كلامية حدثت بين لجمان وضاري المحمود[١٢٩]، وبعد مقتل لجمان أعلنت زوبع الثورة على القوات البريطانية، واستطاعت إسقاط إحدى الطائرات الإنكليزية وأسرت طياريها، ثم دخلت في معارك شرسة مع الإنكليز، بعد أن كان الشيخ ضاري المحمود و٧ من رجاله وأبنائه قد غادر

(١٢٦). التلعفري، مرجع سابق، ص٢٦٣.

(١٢٧). Williamson, Op. cit, p١١١-١١٢.

(١٢٨). العمر، مرجع سابق، ص٧٢-٧٣.

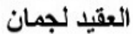
(١٢٩). نفسه، ص٢٧.

إلى ماردين، وألتحق بشيوخ شمر آل محمد الجربا الذين كانوا قد رحلوا إلى هناك من قبل. (١٣٠)



ضاري المحمود





العقيد لجمان

كما دخلت شمر الزور تحت زعامة الشيخ مشل الفارس في عام ١٩٢٠ م في صراع مرير مع الفرنسيين والأتراك، حيث أجبر الشيخ مشل على الذهاب مع الوفود التي زارت الجنرال غورو في بيروت، فاعتبر الأتراك أن هذه الزيارة بمثابة عداء واضح لهم، مع العلم إن الشيخ مشل الفارس في زيارته هذه رفض التعاون مع الفرنسيين، فأثار بذلك عداء فرنسا تجاهه، وقد هاجمه الأتراك في قريته وأحرقوا داره، في الوقت الذي جهز الفرنسيون أبناء إبراهيم باشا الملي بمدفعين وعدد من الرشاشات، ووجهوهم لمحاربة الأتراك والقبائل المتعاونة معهم، وبضمنها شمر بقسميها، فقام أولاد إبراهيم باشا الملي بعدة هجمات على القرى في منطقة رأس العين وما حولها، وهاجموا منازل شمر في المنطقة الشمالية الغربية للجزيرة، انتقاما من الشيخ مشل الفارس، وإذكاءً لأحقادهم السابقة تجاه شمر، وكان الشيخ الدويش وأولاد عمومته من أحفاد الشيخ عبد الرحمن الصفوك، مع أعمامه من أولاد فرحان باشا النازلين في هذه الأرض، قد جاءهم تحذير الشيخ مشل باشا الفارس بان يرحلوا من وجه أولاد إبراهيم باشا، ولكن أثناء إعداد بيوتهم للرحيل ظهر أولاد إبراهيم باشا على التلة المقابلة لمنازل شمر الذين كانوا مع الشيخ الدويش ومن معه من أهله وأعمامه، وأخذ المليـة يرمون بيوت شمر بالمدافع التي كانت معهم، وتساقطت القنابر قرب البيوت، ولكن شاء القدر أن

(١٣٠). نفسه، ص٨-١٠.

تهطل أمطار غزيرة في تلك الأثناء، فتساقطت القنابل في الأوحال ولم تنفجر، وهجم الشمامرة على قوات الملية وظهرت هنـا شجاعة الجربان، إذ هجم الشيخ الدويش مع ابن عمه الشيخ احمد الغربي و أقربائه على أحد المدافع واستطاعوا أن يسيطروا عليه، وبضمنهم الشيخ مشعان الفيصل الذي أبدى شجاعة فائقة في الرماية، والشيخ ظاهر الحميدي الباشا، والخرصة من شمر، في حين هجمت القوات التي مع الشيخ علي الشيوخ واستطاعت أن تأخذ المدفع الثاني، وهزم أبناء إبراهيم باشا شر هزيمة، ولكي لا يتعرض الشمامرة إلى هجوم ثان من قبل القوات الفرنسية: قام الشيخ مثل الفارس بتسليم المدفعين اللذين أستحوذ عليهما الشمامرة إلى الفرنسيين، لقد اقترن اسم الشيخ الدويش بهذا المدفع (الطوب) وعرفت هذه المعركة عند البدو بمعركة



الشيخ وطبان الفيصل



الشيخ مشعان الفيصل

لأطواب، و قيل فيها العديد من القصائد والهوسات: [١٣١]

وين الدويش آل على القوم يومي	**الطوب جابه والفشك يرزم ارزام**

وفي الشيخ الدويش قيل أيضا:

جاك الدويش وسربته تقل ذيب	**ولد المحزم فوق هاك السبوقي**
أودع عليهم عرصة لها لواهيب	**الياما نهجن وضرب المقاود احقوقي**

(١٣١). زكريا، مرجع سابق، ج١، ص ٣٢٥، وقد أكد للباحث هذه الأحداث الدوشان من آل محمد الجربا.

كان لمعركة خميرة ومقتل لجمان على يد رجال زوبع امتداد حي وطبيعي لثورة العشرين، التي كانت لازالت مشتعلة في وسط وجنوب العراق واستمرت لأكثر من ٦ اشهر، إن هذه الثورة العراقية الكبرى وان لم تحقق أهدافها كاملة بطرد الاستعمار البريطاني من العراق، ولم تحقق للشعب العراقي حريته واستقلاله، فان شدتها وعنفوان الشعب وبطولته قد أدهشت الإنكليز وأرهقتهم، وأقنعت الجهات الاستعمارية في بريطانيا باستحالة حكم العراق بالحديد والنار، وبوجوب تبديل هذه السياسة الرسمية والمشاريع الاستعمارية القديمة، والبحث عن علاج جديد لهذه القضية الصعبة، ألا وهي العراق.[١٣٢]

أستمر الوضع غير المستقر للعراق ولشمر بالذات حتى ١٢ من آذار عام ١٩٢١م عندما عقد مؤتمر القاهرة، الذي أقر فيه تنصيب الأمير فيصل بن الحسين ملكاً على العراق، وإنهاء الحكم المباشر للعراق، ووضعه تحت سلطة الانتداب البريطاني. [١٣٣]

أثر هذا المؤتمر صدر عفو عام عن المشاركين في ثورة العشرين في ٣٠ أيار من عام١٩٢١م، مستثنيا بعض الثوار، ومنهم ضاري المحمود رئيس زوبع من شمر، ومن اشترك معه في قتل العقيد لجمان[١٣٤]، وفي أثر هذا العفو عاد الشيخ دهام الهادي إلى العراق في حزيران من عام١٩٢١م وسلم البنادق التي كان قد أخذها من الإنكليز، وعادت معه بعض من قبائل شمر[١٣٥]، ثم عاد الشيخ عجيل الياور بعد أن أرسل برسالة إلى المقدم تحسين قدري رئيس تشريفات الأمير فيصل الأول، مستفسراً فيها عن قدوم الأمير فيصل إلى العراق، وهل يستطيع العودة خاصة وان حكماً وطنياً بدأ يتشكل في العراق، فقام المقدم تحسين قدري بإبلاغ الأمير فيصل برسالة الشيخ عجيل، فرحب بها كثيراً، خاصة بعد أن كان الشيخ فيصل الفرحان الذي بقي

(١٣٢). الحسني، تاريخ العراق، ج١، ص ١٨٠.
(١٣٣). التلعفري، مرجع سابق، ص٢٩٩.
(١٣٤). العمر، مرجع سابق، ص٢٢.
(١٣٥) Williamson, Op. cit,p١١٢-١١٣.

في بغداد قد توسط للشيخ عجيل الياور ابن أخيه والذي كان قد تربى في بيته لدى الأمير، فأقترح الأمير فيصل أن يذهب تحسين قدري بنفسه مع حامل رسالة الشيخ عجيل هادي الزبيدي ويحضره إلى بغداد، فقام تحسين قدري بأخذ موافقة السلطات البريطانية على عودة الشيخ عجيل الياور الذي كان مطلوباً لديها، رغم العفو الذي صدر عن ثوار ثورة العشرين، وجاءت هذه الموافقة من مستشار الداخلية البريطاني ما نصه: (١٣٦)

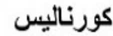
ان حامل كتابي هذا هو المقدم تحسين قدري مرسل من قبل الأمير فيصل لجلب الشيخ عجيل الياور فعلى كافة السلطات الحكومية ان تقدم له كل ما يحتاجه من معاونة.

التوقيع كورناليس



المقدم تحسين قدري





كورناليس

توجه المقدم تحسين قدري مع هادي الزبيدي إلى الشرقاط، ومنها إلى قرية نجمة التي هي للشيخ عجيل الياور، ونزلا ضيفين عند الشيخ حاجم العاصي الذي كان فيها كي يحافظ على ممتلكات الشيخ عجيل وشمر، فباتا عنده ليلة ثم أعطاهما ركائب أوصلتهم إلى ماردين، فالتقيا بالشيخ عجيل، وعادا إلى بغداد في منتصف آب من عام ١٩٢١م، بعد أن مرا على الفرحاتية، واصطحب الشيخ عجيل عمه الشيخ فيصل الفرحان إلى بغداد، فكان اللقاء الأول بين الشيخ عجيل الياور والأمير فيصل بن الحسين في دار المستشارية البريطانية (السراي) سابقاً، الذي كان قد أعد لإقامة الأمير فيصل

(١٣٦). مؤلف مجهول، فصل عن تاريخ شمر، ص١١١.

فيه، وقد حضر اللقاء أحد رجال الإدارة البريطانية في العراق (كورونـاليس)، ودار حوار بين الأمير فيصل والشيخ عجيل، تحدث فيه الأمير فيصل عن وضـع سوريا وتخلـي السوريين عنـه رغم تنبيهه لهم عن حـال سوريا، ومـا ستؤول إليـه تحـت الانتـداب الفرنسـي، فرد الشـيخ عجيل علـى كـلام الأميـر فيصل بعد أن تأثر كثيراً بحديثه بان قال:

لك الحق بان تعتب على السوريين ولك الحق بان تزعل عليهم ولكن حسب ظني بان اللوم والزعل يقع بالدرجة الأولى على حلفائك الانكليز الـذين خدعوك وتركوك وحدك وجهاً لوجه أمام دولـة عظيمـة مثل فرنسا، وفرنسا دولـة قويـة إذا مـا قيست بدولـة مثل دولـة سـوريا الحديثـة والانكليـز الـذين تحالفت معهم وهم كما يقال عنهم أعظم وأشرف دولـة أوربيـة حيث كنت مجبراً على التحالف مع دولـة مهمـة إذ لابد لكل رجل يريد تحرير بـلاده ان يعتمد على دولة أخرى لها مكانتها بين الدول، وانت لو كنت تحالفت مـع أيـة دولة أخرى غير بريطانيـا وأعطيتهـا طـارف أصبعك لرحبت بـك ووقفت إلـى جانبك بكل قوتها وما خدعتك كما فعلت بريطانيا التي اعطيتهـا كل يدك، وان أردت الحق فلا توجـه لومـاً ولا عتابـاً علـى السوريين بـل وجـه كل مـا بقلبـك إلى هؤلاء الحلفاء مشيراً بإصبعه إلى كورونـاليس.

لقد سر الأمير فيصل بهذا القول، خاصـة وان المجلس يحضـره أحد صـانعي السياسـة البريطانيـة فـي العـراق، وبقـي الشيخ عجيل اليـاور ملازمـاً للأمير فيصل حتى يوم تتويج الأمير ملكاً علـى العراق[١٣٧]، الذي وافق يوم ١٨ ذي الحجـة مـن عـام ١٣٣٩ هـ/ ٢٣ آب ١٩٢١م، السـاعة ٦ صـباحاً فـي ساحة برج الساعة من سراي بغداد[١٣٨]، وقد حضر حفل التتويج هذا كل مـن الشيخ عجيل الياور والشيخ فيصل بن فرحان باشا، اللذان كانـا نـازلين فـي دار السيد عبد الرحمن النقيب منذ قدومهما إلـى بغداد، والشيخ دهـام الهـادي الـذي كان نـازلاً في دار توفيق السويدي. [١٣٩]

(١٣٧). مؤلف مجهول، فصل عن تاريخ شمر، ص ١٠٩-١٢١.
(١٣٨). الحسني، تاريخ العراق السياسي، ج١، ص ١٨٠.
(١٣٩). وهب، مرجع سابق، ص ٩٩.



جلالة الملك فيصل الأول ملك العراق ١٩٢١-١٩٣٢م

اخذ نجم الشيخ عجيل الياور يأخذ مكانه بشكل واضح في هذه الفترة بين أهله شمر ورجال الأمير فيصل الأول في بغداد، خلال تلك الفترة من تاريخ العراق المعاصر، وقد وصفه فهد بن صليبيخ من شعراء نجد بقصيدة شعرية رائعة جاء فيها:

قوى الذي تدري به قومن بعيدين   الضاري يالي علم صيته بعيدي
وسلام للي له على الحق مجلين   وكيف انت يا علة خطات العنيدي
وجيناك يا فرز المناعير عانين   من عقب ما وصلت احبال الوريدي
قلت اقرضوني لا تخسروا علي شي   ابي انهجن يم جزل الحميدي
نابي اشيوخ الي علينا قديمين   قبل سعود وقبل دور الرشيدي
من دور مطلك واول وثم هلحين   هم الذي يهدون زين النشيدي

ومشـــاهد الجربـــان يخـــزي الشـــياطين	ومـــن شـــافهم يرجـــع بعمـــرن جديـــدي
ابـــي الوجيــه الـــي علـــى العســر والـــين	ينجلـــي الخبيـــث وينكتـــب يـــوم عيـــدي
اهـــل البيـــوت الـــي اتعـــيش المســـاكين	اليـــا شـــلفحت والســـعر جيـــل وزهيـــدي
يـــا مـــا اغتنـــى مـــن واحـــدٍ مـــا معـــه شـــين	مـــن مـــال مـــدلهين االضـــهيد الهيـــدي
وخـــذى علـــيهم مـــبهم الـــراي ثنتـــين	روزه ثقيـــــل وكوباســـــه شـــــديدي
عجيـــل دولاب البواشـــــي والســـــلاطين	مفـــراص مـــاص الـــي يقـــص الحديـــدي
ولليـــث حكـــام البنـــادر امطيعـــين	يـــدرون حلحـــيلن حبيـــبن نكيـــدي
شـــبهت مـــا يســـبع اســـباع الغلامـــين	للزيـــر والا الخالـــد ابـــن الوليـــدي
واسـطى مـن حكمـن مضـى مـن اسـماعيل	وافهـــم مـــن الحجـــيج هـــرجن وكيـــدي
واســأل اكبـــار الســـن الـــي بهـــم ديـــن	ان هرجنـــا صـــحن صـــحيح وكيـــدي
الهـــرج يكفـــي عنـــد كثيـــر النياشـــين	مـــا قـــل دل وزبدتـــه بالمفيـــدي
البيـــت قبلـــي قايلـــه ابـــن حثلـــين	دافـــع عـــن الصـــابور عنـــد الفريـــدي
يـــا عـــل عجـــوزن جابتـــك بالمقـــامين	بـــي جنـــة الفـــردوس يـــوم الوعيـــدي
يـــا ســـامعين كلمتـــي قولـــوا امـــين	يســـمع منـــي محـــي اعظـــام الهميـــدي(١٤٠)

ليقـر فـي عـام ١٩٢٢م الملـك فيصـل الأول للشـيخ عجيـل اليـاور بالمشيخة الرسمية على قبائل شمر في العراق، وغادر الشيخ دهام بن الهادي في نفس العام إلى الأراضي السورية، وقد عمل كل منهما بحسب موقعه لأجل خدمة شمر وإعلاء مكانتها، والمحافظة على وحدتها وقيمها بكل تفان وإخلاص حتى توفاهما الله وحفظهما برحمته الواسعة..

انتهى

(١٤٠). من التراث الشعري الشمري.

جريـــدة

المصادر والمراجـــع

المخطوطات

١. اللواء الركن المتقاعد عدنان احمد آل عبد الجليل، آل عبد الجليل أمراء الحلة والحج، نسخة خطية لدى الباحث من عائلة آل عبد الجليل.
٢. د عبد الجبار الجومرد، مذكرات الدكتور عبد الجبار الجومرد، النسخة لدى ولده ا. د جزيل عبد الجبار الجومرد.
٣. خلف راوي الجميلي ومحمد عجاج جرجيس، كتاب شمر الجربا، نسخة خطية لدى الشيخ خالد احمد صفوك الفيصل، اطلع عليها الباحث.
٤. سليمان الدخيل، القول السديد في أخبار الرشيد، بغداد، المركز الوطني للمخطوطات، بغداد، برقم١٣٤٤.
٥. الشيخ عبد العزيز الراكان، كراسة تحوي على مجموعة من أشعار شمر نسخة مصورة لدى الباحث.
٦. السيد جمال الراوي، بحث عن انساب بعض البيوتات العراقية، مخطوط قدم إلى وزارة الثقافة والأعلام العراقية بتاريخ ١٩٩٧/٨/١٧م، عند الباحث نسخة مصورة منه.
٧. عباس العزاوي، المجموعة الكبرى، بغداد، المركز الوطني للمخطوطات، بغداد، برقم١٠٦٥٧.
٨. مؤلف مجهول، فصل من كتاب عن تاريخ شمر يختص بحياة الشيخ عجيل الياور، نسخة مصورة لدى الباحث.
٩. ابن مقبل، العقود الدرية، المركز الوطني للمخطوطات، بغداد، برقم١١٠٥٦.

الأطروحات الجامعية

١. صالح بن علي الحبيبي، موقف الدولة العثمانية من قيام الدولة السعودية الأولى ١٧٩٨-١٨١٨م، رسالة ماجستير غير منشورة، الموصل، ١٩٩٦م.
٢. عماد عبد السلام رؤوف، الحياة الاجتماعية في العراق إبان عهد المماليك ١٧٤٩-١٨٣١م، رسالة دكتوراه غير منشورة، القاهرة، ١٩٧٦م.
٣. جبار يحيى عجيل، التاريخ السياسي لإمارة حائِل ١٨٣٥ - ١٩٢١م، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، ١٩٨٧م.
٤. محمد احمد محمود، أحوال العشائِر العراقية وعلاقتها بالحكومة العثمانية، ١٨٧٢-١٩١٨م، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، ١٩٨٠م.

المراجع العربية والمعربة

١. القرآن الكريم.
٢. ابو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبين (بيروت: ١٩٧٥م).
٣. ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب (القاهرة: ١٩٨٢م).
٤. ماكس فون اوبنهايم، البدو،ترجمة ميشيل كيلو واخرون (لندن: ٢٠٠٤م)
٥. ،رحلتي من البحر المتوسط إلى الخليج، ترجمة عدنان كبيبو (لندن: ٢٠٠٤).
٦. أوليفيه، رحلة اوليفيه إلى العراق، ترجمة الدكتور يوسف حبي (بغداد: ١٩٨٨م).
٧. محمد ابن صالح البرادعي، الدرر السنية في الأنساب الحسنية والحسينية (مكة المكرمة: ١٩٥٦ م).
٨. عبد الله بن عبد الرحمن البسام، علماء نجد خلال خمسة قرون(مكة المكرمة: ١٩٧٨م).
٩. محمد بن حمد البسام، الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر (بغداد: ١٩٨٩م).
١٠. عثمان ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد (الرياض: ١٩٨٠م).
١١. محمد بن عبد الله بن بطوطة، رحلة ابن بطوطة (بيروت: ١٩٦٨م).
١٢. آن بلنت، الطريق إلى نجد، ترجمة محمد غالب (الرياض: ١٩٦٧م).
١٣. جاكلين بيرين، اكتشاف جزيرة العرب، ترجمة قدري قلعجي (بيروت: دون تاريخ).
١٤. مس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة جعفر خياط (بغداد: ١٩٧١م).
١٥. قحطان عبوش التلعفري، ثورة تلعفر (بغداد: ١٩٦٩م).
١٦. إسماعيل حقي جارشلي، أمراء مكة في العهد العثماني، ترجمة د خليل علي مراد (البصرة: ١٩٨٥م).

١٧. حمد الجاسر، في شمال غرب الجزيرة العربية (الرياض: ١٩٧٧م).

١٨. معجم قبائل المملكة العربية السعودية (الرياض: ١٩٨٤م).

١٩. محمد بن جبير، رحلة ابن جبير (بيروت: ١٩٨٥م).

٢٠. علي جودت، مذكرات علي جودت (بيروت: ١٩٦٧م).

٢١. منير الحجيلاني، البلاد العربية السعودية (بيروت: دون تاريخ).

٢٢. خلف حديد، انساب قبائل العرب (الكويت: دون تاريخ).

٢٣. عبد الرزاق الحسني، تاريخ الأحزاب السياسية في العراق (بيروت: ١٩٨٠م).

٢٤. تاريخ العاق السياسي الحديث، (بغداد: ١٩٨٩م).

٢٥. عباس بن علي المكي الحسيني، نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس (القسطنطينية: ١٨٧٦م).

٢٦. فواد حمزة، قلب جزيرة العرب (الرياض: ١٩٦٨م).

٢٧. ياقوت الحموي، معجم البلدان (بيروت: ١٩٦٥م).

٢٨. هشال عبد العزيز الخريصي، قبيلة شمر، متابعة وتحليل (لندن: ١٩٩٨م).

٢٩. عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون (بيروت: ٢٠٠٠م).

٣٠. احمد بن علي الداوُدي الحسني، عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب (بيروت: دون تاريخ).

٣١. السيد أحمد بن السيد زيني دحلان، أمراء البلد الحرام (بيروت: دون تاريخ).

٣٢. صديق الدملوجي، مدحت باشا (بغداد: دون تاريخ).

٣٣. جاسم محمود ذويب، قبيلة شمر (بغداد: ١٩٩٢م).

٣٤. عبد الجبار الراوي، البادية (بغداد: ١٩٤٧م).

٣٥. مذكرات عبد الجبار الراوي (بغداد: ١٩٩٢م).

٣٦. ضاري بن فهيد الرشيد، نبذة تاريخية عن نجد وإمارة آل رشيد (الرياض: ١٩٦١م).

٣٧. يعقوب عبد العزيز الرشيد، تاريخ الكويت (الكويت: ١٩٧١م).
٣٨. إبراهيم رفعت باشا، مرآة الحرمين (القاهرة: ١٩٢٥م).
٣٩. د عماد عبد السلام رؤوف، إدارة العراق في العهد العثماني (بغداد: ١٩٩٢م).
٤٠. الموصل في العهد العثماني (الموصل: ١٩٧٥).
٤١. أمين الريحاني، نجد وملحقاته (بيروت: ١٩٨١م).
٤٢. د. أحمد أمين الزبيدي، مولود مخلص باشا (بغداد: ١٩٨٩م).
٤٣. الزبيدي، تاج العروس (بيروت: ١٩٧٨م).
٤٤. وصفي زكريا، عشائر الشام (دمشق: ١٩٤٥م).
٤٥. زمباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة د زكي محمد حسن (بيروت: ١٩٨٠م).
٤٦. حمود الساعدي، الخزاعل (بغداد: ١٩٧٤م).
٤٧. الشيخ يونس السامرائي، القبائل العراقية (بغداد: ١٩٨٩م).
٤٨. انور عبد الحميد السباهي، حياة المرحوم دهام الهادي (بيروت: ١٩٧٧م).
٤٩. ، شمر وأمرائها (بيروت: ١٩٩٥م).
٥٠. محمد احمد السديري، أبطال من الصحراء (الرياض: ١٩٧٨م).
٥١. يعقوب سركيس، مباحث عراقية، القسم الأول (بغداد: ١٩٤٨م).
٥٢. ، القسم الثاني(بغداد: ١٩٥٨م).
٥٣. د عبد الحميد السعدون، إمارة المتفق (عمان: ١٩٩٨م).
٥٤. د. محمد عصفور سلمان،العراق في عهد متحت باشا (بغداد: ٢٠٠٧م).
٥٥. حيدر الشهابي، تاريخ احمد باشا الجزار (بيروت: ١٩٥٥م).
٥٦. منتشا شيفتلي، العراق في سنوات الانتداب البريطاني، ترجمة هاشم صالح التكريتي (بغداد: ١٩٧٨م).
٥٧. خليل بن ايبك الصفدي، الوافي بالوفيات (بيروت: ٢٠٠٠م).
٥٨. احمد الصوفي، المماليك في العراق (الموصل: ١٩٥٢م).

٥٩. د عبد الجليل الطاهر، العشائر والسياسة (بغداد: ١٩٥٨م).
٦٠. أبو عبد الرحمن الظاهري، آل الجرباء في التأريخ والأدب (القاهرة: ١٩٨٣م).
٦١. ثامر عبد الحسن العامري، موسوعة العشائر العراقية (بغداد: ١٩٩٤م).
٦٢. د عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الدولة السعودية الأولى (القاهرة: ١٩٦٩م).
٦٣. من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد علي (قطر: ١٩٨٢م).
٦٤. أزهر العبيدي، إمارة العبيد الحميرية (الموصل: ١٩٩٤م).
٦٥. عبد الله الصالح العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد (الرياض: ١٩٩١م).
٦٦. فهد العلي العريفي، لمحات عن منطقة حائل (الرياض: ١٩٨٠م).
٦٧. عباس العزاوي، العراق بين احتلالين (بغداد: ١٩٥٩م).
٦٨. ، عشائر العراق (بغداد: ١٩٣٩م).
٦٩. عبد الملك بن الحسن العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (القاهرة: ١٩٦١م).
٧٠. احمد عبد الغفور العطار، صقر الجزيرة (مكة المكرمة: ١٩٤٤م).
٧١. د عبد الجبار العمر، مقتل الكولونيل لجمان (بغداد: ١٩٨٦م).
٧٢. ممتاز محمد عمر اغا، اعلام موصليون (الموصل: ٢٠١١م).
٧٣. ابن عنبه، عمدة الطالب (النجف: ١٩٧٠م).
٧٤. إبراهيم بن صالح بن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد (الرياض: ١٩٦٦م).
٧٥. سليمان فائق، تاريخ بغداد (بغداد: ١٩٦٢م).
٧٦. جمس ويلي فريزر، رحلة فريزر إلى العراق، ترجمة جعفر خياط (بغداد: ١٩٦٤م).
٧٧. عبد الله فيلبي، تاريخ نجد (بيروت: دون تاريخ).

٧٨. محمد بن عثمان القاضي، روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين (الرياض: ١٩٨٠م).
٧٩. فؤاد قزانجي، العراق في الوثائق البريطانية ١٩٠٥-١٩٢٠ (بغداد: ١٩٨٩م).
٨٠. سمير قطب، انساب قبائل العرب (بيروت: ١٩٨٤م).
٨١. احمد بن علي القلقشندي، قلائِد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان (بيروت: ١٩٨٢م).
٨٢. ـــــــــــ نهاية الإرب في معرفة انساب العرب (بيروت: ١٩٨٠م).
٨٣. رسول الكركوكلي، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء (بغداد: دون تاريخ).
٨٤. السيد محمد حسن الكليدار، مدينة الحسين (ع) (كربلاء: ١٩٧٢م).
٨٥. نورى كوبي، الطريق إلى نينوى (بغداد: ١٩٩٨م).
٨٦. كارتون كون، القافلة، قصة الشرق الأوسط، ترجمة برهان التيجاني (بيروت: دون تاريخ).
٨٧. د. عبد الوهاب الكيالي، الموسوعه السياسيه (بيروت: ١٩٧٤م).
٨٨. لوريمر، دليل الخليج (قطر: ١٩٧١م).
٨٩. ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط (بغداد: ١٩٨٥م).
٩٠. ـــــــــــ تاريخ العراق الحديث، ترجمة سليم طه التكريتي (بغداد: ١٩٨٨م).
٩١. مؤلف مجهول، لمع الشهاب في سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (القاهرة: ١٩٦٧م).
٩٢. عبد اللطيف الشيخ علي المحاميد، من شجر الأنساب (الحسكة: ١٩٩٨م).
٩٣. أورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد الثاني (بغداد: ١٩٨٧م).
٩٤. خاشع المعاضيدي، بعض من انساب العرب (بغداد: ١٩٨٦م).

٩٥. عبد الرحمن بن زيد المغيري، المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب (قطر: دون تاريخ).

٩٦. ابن منظور، لسان العرب (بيروت: ١٩٧٨م).

٩٧. احمد بن منقور، تاريخ ابن منقور (الرياض: ١٩٧٠م).

٩٨. موسيل، الفرات الأوسط، ترجمة د صالح احمد العلي (بغداد: ١٩٩٠م).

٩٩. مجموعة مؤلفين، دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة احمد الشنتناوي وآخرون (القاهرة: ١٩٣٣م).

١٠٠. د عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داؤد باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا (القاهرة: ١٩٦٨م).

١٠١. داؤد باشا والي بغداد (القاهرة: ١٩٦٧م).

١٠٢. مصر والعراق دراسة في تاريخ العلاقات بينهما (القاهرة: ١٩٦٨م).

١٠٣. الحسن بن احمد الهمداني، صفة جزيرة العرب (بغداد: ١٩٨٩م).

١٠٤. عثمان بن سند الوائلي، مطالع السعود في طيب أخبار الوزير داؤد (بغداد: ١٩٩١م).

١٠٥. جمس ريموند ولستيد، رحلتي إلى بغداد في عهد الوالي داؤد باشا، ترجمة سليم طه التكريتي (بغداد: ١٩٨٤م).

١٠٦. محمد يونس السيد وهب، أهمية تلعفر في ثورة العراق الكبرى (الموصل: ١٩٦٧م).

١٠٧. حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين (القاهرة: دون تاريخ).

١٠٨. د. محمد عجاج جرجيس، التكوين التاريخي لبلدة الشرقاط (الموصل: ٢٠١٠م).

١٠٩. محمد علي بك إبراهيم باشا، أمير أمراء كردستان إبراهيم باشا الملي، دراسة وتحقيق د. عبدالفتاح علي البوتاني وعلي صالح الميراني (اربيل: ٢٠٠٩م).

١١٠.د. محمد بن سليمان الخضيري، تاريخ البلاد السعودية في دليل الخليج (لندن: ٢٠٠١م).

البحـــوث والدراســات

١. د إبراهيم خليل أحمد، موقع العراق في محاولات محمد علي في تكوين دولة عربية موحدة، بحث نشر ضمن وثائق ندوة العلاقات العراقية المصرية، جامعة الزقازيق، جمهورية مصر العربية، ١٩٩٠م.

٢. الاحتلال البريطاني والمقاومة الموصلية، موسوعة الموصل الحضارية (الموصل: ١٩٩٢م) ج٥.

٣. محمد بن إدريس، المجمعة بين الغابر والحاضر، مجلة الدارة، الرياض، عدد، ١، ١٩٨٢م.

٤. آن بلنت، الحج إلى نجد، ترجمة محمد منعم غالب، مجلة العرب، الرياض، ١٩٨٢م، العدد١٤.

٥. سليم طه التكريتي، صفحات مطويه عن ثورة العشرين، آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٢م، العدد١٠.

٦. منهل الجميل، ثورة عام ١٨٣٢م في بغداد، مجلة المورد، بغداد، مجلد٧، عدد٢، ١٩٨١م.

٧. بطرس حداد، رحلة تايلر الى بغداد، مجلة المورد، بغداد، مجلد٨، عدد١، ١٩٨٢م.

٨. رحلة ليجان الى العراق، مجلة المورد، بغداد، مجلد١٢، عدد٣، ١٩٨٣م.

٩. د. جابر خليل، تكريت في المصادر الاثارية، مجلة المؤرخ العربي، ، بغداد، ١٩٨٨م، العدد ٣٤.

١٠. د. عبد الله صالح لعثيمين، نجد منذ القن العاشر حتى عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مجلة الدارة، الرياض، عدد٤، ١٩٧٥م.

١١. د جاسم محمد حسن العدول، الموصل في العهد الحميدي، موسوعة الموصل الحضارية (الموصل: ١٩٩٢م) ج٤.

١٢. الموصل في العهد الإتحادي، موسوعة الموصل الحضارية (الموصل: ١٩٩٢م) ج٤.

١٣. د. عبد الجبار العمر، ذيل مطالع السعود، مجلة آفاق عربية (بغداد: ١٩٨١م) عدد٦-٧.

١٤. د زهير علي النحاس، بادية الجزيرة العراقية موطنا للبداوة العربية النجدية، المجمع العلمي العراقي، بغداد، كانون الثاني، ٢٠٠٠م.

١٥. د. عبد العزيز سليمان نوار، آل محمد بيت الرئاسة على قبائل شمر خلال القرن التاسع عشر المجلة التاريخية المصرية(القاهرة: ١٩٦٩م) مجلد١٥.

١٦. العراق ومصر في القرن التاسع عشر، مجلة الهلال، القاهرة، آب، ١٩٦٠م.

١٧. ثورة عام ١٨٣٢م في العراق، مجلة الهلال، القاهرة، شباط، ١٩٦٥م.

الجـرائـد والمـجــــلات

١. جريدة الأتحاد، بغداد، ١٩٨٩م، عدد ١١٢.

٢. جريدة الزوراء البغدادية، ١٨٧٠-١٩١٧م، أعداد عدة حصل الباحث على ملخصات لأحداثها من ا. د جاسم محمد حسن العدول.

٣. مجلة الشراع، بيروت، ١٩٨٤م، العدد٤.

٤. مجلة الصناديد، بيروت، ١٩٩٨م، عدد١، ١٩٩٩م، عدد٥.

٥. مجلة لغة العرب، للأب انستاس ماري الكرملي، مجلد ٢.

المـراجــع الأجـنـبـيــة

1- Tc Basbakamlik, Musal kerkukileitgli arshiv blgeleri 1523-1919 (Ankara: 1993).

2- Lady Anne Blunt, Edouin Tribes of The Euphrates, Vol 1-2 (London: 1878).

3- Henry Austen Layard, Nieeveh and its remains (London: 1948).

4- Max Von Oppenheim, Die Beduinen, Vol 1 (Leipzig: 1939).

5- Yom Mittelmeer zum Golf, Vol-1-2 (Berlien: 1900).

6- Hormuzd Rassam, Asshur and the Land of Nimrod (New Yourk: 1897).

7- John Willamson, The shammar jarba Tribe of al-jazirah 1800-1958 (usa;1974).

الفهرست

الموضـــــوع	الصفحة

الفصل الثاني

الشيخ مطلك الجربا

الفصل الثالث

الشيخ فارس الجربا

الفصل الرابع

سلطان البر الشيخ صفوك الجربا

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

1890. The author in this chapter investigates and examines the nature of the relationship between Shammar and the Ottomans , this relationships took different faces throughout this period , changing from good to bad and vice versa in in accordance to the ambition and tribal tactics of Shaykh Farhan and the local interests of the Ottomans authorities. The chapter also includes the story of the uprising of Shaykh Abdul karim , Farhans brother , against Madhat Pash , 1868 - 1871 , which ended with the surrender of Abdul Karim and his execution by the Wali.

Another important development concerning Shammar happened in this period was the settlement of some tribes of Shammar in Al - Shurqat. This period also witnessed the first rupture in the Shaykhship of Shammar , that was between Farhan and Faris.

The sixth chapter explores the internal relations among the tribes of Shammar through the period 1890 - 1914. It also portrays the relationship between Shammar and the neighboring Arab tribes in the province , and the role the Ottoman played to create conflicts between them.

This chapter also deals with the attitude of Shamar towards circumstances resulted from the First World War in the region and Shamar's opposition to the British occupation of Iraq after the war. and then the role played in the revolution of 1920 by Shamar.

At the end of this preface , the author would like to thank all those gentlemen who helped in away or another to make this work possible , the author alone is responsible for all mistakes happened to fined there way into the text.

he directed his tribesmen to launch attacks against the Wahabi forces which used to raid the province , to achieve that Shammar collaborated with the Ottoman authority in Baghdad at that time. Shaykh Mutlag met his death in one of these combats.

The third chapter is devoted the Shaykhship of Faris Al - Jarba , who first continued Mutlag's policy in collaborating with the Ottoman authority in Iraq against the Wahabis before departing northwards towards the province of Al - Jazira Al - Furatiyya where he succeeded in subjugating the other Arabian tribes in the area to his authority to become , with his people , the dominant Arabian power in Al - Jazira.

Chapter four is concerned with the Shayskhship of Sfug , which lasted well over three decades , from 1819 - 1847. During this period Sfug , leading Shammar , helped , in association with the Ottomans , to halt two Persian invasions against Baghdad , and assisted the Ottomans to put the Mamluki regime in Baghdad to an end , in 1831. Also in this period Sfug associated himself to the army of Muhammad Ali pasha of Egypt led by his son Ibrahim pasha who invaded Syria and fought against the Ottomans , Sfug , by doing that , aimed at establishing an Arabian entity , for the first time , under his domination in Al - Jazira by the aid of Ibrahim pasha in return for his assistance. Sfug failed , captured by the Ottomans in 1834 , and imprisoned in Istanbul. He was released later having accepted change in policy , only to be assassinated after words on the hand of an Ottoman officer.

The fifth chapter deals with the period of the Shaykhship of Farhan pasha which lasted from 1847 -

Preface

The present work is the fruit of ten years labour. In which the author presents an extensive study of the largest tribal groupings in the province of Al - Jazira (Iraq - Syria) , that is Shamar Al - Jarba and its heads (Shaykhas) Al - Muhammad.

The author has been guided in his research work by previous works and researches as well as so many interviews with scholars , Shaykhs , educated people , tribes men , Bedouins.. . etc. The materials collected from these sources were sifted and critically studied and investigated , and after a thorough examination the results have been compiled to make up the text presented her , reference to all these sources are found in an extensive bibliography which can be found appended to the text.

The book consists of an introduction and six chapters. The first chapter naturally deals with the origins. First the genealogy of Al - Muhammad , Shaykhs of Shamar, is traced in details , then , the chapter includes a lengthy investigation about the original homeland of the Shaykhs of Shammar in Najd , and the beginnings of tribal clustering or grouping which is to become Shammar Al - Jarba in the province of Najd in Arabia.

In the second chapter the author dwells on the subject of the nature of the relationship between Shammar Al - Jarba and the Wahabi movement in Najd , then the struggle that took place between Al - Saud and Shaykh Mutlag Al - Jabra and the consequent departure of Mutlaag and his people , Shammar Al - Jarba , to find a shelter in the southern desert of Iraq (Badiyat Al - Iraq) , from there



بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد ﴿ﷺ﴾ وعلى آله وصحبه وبعد: فإن التاريخ هو البودقة التي ينصهر فيها مجمل النشاط الحياتي للبشرية، وما دونه ابناء شمر من تاريخ حياتي في نجد او على ارض الجزيرة الفراتية، هو جزء لا يتجزأ من تاريخ العراق وسورية الحالية، كما أن التاريخ يكتبه رجال صنعوه بأنفسهم في معترك الحياة التي تتجاذب مصائر أناسها عبر زمن مضى، وترك بصماته على واقع الحياة الذي نعيش فيه اليوم، من خلال التجارب الإنسانية التي سطرها أولئك الذين صنعوا مجدا لهم ولأمتهم في زمن قصير نسبيا للحياة التي عاشوها، اخذين نحن بروح تلك التجربة الحياتية، ومحاولين أن ننسج من خلال خدمة العراق وشعبه الأبي تجربة حياتية تعكس تلك الروحية الطيبة التي زرعها فينا الأجداد قبل الآباء، من الإيثار ونكران للذات، والتفاني في تقديم الممكن للأخر دونما ملل أو تقصير، لنعكس بذلك طيبة شعب العراق ووحدة مثله، وتداخل أطيافه في نسيج واحد اسمه العراق الموحد ومن الله العون والتوفيق.

الشيخ
خالد احمد صفوك فيصل
الجربا

الثمن ١٢ $ او ما يعادلها

تصميم الغلاف
نادر نهجة ناصر الشمري

الدلة
للطباعة
والنشـر